

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

مَجَالِمُ الْمَلَائِكَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء التاسع بعد المائتين
الآية ١٨٥ سورة آل عمران

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أساذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الحمد له سبحانه مكسباً وباباً للرزق ومضاعفة الفضل والعطايا منه تعالى ، ولم يجعل ترك العبد للشكر والحمد له تفويتاً للنعمة ، أو مسبباً لانتقاصها أو مقدمة لنزول البلاء ليكون مفهوم المخالفة لقوله تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١) ، لئن قصرتم في الشكر لم تنتقص النعمة عليكم وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ، وقيل النعمة موصولة بالشكر أي أنه سبب لإستدامتها ، إنما الموصول بالشكر الزيادة .

وفيه دعوة إلى ترك التفریط بالشكر والحمد لله ، الذي هو مادة الحياة ، وطريق الفوز بمريضة الله سبحانه .

وقد تفضل الله عز وجل وجعل كل مسلم ومسلمة يتلوان وعلى نحو الوجوب العيني قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) سبع عشرة مرة في اليوم واللييلة ، إذ أن قراءة سورة الفاتحة واجبة في كل ركعة من ركعات الصلاة .

الحمد لله الذي جعل الحمد له سبحانه يقود إلى الإستغفار لما فيه من التسليم بالربوبية المطلقة لله عز وجل إذ تفضل الله عز وجل وجعل الحياة

(١) سورة ابراهيم ٧ .

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

(٣) سورة الفاتحة ٢ .

الدنيا دار الإمهال مرة بعد أخرى ، قال تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١).

وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾^(٢) لبيان الملازمة بين الرحمة والسلام ، وأن الله عز وجل يحب العبد والمملك والأمير الذي يشيع السلم ويتعاهد السلام .

و(عن عبد الله^(٣)) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إلى الله انفعهم لعياله^(٤) . ولا بد أن يكون الذي يتصدى للتفسير عالماً في السنة النبوية القولية والفعلية لأنها مرآة للقرآن ، وفي علم الفقه والتأريخ والنحو والبلاغة والأصول وعلم الرجال لا بشرط بلوغ درجة الإجتهد فيها ، وإنما تكفي الإحاطة الموضوعية ، وهو من أسباب عزوف أغلب العلماء عن علم التفسير إجلالاً له ، ومع هذا فعلم التفسير والتأويل ذخائر وكنوز غير متناهية .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القرآن . هذا ينزع بآية ، وهذا ينزع بآية . فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان فقال : ألهذا خلقتم ، أو لهذا أمرتم أن تضربوا

(١) سورة النحل ٦١ .

(٢) سورة يونس ٢٥ .

(٣) أي عبد الله بن مسعود .

(٤) المعجم الكبير ٨٦/١٠ .

كتاب الله بعضه ببعض ، انظروا ما أمرتم به فاتبعوه ، وما نهيتم عنه فانتهوا^(١).

وعن عمر بن الخطاب : **أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ^(٢).**

وآية البحث مدنية ، والأرجح أنها نزلت بعد معركة بدر ، ولكن آيات عديدة أخرى مكية ومدنية نزلت قبل معركة بدر تدعو إلى الصبر ، وتذكر بالموت وما بعده من عالم الحساب والفوز بالأجر العظيم على الإيمان والتقوى .

وعندما استقر جيش كفار قريش في ماء بدر بعثوا عمير بن وهب الجمحي عيناً لمعرفة عدد المسلمين على نحو التقريب وهو من شياطين قريش قبل أن يسلم فأبلغهم بأن عدد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحو ثلاثمائة^(٣) ، بعدم وجود مدد للمسلمين إزدادت هممتهم ورغبتهم ، ولم يعلموا بما أعد الله لهم من أسباب الهزيمة والذل إلى يوم القيامة ، فليس أخزى على الجمع والأفراد من قتال الملائكة لهم ، لأنهم معتدون على كل من :

الأول : مبادئ التوحيد .

الثاني : النبوة .

الثالث : شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : المهاجرون والأنصار.

(١) الدر المنثور ٢/٢٨٥ .

(٢) مسند أحمد ١/٢٣٠ .

(٣) أنظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/٤٠٦ .

الخامس : التنزيل ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿طه﴾ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

الْقُرْآنَ لَتَشْتَقِيَ ﴿١﴾ بشارة الأمن والسلامة يوم بدر وأحد والخندق ، لما في الآية أعلاه من الوعد بدفع الشقاء والتعب والحيرة ، ليكون من باب الأولوية القطعية سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل ، ودفع أسباب حجب التنزيل ، ثم أخبرهم عمير عن مسألة تتعلق بحال وهيئة وعزائم الصحابة وخصوص الأنصار ، إذ قال (وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، الْبَلَايَا تَحْمِلُ الْمَنَائِيَا).

نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِعَ قَوْمٌ لَيْسَ مَعَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا مَلْجَأٌ إِلَّا سَيُوفُهُمْ وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ يَقْتُلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَرَوْا رَأْيَكُمْ) (٢).

وقد سمي عمير الأنصار بنواضح يثرب مع أن هذا اللفظ يطلق على إبل السقي ، يريد الاستخفاف بالأنصار لمبادرتهم للإيمان وإيوائهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين.

قال الخليل (والناضح: جملٌ يُسْتَقَى عليه الماء للقرى في الحوض، أو سقي أرضٍ وجمعه النواضح) (٣).

(وقال زهير:

كَأَنَّ عَيْنِي فِي غَرْبِي مُقْتَلَةٌ ... مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سَحْقًا) (٤).

(١) سورة طه ١-٢.

(٢) الروض الأنف ٣/٦٣.

(٣) العين ١/١٨٩.

(٤) الصحاح في اللغة ١/١٠٥.

وحتى عندما حج معاوية بن أبي سفيان ذكر الأنصار بإبل السقي والزراعة ومع إرادته التعريض بهم إلا أن كلامه يدل على التسالم بين الناس على أن النواضح إبل سقي المزروعات .

(قال أبو عبيدة: حج معاوية فلما قرب من المدينة تلقتة قريش على اثني عشر ميلاً وتلقتة الأنصار على ميلين فعاتبهم فشكوا الأثرة، فقال: فأين أنتم عن النواضح فقال له قيس بن سعد: تركناها لقومك عام قتلنا حنظلة^(١) .
يشير إلى معركة بدر ، وقتل حنظلة بن أبي سفيان يومئذ ، وهو أخو معاوية لأبيه .

أي أن عميراً أخبر قريشاً عن قاعدة في المعركة وهي كل أنصاري لا يفارق الدنيا حتى يقتل واحداً من المشركين أو أن مجموع قتل المشركين يكون مساوياً نفس العدد ، وإن بعضهم يقتل اثنين أو ثلاثة من المشركين ، وبعضهم لا يقتل أحداً منهم ، ومن الشواهد على نزول الملائكة مدداً أنه لن يقتل من الصحابة ، وكان عدد قتلى المسلمين أربعة عشر ، منهم ثمانية من الأنصار بينما قُتل من المشركين يومئذ سبعون ، وأسر منهم سبعون ، أي عشرة أضعاف قتلى المسلمين ، وليس من نسبة التساوي ، مع الفارق في النشاطين ، إذ فاز الشهداء بما ورد في آية البحث ، قال تعالى ﴿وَأِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢) .

ثم جاءت معركة أحد واستعد لها المشركون لمدة عام كامل ، وتلكأت تجارتهم مدتها إذ انشغلوا بالطواف على القبائل ، وبذلوا لهم الأموال لإجارتهم في قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ومع

(١) جمهرة اللغة ١/٢٨٢.

(٢) سورة آل عمران ١٨٥.

أن الريح والجولة صارت فيما بعد للمشركين واستشهد سبعون من المسلمين إلا أنهم انسحبوا من ميدان المعركة في ذات اليوم الذي ابتدأت به.

الحمد لله الذي جعل آيات القرآن وتلاوتها ترغيباً لأجيال المسلمين بالعمل بأحكام القرآن التي تتضمن نشر شأيب الرحمة والمودة بين الشعوب والأفراد ، وهذا النشر من الحمد والشكر لله على نعمة التنزيل ، ومن معاني قوله تعالى ﴿لَلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) ، أن الأرض وما ينزل من السماء يكفي لأن يعيش الناس بيجوحة من الرزق والأمن والغبطة ، فقد تكفل الله عز وجل للناس رزقهم وقرب إليهم أسبابه.

وهل تلاوة آيات القرآن في الصلاة وخارجها ، والتدبر في معانيها من هذه الأسباب ، الجواب نعم ، لبيان قانون وهو أن الله عز وجل أنزل الكتب السماوية لتكون نوع طريق وسبباً للرزق الكريم من السماء وكنوز الأرض ، وحسن الصلات بين الناس.

وهل إنحسار معارك الإسلام الأولى ، وعجز كفار قريش عن مواصلة الهجوم والغزو على المسلمين من الرزق المصاحب والمترشح عن التنزيل ، الجواب نعم ، ومن فضل الله عز وجل والرزق الكريم في المقام توالي أجزاء هذا السفر بقوانين مستتبطة وإشراقات علمية مستحدثة من مضامين آيات القرآن.

ومن اللطف الإلهي في المقام أنني أقوم بتأليف أجزاء التفسير وكتبي الفقهية والأصولية بمفردي ، إلى أن تشرق بحلة بهية ، وتنزل على موقعنا

(WWW.MARJAI.AA.COM)

وقد صدر الجزء السابق وهو الثامن بعد المائتين خاصاً بقانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة) وقد تضمن قوانين وعلومًا ومسائل :
الأول : المقدمة .

الثاني : قراءة في قوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١) ، بلحاظ أنها من آيات السلم ، وسألة عن النسخ وهي الآية الخامسة عشرة في نظم منهاج آيات السلم التي قيل أنها منسوخة ولم يثبت هذا النسخ ، وقد تقدم ذكر تسع آيات منها في الجزء السادس بعد المائتين وذكر خمس آيات منها في الجزء السابع بعد المائتين من هذا السفر ، وتتوالى الأجزاء إن شاء الله بهذا الخصوص بذكر آيات أخرى من آيات السلم.

الثالث : وجوه إنفاق مشركي قريش ، قال تعالى ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾^(٢).

الرابع : قانون شواهد عدم نسخ آية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٣).

الخامس : قانون عموم الدعوة إلى الهدى ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٤).

السادس : سياحة في رياض الصفات الحسنی ، وفي التنزيل ﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥).

السابع : قانون منافع آيات الأنبياء.

(١) سورة الكافرون ٦.

(٢) سورة الانفال ٣٦.

(٣) سورة الكافرون ٦.

(٤) سورة يونس ١٠٨.

(٥) سورة الشورى ١١.

الثامن : قراءة في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

التاسع : قانون القسمة الثنائية لأشهر السنة :

الأول : الأشهر الحل .

الثاني : الأشهر الحرم .

العاشر : الإجابة القطعية عن حرمة الشهر .

الحادي عشر : إخبار القرآن عن القتال في الشهر الحرام من الغيب .

الثاني عشر : قانون الشرك غي ، وفي وصية لقمان لابنه ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

الثالث عشر : قانون خصائص آية البحث .

الرابع عشر : قانون عدم التعارض بين آيات الدفاع وإرادة السلم

المستديم .

الخامس عشر : قانون إبتداء المشركين بالقتال .

السادس عشر : قانون القتال كبير .

السابع عشر : قانون مكث النبي (ص) في مكة جهاد وسلم لبيان عدم

التعارض بين الجهاد والسلم ، وأن الجهاد لا يعني القتال وحده ، ويمكن

تأسيس قانون وهو أن الجهاد واقية من القتال .

الثامن عشر : أسباب النزول .

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) سورة لقمان ١٣ .

- التاسع عشر : قانون حرمة القتال في الأشهر الحرم.
العشرون : قانون تفسير القرآن بعضه بعضاً.
الحادي والعشرون : قانون إحصاء آيات السلم والسلام وفي التنزيل ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(١).
الثاني والعشرون : لماذا يصد المشركون الناس عن البيت الحرام.
الثالث والعشرون : مدة حصار الطائف.
الرابع والعشرون : قانون الأشهر الحرم نعمة متجددة.
الخامس والعشرون : يوم بُعث وإعجاز القرآن الغيري.
السادس والعشرون : من أسباب معركة بُعث وأثرها.
السابع والعشرون : قانون التباين بين أيام العرب ومعركة بدر قال تعالى مخاطباً النبي ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).
الثامن والعشرون : قانون الصلاة سلم متجدد.
التاسع والعشرون : استحداث قوانين في الإعجاز.
الثلاثون : قانون تعدد موضوع آيات السلم.
الحادي والثلاثون : قانون عدم نسخ آيات الموادة.
الثاني والثلاثون : قانون إلغاء النسئ ومن مصاديق هذا الإلغاء نعته بالكفر ، قال تعالى ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).
الثالث والثلاثون : قانون تعضيد النبي (ص) للقرآن.
الرابع والثلاثون : قانون شواهد الدفاع .

(١) سورة يس ١٢.

(٢) سورة الزمر ٩.

(٣) سورة البقرة ١٠٦.

وفي كل من هذه القوانين علوم مستقراً من آيات القرآن وما فيها من الكنوز العقائدية والكلامية لتكون فاتحة لمدارس مستحدثة في علوم التفسير، وإظهار لذخائر القرآن ، ليكون من عمومات قوله تعالى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١) ، وفي بيان هذه الآية ورد عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ﴿كل يوم هو في شأن﴾ قال : من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويرفع قوماً ، ويضع آخرين^(٢).

الحمد لله حمداً دائماً أبداً على نعمة حسن الهيئة ، إذ قال تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٣).

الحمد لله على تمام الصحة وسلامة الأعضاء ، ودرء الفتن ، والوقاية من المكر.

الحمد لله على نعمة الأمن والرزق الكريم الذي أبى سبحانه إلا أن يجعله أضعاف الحاجة الخاصة والعامة لتنتفي معه أسباب الحسد ، فما رزق الله عز وجل غيرك جعل عندك مثله ، وإن اختلف في الماهية أو الكم أو الكيف ، وقال تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٤).

الحمد لله الذي جعل كل آية من القرآن سبيلاً للرزق ، والإرتقاء في سلم المعارف.

وقد أنعم الله عز وجل علينا بصدور هذا الجزء من التفسير وهو التاسع بعد المائةين ويختص بتفسير قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ

(١) سورة الرحمن ٢٩.

(٢) الدر المنثور ٣٦٠/٩.

(٣) سورة التين ٤.

(٤) سورة البقرة ٢١٦.

أُجْرِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١﴾.

وفيه تأويل وبيان واستنباط من رشحات الآية الكريمة التي هي دعوة سماوية جعلها الله عز وجل ذات صبغة يومية متكررة بتلاوة المسلمين لها في الصلاة اليومية ، وهو من الإعجاز في التداخل بين العالم العلوي والخلفاء في العالم السفلي ومنافعه التي لا يحصيها إلا الله ، ومنها المدد للناس مجتمعين ومتفرقين لتحقيق عبادتهم لله عز وجل ، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢).

ليكون من معاني آية البحث التذكير اليومي للأفراد والجماعات والأمم بالموت ، والإنقلاب إلى عالم الحساب وهو الأمر الذي كان يبينه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للناس على المنبر ، وعند توجيههم إليه بالسؤال. (عن ابن عمر ، أن رجلا من الحبشة أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله ، فضلتنا بالألوان والنبوة .

أفرايت إن آمنت بمثل ما آمنت به ، وعملت بمثل ما عملت به ، إني لكائن معك في الجنة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نعم . ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من قال : لا إله إلا الله ، كان له بها عهد عند الله ، ومن قال : سبحان الله ، كتب الله له مائة ألف حسنة فقال : يا رسول الله ، كيف نهلك بعد هذا .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : والذي نفسي بيده ، إن الرجل يوم القيامة ليجيء بالعمل ، لو وضع على جبل لأثقله ، فتقوم النعمة من نعم الله ، فتكاد تستنفذ ذلك كله ، لولا ما يتفضل الله به من رحمته ، ثم نزلت

(١) سورة آل عمران ١٨٥.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

﴿هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾^(١) ، إلى قوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾^(٢).

فقال الحبشي : يا رسول الله ، وهل ترى عيني في الجنة مثل ما ترى عينك ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نعم . فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر : فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدلّيه في حفرته^(٣).

الحمد لله الذي صرف عنا البلاء ، وأمدّ في عمري حتى إتمام هذا الجزء وأسأله تعالى المزيد ومضاعفة الأجزاء كما وكيفاً ومفاتيح للعلم وأسألکم التفضل بالدعاء ، والله عز وجل هو القائل ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤). الحمد لله الذي بعزته وعظيم قدرته سخر لنا هذا العلم وجعل القلم يجري بأيدي العلماء من الأولين والآخرين لتعظيم شعائر وهداية الناس إلى معالم الإيمان .

وعن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء^(٥).

الحمد لله الذي جعل ذكره زينة المجالس ، ووسيلة للمغفرة والفوز بالأجر والثواب ، وهو من الدلائل على أن الأجور التي ذكرتها آية البحث تأتي بالذكر والتسبيح أيضاً .

(١) سورة الانسان ١.

(٢) سورة الانسان ٢٠.

(٣) الطبراني / المعجم الأوسط ١٠١/٤ .

(٤) سورة غافر ٦٠.

(٥) الدر المنثور ١٩٨/٤.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَوْمُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ بَدَلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ^(١).

ومعنى سبحان الله أي تنزيهه سبحانه وتعظيمه وتقديسه.

ومن الآيات في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر من التسبيح ويرغب أهل بيته وأصحابه بالتسبيح مما يدل على أنه لا يسعى إليه.

ورد (عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج من بيته حين صلى الصبح وجويرية^(٢))، جالسة في المسجد ثم رجع حين تعالى النهار فقال لم تزال في مجلسك قالت نعم قال لقد قلت أربع كلمات ثم رددتها ثلاث مرات لو وزنت بما قلت لو زنتها سبحان الله وبحمده ولا إله إلا الله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلمات)^(٣).

نعم من منافع الآية التي يختص بتفسيرها هذا الجزء أنها باعث للمسلمين للصبر في ميادين الدفاع، وهو الأمر الذي أفزع الكفار، وجعلهم يتفقهرون وينسحبون من الميدان، وفيه شواهد تاريخية كثيرة بالذات والواقعة والأثر المترتب عليها، ففي معركة بدر أصر المشركون على القتال.

وفي رسالة ابن إسحاق (عن أشياخ من الأنصار، قالوا: لَمَّا اطمأنَّ القومُ بعثوا عميرَ بنَ وهبَ الجُمَحيَّ فقالوا: احزروا لنا أصحابَ مُحَمَّدٍ، قال فاستجالَ بفرسه حولَ العسكرِ ثم رجعَ إليهم فقال ثلاثُ مئةَ رجلٍ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أو يَنْقُصُونَ وَلَكِنْ أَمُهَلُونِي حَتَّى أَنْظُرَ أَلِقَوْمَ كَمِينٍ أو مَدَدٍ)^(٤).

(١) مسند أحمد ٤٢/٢٥.

(٢) جويرية بنت الحارث من بني المصطلق زوجة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) النسائي / السنن الكبرى ٤٨/٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٦٢٢/١.

ورجع اليهم ليخبرهم بأنه ليس من مدد للمسلمين وهو من الشواهد على قلة عدد المسلمين مقابل كثرة عدد المشركين الذين كانوا نحو ألف مجهزين بالأسلحة ولو استطاع المشركون هزيمة المسلمين لقتلوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ولصار الطريق بينهم وبين المدينة مفتوحاً ، وليس في المدينة رجال من المسلمين يكفون لصددهم ومنعهم من استباحتها.

فلجأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى سلاح وعدة غير موجودة عند جيش المشركين وهو الدعاء ، ففضل الله عز وجل وأنزل الملائكة مدداً وعوناً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئْتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١).

ليكون الدعاء طريقاً للسلم والأمن ، ودفع القتال ومنع المشركين من الغزو ، وهذا الدعاء من الصراط في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٢).

حرر في الحادي عشر من شهر محرم الحرام ١٤٤٢
٢٠٢٠/٨/٣١

(١) سورة الأنفال .٩

(٢) سورة الفاتحة .٦

قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الآية ١٨٥.

الإعراب واللغة

قرأ عبد الله بن عمر: الغرور: بفتح الغين، وقرأ أبو حيوة والأعمش: {ذائقة} بالتثوين {الموت} بالنصب^(١).
 والمدار على ما هو مرسوم في المصاحف.
 كل نفس: كل: مبتدأ مرفوع بالضمة، وهو مضاف، وكل: سور: الموجبة الكلية.
 نفس: مضاف إليه مجرور بالكسرة.
 ذائقة الموت: ذائقة خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.
 الموت: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة تحت آخره.
 وإنما: الواو حرف عطف، إنما: كافة ومكفوفة.
 توفون: فعل مضارع مبني للمجهول، مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعل.
 أجوركم: مفعول به منصوب بالفتحة (وكم) ضمير مضاف إليه.
 يوم: ظرف زمان منصوب تتعلق به (يوفون).
 القيامة: مضاف إليه مجرور بالكسرة، ومن إعجاز نظم الفاظ القرآن أن لفظ (القيامة) ورد فيه سبعين مرة، جاء فيها مضافاً إليه والمضاف فيها جميعاً هو (يوم).

(١) المحرر الوجيز ٥٤/٢.

فمن زحزح : الفاء حرف عطف .
 من : اسم شرط جازم مبني في محل رفع مبتدأ .
 زحزح : فعل ماض مبني للمجهول ، ونائب الفاعل ضمير مستتر
 جوازاً تقديره هو .
 عن النار : عن : حرف جر : النار اسم مجرور ، وعلامة جره الكسرة ،
 وهو متعلق بـ (زحزح) .
 وأدخل : الواو حرف عطف : أدخل فعل ماض مبني للمجهول ،
 ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو .
 الجنة : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره .
 فقد فاز : الفاء رابطة لجواب الشرط .
 قد : حرف تحقيق ، فاز : فعل ماض مبني على الفتح ، والفاعل ضمير
 مستتر جوازاً تقديره هو .
 وما الحياة : الواو حرف استئناف .
 ما : نافية مهيولة .
 الحياة : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره .
 الدنيا : نعت للحياة مرفوع مثله ، وعلامة رفعه ضممه مقدرة على الألف
 منع من ظهورها التعذر .
 إلا متاع : إلا أداة حصر .
 متاع : خبر الحياة مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ،
 وهو مضاف .
 الغرور : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة .
 (ذاقَ يذوقُ ذوقاً ومذاقةً ومذاقاً وذواقاً ، وذواقه ومذاقه طيب أي
 طعمه)^(١) .

(١) العين ٤٠٩/١ .

وفي سبب نزول قوله تعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(١) ، أن أبا جهل قال:
ايوعدني محمد وأنا أعز من مشي بين جبليةا.

في سياق الآيات

صلة آية البحث بالآيات المجاورة على شعبتين :

الشعبة الأولى : صلة آية البحث بالآيات المجاورة السابقة ، ونكتفي
بذكرها دون الشعبة الثانية ، وهي صلة آية البحث بالآيات التالية ، ونذكر
من الشعبة الأولى وجهان فقط :

الوجه الأول : صلة آية البحث بالآية السابقة ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ

مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(٢) وفيه مسائل :

المسألة الأولى : إبتدأت آية البحث بصيغة الجملة الخبرية وبيان قانون
يحكم الحياة الدنيا وأهلها ، فليس من إنسان إلا ويدركه الموت ، وهو من
مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣)
وإبتدأت آية السياق وهي الآية السابقة بالجملة الشرطية ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ في
خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل يصح تقدير أول آية البحث : يا نبي الله كل نفس ذائقة الموت)
محاكاة للآية السابقة من حيث جهة الخطاب ، الجواب نعم .

فان قلت وردت آية البحث بلغة الجمع بقوله تعالى ﴿وَأِنَّمَا تُوَفَّوْنَ

أُجُورَكُمْ﴾^(٤) .

(١) سورة الدخان ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٤ .

(٣) سورة فاطر ١٥ .

(٤) سورة آل عمران ١٨٥ .

الجواب لا تعارض بين الأمرين ، إذ أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يدخل في الخطاب العام فهو الرسول والإمام وأن الناس جميعاً بما فيهم الأنبياء يذوقون مفارقة الروح للجسد .

المسألة الثانية : لما ابتدأت الآية السابقة بقوله تعالى ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾

أخبرت آية البحث عن قانون وهو حلول الموت بالناس جميعاً ، فهو قريب منهم ، وما يمر يوم على الإنسان إلا ويقرب فيه من أجله ، ويدنو منه كرب الموت ، إذ يزحف كل طرف منهما إلى الآخر من غير أن يتعارض هذا المعنى مع قوله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾^(١).

ليترشح عنه التذكير بقانون وهو أن ما بعد الموت حساب من غير عمل ، وأن الآيات الكونية والمعجزات تشهد للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على صدق رسالته ، وأن التكذيب بالنبوة والرسالة لا يجلب لأهله إلا الأذى والضرر .

ومن معاني الجمع بين الآيتين (فإن كذبوك بأن كل نفس ذائقة الموت) مما يدل على الغفلة والعناد الذي يتصفون به ، فلا أحد يستطيع إنكار طرو الموت على كل إنسان .

ويبين القرآن قانون موت الأنبياء مع علو منزلتهم ، وشأنهم عند الله ، وحملهم للرسالة وقيامهم بالتبليغ والجهاد في سبيل الله ، قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢) ،
للدلالة على موت غير الأنبياء من الناس من باب الأولوية القطعية.

(١) سورة لقمان ٣٤.

(٢) سورة آل عمران ١٤٤.

ومن إعجاز آية البحث أنها لم تقف عند ذكر الموت إنما ذكرت ما بعد الموت من الوقوف بين يدي الله للحساب والجزاء وعالم الثواب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١).

المسألة الثالثة : ابتدأت آية السياق بصيغة الجملة الشرطية ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ

فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾.

أما آية البحث فابتدأت بصيغة الجملة الخبرية ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾^(٢) ،

والتي تتضمن العموم الشامل لكل الناس ، ومن مصاديق الجمع بين بدايتي الآيتين الإنذار للذين كفروا ، وفيه دعوة للمسلمين للصبر وتحمل الأذى ، وعن خباب قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في ظل الكعبة متوسداً بردة له فقلنا يا رسول الله ادع الله تبارك وتعالى لنا واستنصره قال فاحمر لونه أو تغير.

فَقَالَ لَقَدْ كَانَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ يَحْفَرُ لَهُ حُفْرَةً وَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ مَا يَصْرِفُهُ عَن دِينِهِ وَيَمْسُطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمٍ مِّن لَّحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ عَن دِينِهِ وَلِيَتِمَّنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ^(٣).

وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لصنعاء أو حضرموت من علم الغيب ، وبشارة انتشار الإسلام ، وهل يختص الأمر بجهة اليمن ، الجواب لا ، فقد وردت نصوص بخصوص العراق والشام .

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة آل عمران ١٨٥.

(٣) مسند أحمد ٨٣/٤٣.

وهل قوله تعالى ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ من الخطابات الخاصة بالنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾^(١)، الجواب نعم بقرينة ذكر الرسل والتكذيب بهم ، ويحتمل هذا التكذيب من جهة المتعلق وجوهاً :

الأول : إرادة كل الناس المحيطين بالرسول والذين تم تبليغهم ، قال تعالى ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٢).

الثاني : شطر من الناس الذين وصلتهم دعوة الرسول ، وهو على شعبتين :

الأولى : الأكثر هم الذين كذبوا الرسل.

الثانية : الأكثر هم الذين صدقوا بالرسل.

الثالث : المراد أيام الرسول وما بعدها.

لقد تلقى الدعوة النبوية في بداياتها عدد من المؤمنين ثم صار العدد يزداد بالأفراد والجماعات القليلة إلى أن تم صلح الحديبية فصارت القبائل والجماعات تدخل في الإسلام.

ثم جاء فتح مكة لتدخل قريش في الإسلام وتحاول هوازن وثقيف الوقوف برزخاً دون دخول الناس الإسلام بالسيف والدم فكانت معركة حنين لتتكس شوكتهم ، ويدخل الناس أفواجا في الإسلام لوجود المقتضي وفقد المانع ونزل قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(٣).

(١) سورة الاعراف ١٥٨.

(٢) سورة النور ٥٥.

(٣) سورة النصر ١-٢.

وإذا كانت الرؤية البصرية لدخول الناس الإسلام جلبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والناس المعاصرين فان السورة أعلاه جعلت رؤية الناس في كل زمان لهذا الدخول بالقلب والإستحضار الذهني للشواهد التاريخية.

وهل من موضوعية لقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١)، ومضامين آية البحث وما فيها من البعث على النجاة من مقدمات دخول النار. الجواب نعم ، لقد أدرك الناس أن الإيمان الطريق إلى الجنة ، فلذا تفضل الله عز وجل وجعل كل مسلم ومسلمة كل يوم سبع عشرة من ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢).

المسألة الرابعة : تقدير آية السياق ، بلحاظ مضامينها وتكذيب الناس للرسول ، على وجوه :

الأول : فان كذبوك يا رسول الله.

الثاني : فان كذبوك يا نبي الله.

الثالث : فان كذبوا المعجزات التي جئت بها.

الرابع : فان كذبوا نزول القرآن من عند الله.

الخامس : فان كذبوا الوعد والوعيد الذي تنادي به في فجاج مكة ،

وأيام موسم الحج ونزلت آيات القرآن بخصوصه .

ومن خصائص السور المكية إتصافها بالقصر والتخويف والوعيد ، وإذ

ذكرت آية السياق تكذيب الناس بالرسول ، فقد جاء القرآن بذكر عاقبة

(١) سورة آل عمران ١٨٥.

(٢) سورة الفاتحة ٦.

التكذيب ، منه قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِلَطَاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(١) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما أرسل الله سبحانه من ريح إلا بمكيال ، ولا قطرة من ماء إلا بمكيال ، إلا يوم عاد ويوم نوح ، فإن الماء يوم نوح طغى على الخزائن فلم يكن لهم عليها سبيل ، ثم قرأ : بريح صرصر عاتية^(٢) .

وعن الإمام علي عليه السلام قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بمكيال على يدي ملك إلا يوم نوح ، فإنه أذن للماء دون الخزان ، فطغى الماء على الخزان ، فخرج فذلك قوله ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾^(٣) .

ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت ، فذلك قوله {بريح صرصر عاتية}^(٤) عتت على الخزان^(٥) .

المسألة الخامسة : من معاني الجمع بين الآيتين الوعيد للذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأکید قانون وهو أن الرسل السابقين قد ماتوا ، وكذا الذين صدقو بهم والذين كذبوا بهم في أيام رسالتهم ليبدأ عالم الحساب ، إذ أن الآخرة دار حساب من غير عمل .

وهل قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِمَةٌ الْمَوْتِ﴾^(٦) ، من البيئات والكتاب المنير الذي جاء به الأنبياء أم لا ، الجواب هو الأول ، ومن خصائص آية السياق أنها

(١) سورة الحاقة ٤-٦ .

(٢) الكشف والبيان ١٣/٣٥٤ .

(٣) سورة الحاقة ١١ .

(٤) سورة الحاقة ٦ .

(٥) الدر المنثور ١٠/٨٨ .

مواصلة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن كثرة البيئات التي جاء بها لا تمنع شطر من الناس من تكذيبه وإنكار نبوته .

فابتدأت آية البحث بقانون وهو كل إنسان لابد وأن يغادر الدنيا ، وهذه المغادرة محصورة بهيئة واحدة وهي صيرورته جثة هامدة ، سواء بالموت أو القتل ، وإذا ورد بخصوص السموات والأرض قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٢) .

فهل الموت يأتي طوعاً أو قهراً الجواب هو الثاني ، إذ أنه يأتي للإنسان قهراً ، ولا عبرة بالقليل النادر ممن يختار قتل نفسه والانتحار ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبُوا مُوَجَلَاءَ وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرُدُّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَّزِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٣) .

ومن معاني ﴿يَاذْنِ اللَّهِ﴾ أن الأمر خارج عن إرادة الإنسان .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس { كل نفس ذائقة الموت } (٤) قال : لما نزلت قيل : يا رسول الله فما بال الملائكة؟ فنزلت { كل شيء هالك إلا وجهه } (٥) فبين في هذه الآية فناء الملائكة والثقيلين من الجن والانس وسائر

(١) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٢) سورة فصلت ١١ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٥ .

(٤) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٥) سورة القصص ٨٨ .

عالم الله ، وبريته من الطير والوحش والسباع والأنعام ، وكل ذي روح أنه هالك ميت^(١).

المسألة السادسة : من معاني الجمع بين الآيتين أن تكذيب الناس للرسول لم يكن على نحو السالبة الكلية ، بدلالة تصديق المسلمين برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ليكون من وجوه تقدير الآية السابقة : فقد كُذِبَ رسل من قبلك وآمن بهم فريق من الناس .
ومن الإعجاز في بعثة كل رسول :

الأول : قانون إيمان جمع أو طائفة من الناس برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فليس من رسول إلا وهناك أمة يؤمنون ، ويصدقون بالمعجزات التي جاء بها .

الثاني : قانون صيرورة الذين يصدقون بالرسول حجة على غيرهم من الناس .

الثالث : قانون شدة الأذى الذي يلاقه الرسول مع مجيئه بالمعجزة .
الرابع : قانون إيمان رهط من الناس برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد مغادرته الدنيا .

وهل يمكن أن يكون هذا القانون من الشواهد على الفرق بين الرسول والنبي ، المختار لا ، فحتى النبي هناك من يؤمن بنبوته بعد مفارقتها الدنيا ، سواء عقب وفاته في الطبقة والجيل الذي بعده ، أو الأمم اللاحقة بورود ذكره أو معجزته في الكتب السماوي المنزلة .

ومن خصائص المسلمين التصديق بنبوة الأنبياء جميعاً ، وفي التنزيل ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

وفيه دعوة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالصبر على الذين كفروا ، وعدم الإنتقام منهم ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

ليكون من معاني الجمع بين آية البحث والسياق حمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لواء السلام بتحمل الأذى في جنب الله ، مع الإستمرار بالدعوة والتبليغ .

وما دام الله عز وجل هو الذي يأتي بالنصر للرسول فيكون من معاني الآية أعلاه : فأصبر على ما كذبوك وأذوك فسيأتيك نصرنا .

المسألة السابعة : لقد ابتدأت آية السياق بالجملة الشرطية ، وأختتمت بجملة خبرية .

أما آية البحث فابتدأت بجملة خبرية ، ثم جاءت جملة شرطية بقوله تعالى ﴿فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(٣).

وهل من دلالة على هذا التباين بين الآيتين أم أنه ينحصر بالإعجاز البلاغي ، وشد الأسماع للآية القرآنية ، الجواب هو الأول ، وكل من الجملة الشرطية والخبرية في المقام قانون ، لتكون كالاتي :

الأول : قانون بعثة الرسل قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (عن أبي أمامة قال : قلت : يا نبي الله كم الأنبياء؟

(١) سورة البقرة ٢٨٥ .

(٢) سورة الأنعام ٣٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٥ .

قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً^(١) .

الثاني : قانون فان كذبوك فقد كُذِبَ رسل من قبلك .

الثالث : قانون مجئ الأنبياء بالبينات والبراهين .

الرابع : قانون الأنبياء بشر يطراً عليهم الموت .

الخامس : قانون مجئ الأنبياء بالزبر .

والزبر جمع زبور وهو الكتاب والمواعظ والتذكير والبشارة والإنذار . إن عطف (الكتاب المنير) في آية السياق على الزبر يدل على التغاير بينهما ، ولو على نحو الموجبة الجزئية لبيان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجاهد بالوحي ويقوم بالتبليغ .

(والزبور: الكتابُ . والزبور: اسم الكتاب الذي أنزل على داود)^(٢) .

وفي حين ورد لفظ (الزبر) في القرآن خمس مرات .

فقد ورد لفظ (الزبور) فيه مرة واحدة بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ

مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣) ، وهو أعم من زبور

داود ، لذا ورد عن ابن عباس أنه قال : الزبور ، التوراة والإنجيل والقرآن ،

والذكر الأصل الذي نسخت منه هذه الكتب الذي في السماء والأرض ،

أرض الجنة^(٤) .

وعن مالك بن دينار قال : مكتوب في الزبور- وهو أول الزبور : طوبى

لمن لم يسلك سبيل الأئمة ، ولم يجالس الخطائين ، ولم يفسيء في هم

(١) الدر المنثور ٣/٢٩٨ .

(٢) العين ٢/٨٦ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٥ .

(٤) الدر المنثور ٧/١١٠ .

المستهزئين ، ولكن همه سنة الله عز وجل ، وإياها يتعلم بالليل والنهار ، مثله مثل شجرة تنبت على شط توتي ثمرتها في حينها ، ولا يتناثر من ورقها شيء ، وكل عمله بأمري ، ليس ذلك مثل عمل المنافقين^(١).

والمختار أن الزبر والزيور أعم من أن يختص بكتاب أحد الأنبياء ، وكأنه فرع اللوح المحفوظ ، قال تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾^(٢).

وهل يصح تقدير آية السياق ، قد جئت يا محمد بالبينات والزبر والكتاب المبين ، الجواب نعم لتكون معجزات الأنبياء رحمة عامة للناس . ومن لطف الله أن ما أثر به الأنبياء آيات باهرات ، خارقة للعادة لترغيب الناس بالإيمان ، وتجديد تجليات الحجة والبرهان .

وهل قوله تعالى ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ بشارة سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الإغتيال والقتل ، لأن التكذيب أعم أم لا ، المختار هو الثاني ، إنما تفيد الآية تحذير النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين من المشركين .

وقد قلت في الجزء الواحد بعد المائتين من هذا التفسير والخاص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(التكذيب أعم من القتل ، والقتل أشد وطأة ، وليس كل من يكذب الرسل يقوم بقتل الرسول أو يتواطئ على قتله ، وفيه دعوة للمسلمين لعدم استعمال السيف سلاحاً ضد الذين يكذبون بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويدل عليه الأمر بالجدال الحسن ، ومنه آيات القرآن ، قال تعالى

﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣)(١).

(١) الددر المنشور ٢٩٠/٦ .

(٢) سورة القمر ٥٢ .

(٣) سورة النحل ١٢٥ .

المسألة الثامنة : لقد ورد قوله تعالى ﴿إِنَّ كَذَّبُوكَ﴾ ثلاث مرات في

القرآن وهي :

الآية الأولى : ما ورد في آية السياق والتي جاءت بعد آية قربان ودعوى أن الرسل السابقين يأتي كل واحد منهم بقربان تأكله النار ، لأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت بهذا القربان فأنهم سيكذبونه ، لذا قال تعالى ﴿فَإِنَّ كَذَّبُوكَ﴾ فأخبرت الآية عن تكذيب شطر من الناس للرسل مع مجيئهم بما هو أعظم من القربان إذ أظهروا المعجزات التي تدل على صدق نبوتهم .

لتكون آية السياق من آيات شهادة المسلمين على الناس وقوله تعالى ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٢) إذ تجعل آية السياق المسلمين يشهدون على أمور :

الأول : تكذيب طائفة من الناس للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعجزات التي جاء بها .

الثاني : وجود قانون مع بعثة كل نبي هناك قانون وهو : تكذيب طائفة من الناس برسالته .

فمن إعجاز القرآن أنه يجعل المسلمين مؤهلين للشهادة للأنبياء بقيامهم بالتبليغ بها ، والله عز وجل رزقهم البراهين والمعجزات التي تدل على صدق نبوتهم ، كما يشهدون على الذين أصرروا على تكذيبهم .

وروى عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (أن الأمم السالفة تقول لهم : كيف تشهدون علينا ولم تشاهدونا ، فيقولون أعلمنا نبي الله بما أنزل عليه من كتاب الله)^(١) وهناك أمران :

(١) الجزء السابع والتسعون بعد المائة من تفسيرنا معالم الإيمان في تفسير القرآن ص ١٠٨ .

(٢) سورة البقرة ١٤٣ .

أولاً : قانون صلة بين قانون التكذيب هذا ، وهبوط إبليس إلى الأرض ، الجواب نعم .

ثانياً : هل يبقى المكذبون للرسول على حالهم من حيث العدد والجمهور بالتكذيب وشدة إيذاء الرسل وأصحابهم ، الجواب لا ، فمن معاني ودلالات قوله تعالى في آية السياق ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(١) أن الناس يتدبرون بهذه الآيات ، ويزداد عدد المؤمنين مع كل يوم ، ويقابله النقص في عدد المكذابين للرسول .

وهو الذي تجلّى في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد زحف عشرة آلاف من المشركين في معركة الخندق في السنة الخامسة للهجرة ليطوقوا مدينة الرسول ويهددوا باقتحامها واستباحتها ، فلما رد الله كيدهم ، وقال سبحانه ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(٢) عجز رؤساء الشرك من قريش عن جمع معشار هذا العدد عندما توجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لفتح مكة في السنة الثانية للهجرة ، وكان هذا العجز خزيًا للكفار ، ومصداقًا لقانون وهو : أن التكذيب بالرسول لن يضر الدعوة إلى الله .

ولا يمنع من تحقيق أسباب هداية الناس .

لذا جاءت آية البحث بتذكير الناس بأمور :

الأول : قانون وهو مجئ الموت للإنسان سواء آمن وصدّق بالأنبياء أو أنه

لم يصدق بهم .

فلا بد أن يموت ويغادر الدنيا .

(١) النكت والعيون ١/١٠١ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٤ .

(٣) سورة الأحزاب ٢٥ .

الثاني : قانون هذه المغادرة بداية لعالم جديد.

الثالث : قانون عالم الحساب والجزاء .

(عن المستورد ، قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكروا الدنيا والآخرة ، فقال بعضهم : إنما الدنيا بلاغ للآخرة فيها العمل وفيها الصلاة وفيها الزكاة ، وقالت طائفة منهم : الآخرة فيها الجنة ، وقالوا ما شاء الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم فأدخل إصبعه فيه فما خرج منه فهي الدنيا)^(١).

ومن خصائص القرآن أن الآيات التي نزلت بخصوص عالم الآخرة كثيرة ومتعددة المضامين والدلائل بما يجعلها حاضرة في الوجود الذهني عند الإنسان ليستحضرها في عالم القول الفعل ، وتجعله يدرك أنه في عالم سفر ومقبل على الرحيل ، ويحتاج الى متاع في بيداء يكون المدار فيها على العمل فيبادر إلى فعل الصالحات ، ويتجنب إرتكاب السيئات ، قال تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢).

فمن فضل الله عز وجل على الإنسان هدايته لتصور أحوال عالم الحساب والجزاء وهو في الدنيا .

المسألة التاسعة : أخبرت آية البحث عن إيفاء الأجر والثواب يوم القيامة لبيان مسألة وهي أن المؤمن يلقي شطراً من أجره في الحياة الدنيا ، وجاءت الآية بصيغة الجمع لبيان الأجر العام إلى جانب الأجر الخاص ، ومن العام وجوه :

(١) المستدرك ٢٧٠/١٨.

(٢) سورة الزلزلة ٧-٨.

الأول : قانون رفع الضعف والذل عن المسلمين ، كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرِّ وَاتُّمُ أَذَلَّةً...﴾ (١).

الثاني : قانون إنقطاع المعاناة في الأبدان .

الثالث : قانون توالي أفراد الرزق الكريم ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٢).

الرابع : قانون تغير أحوال الناس في المدينة ، وإزدهار أسواقها .

الخامس : قانون إحترام المسلمين من شرور المشركين سواء في مكة قبل الهجرة أو بعد الهجرة إذ يلزم هذا الإحترام أهلية وتوفيقاً من عند الله .

المسألة العاشرة : وردت مادة ﴿كُذِبَ﴾ مرتين في آية السياق ، وبينهما عموم وخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق بينهما ، أما مادة الإلتقاء فمن جهات :

الأولى : صيغة الفعل لكل منهما .

الثانية : إتحاد الموضوع وهو تكذيب الرسل .

الثالثة : صفة التنزيل لكل منهما ولغة الجملة الخبرية .

الرابعة : توجه الخطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ وحتى قوله تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فإنه أيضاً خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدليل من قبلك .

(١) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٢) سورة الطلاق ٢-٣ .

وهل يدل هذا اللفظ على إرادة الخطاب الخاص للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجواب نعم ، فلا يخاطب بلفظ ﴿رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أيام نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا هو إذ لا نبي مصاحب لأيام حياته ، وليس من نبي بعده .

الخامسة : اتحاد صفة الرسالة بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرسل السابقين ، قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد) (١).

ومعنى أولاد علات أي كالإخوة لأب واحد وهم من أمهات شتى ، وسميت هذه الأمهات علات لأن الزوجة الجديدة كالعلة بالنسبة للزوجة السابقة ، لبيان وجود وجوه شبه بين الأنبياء وأن النسبة بينهم هي العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء بينهم وأخرى للإفتراق ، ومن مادة الإلتقاء أمور :

الأول : قانون الوحي ، فليس من نبي إلا ويوحى الله عز وجل ، وبين الوحي للرسول والوحي للأنبياء عموم وخصوص مطلق ، فالوحي للرسول أظهر وأبين ، إذ أن الرسول يرى الملك عياناً ، ويسمع منه ، بينما النبي يسمع الوحي من غير أن يرى الملك ، وقد يأتي الوحي إلى النبي برؤيا منام ولكنه يدرك أنها وحي ، نعم لا يقف الأمر عند هذه الكيفية من الوحي إذ يسمع النبي الملك الذي يبعثه الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٨٣.

(٢) سورة الشورى ٥١.

الثاني : قانون المعجزة والأمر الخارق الذي يجري على يد النبي أو الرسول.

وتحتمل المعجزة بين النبي والرسول وجوهاً :

أولاً : التساوي ، إذ تكون معجزة النبي والرسول بمرتبة واحدة .

ثانياً : معجزة الرسول أظهر وأقوى من معجزة النبي .

ثالثاً : معجزة النبي أظهر وأبين من معجزة الرسول .

رابعاً : التباين في الإتحاد والتعدد .

وأن معجزات الرسول أكثر من معجزات النبي ، والمختار هو الثاني والرابع ، كما يتبين التعدد في معجزات عدد من الأنبياء عليهم السلام .

السادسة : مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرسول السابقين بالحجج الباهرة التي تدل على صدق نبوتهم بحيث يكون تكذيب أي واحد منهم حجة على الذين يكذب بنبوته ، قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

السابعة : مناجاة الذين كفروا بالتكذيب بالرسالة ، لذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً ، قال تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

الثامنة : ترشح الأذى عن تكذيب الأنبياء ، ولحوق الضرر بالناس خصوصاً ذات الذين يكذبون بالرسول ، إذ أنهم يظلمون أنفسهم وغيرهم ،

(١) سورة الحديد ٢٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٤ .

فلذا تعقت آية البحث آية السياق بالتذكير بالموت وأنه عاقبة كل إنسان ،
ليكون من معانيه أن الذين كذبوا الرسل يلقون العذاب الأليم .

ومن فضل الله عز وجل والحجة على الناس أن النبوة ليست مكتسبة ،
ولو اجتهد المؤمن بالعبادة والتقوى والإمساك عن القبائح والمكروهات فانه
لا ينال النبوة ، إنما هي باختيار من عند الله ، وفي التنزيل ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ

يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١) وقال تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

والنسبة بين النبوة والحكمة في الآية أعلاه عموم وخصوص مطلق ،
فالنبي يؤتى الوحي والتنزيل والحكمة ، و(عن ابن عباس في قوله { يؤتى
الحكمة من يشاء }^(٣)) قال : المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه
ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله^(٤).

وقال السدي {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ} : هي النبوة^(٥).

ولكن الحكمة أعم من النبوة ، وانقطعت النبوة بوفادة النبي محمد صلى
الله عليه وآله وسلم إلى الله عز وجل بدليل آية البحث ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ﴾^(٦) وبقيت نعمة الحكمة فضلاً من الله عز وجل على الناس وأوتاداً
في الأرض لتثبيت عبادة الناس لله عز وجل .

(قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): الحكمة ضياء المعرفة،

وميراث التقوى .

(١) سورة الأنعام ١٢٤.

(٢) سورة البقرة ٢٦٩.

(٣) سورة البقرة ٢٦٩.

(٤) الدر المنثور ٢/٢٠٥.

(٥) الكشف والبيان ٢/١١٠.

(٦) سورة آل عمران ١٨٥.

وما أنعم الله على عبد من عباده نعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة قال الله عزوجل: يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب) (١).

التاسعة : كل من الرسل جاء بالكتاب المنزل من عند الله عز وجل .
أما مادة الإفتراق فمن جهات :

الأولى : تكذيب الكفار للنبي فهو حال وعند نزول القرآن ، أما تكذيب الكفار للرسل السابقين فقد فات أوانه ، لبيان علم التأريخ في القرآن ، والذي ملاكه هداية الناس للإيمان ، قال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢) .
وهل قوله تعالى في آية البحث ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ من القصص التي تشير إليها الآية أعلاه ، الجواب نعم بلحاظ موت الأجيال السابقة وبقاء التراث والأطلال .

الثانية : تكذيب الكفار للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو القضية الشخصية لخصوص نبوته ، بينما ذكرت الآية تكذيب الكفار للرسل السابقين على نحو العموم المجموعي ، والذي ينحل أيضاً لإرادة تكذيب كل رسول .

الثالثة : القوم الذين كذبوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم غير الأقسام الذين كذبوا رسلهم ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمُ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ

(١) أنظر البحار ١/٢١٥ .

(٢) سورة يوسف ٣ .

وَعَادِ وَنَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾.

الرابعة : التباين في الكتاب المنزل ، فقد اختص الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنزول القرآن ، وجعله الله عز وجل ﴿تَبَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) ، قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٣) ومهيماً أي شاهداً على الكتب السماوية السابقة بالصحة.

المسألة الحادية عشرة : لقد ذكرت آية البحث يوم القيامة ، وفيه شاهد بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالإخبار عن الميعاد ، ووجوب استعداد الناس له ، وهناك مسألتان :

الأولى : هل جاء الأنبياء السابقون بالتذكير باليوم الآخر.

الثانية : هل يعلم الذين كذبوا الأنبياء باليوم الآخر ، وحمية الوقوف بين يدي الله للحساب .

أما المسألة الأولى ، فالجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٤).

وأما المسألة الثانية ، فالجواب نعم ، إذ يدل تكذيبهم للأنبياء على التكذيب بالمعاد الذي هو من أصول الدين ، وتدل آية البحث على إتخاذ

(١) سورة التوبة ٧٠.

(٢) سورة النحل ٨٩.

(٣) سورة المائدة ٤٨.

(٤) سورة الأنعام ٤٨.

كل نبي الإخبار عن يوم القيامة وسيلة مباركة لجذب الناس لسبل الهداية والإيمان ، والزجر عن الكفر والضلالة والتكذيب .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قال : ما من عبد مؤمن يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ، وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ازداد حسرة) (١).

ويكون المعاد بالبدن والروح ، إذ يبعث كل إنسان من قبره بذات البدن الذي فارق به الحياة الدنيا ، وليس البدن المثالي الذي تتلبس به الروح في عالم البرزخ كالذي يرى في المنام .

وورد لفظ (المعاد) مرة واحدة في القرآن بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي

فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢) .

وعن ابن عباس : المعاد في الآية أعلاه مكة (٣).

والمختار أن المعاد في الآية خاص ، وعام ، والعام هو الجنة لبيان أن القرآن يدعو إلى الآخرة ، ويبشر المؤمنين بالثواب باللبث الدائم في الجنة ، وفيه بعث للسكينة في نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإخبار بأنه قام بالتبليغ وأداء الرسالة .

المسألة الثانية عشرة : لقد ذكرت آية البحث الثواب والأجر ، وفيه ترغيب بالعمل الصالح ، وفيه دعوة للذين يكذبون الأنبياء بالتوبة والإنابة ، ومن خصائص الشريعة الإسلامية وجوب قراءة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات في اليوم ، لتكون هذه القراءة على وجوه :

(١) الكشف والبيان ٢٧٧/١٣ .

(٢) سورة القصص ٨٥ .

(٣) المحرر الوجيز ٢١٢/٥ .

الأول : تثبيت الإيمان في نفوس المؤمنين ، قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ

أَمَّنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

الثاني : التفكير في عالم الآخرة ، وعظيم الثواب الذي ذكرته آية البحث بقوله تعالى ﴿تُوفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢) ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ

وَأَنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُتُوكَمُ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾^(٣).

الثالث : ترغيب الناس بالإقرار بيوم القيامة ، والإتيان بالصالحات التي يترتب عليها الثواب.

لقد ذكرت الآية الأجور ، فهل على ذات الإقرار باليوم الآخر أجر و ثواب ، أم لا بد من عمل واجتهاد .

الجواب هو الأول ، فصحيح تجب الملازمة بين الاعتقاد باليوم الآخر والعمل له ، إلا أن ذات الإقرار فيه أجر و ثواب.

المسألة الثالثة عشرة : ذكرت آية البحث الزحزحة عن النار وهو التنحي والإبتعاد عنها .

ومن إعجاز الآية مجئ الفعل بصيغة المبني للمجهول ﴿زُحِّجَ﴾ لبيان أن

الإنسان لا يقدر بنفسه على إجتناّب القرب من نار الآخرة، قال تعالى ﴿أَمْ

لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْتَنَى * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾^(٤) فيحرص الإنسان في الدنيا

على رفع الأذى عن نفسه ، وإن كان قليلاً ، أما في الآخرة فانه يرجو رحمة الله لا بعباده عن النار .

(١) سورة الملك ٢٩.

(٢) سورة آل عمران ١٨٥.

(٣) سورة محمد ٣٦.

(٤) سورة النجم ٢٤-٢٥.

ومن معاني الجمع بين الآيتين أن الذين كذبوا الأنبياء من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم من الأنبياء ليس عندهم من الأجور ، والشواب ما يجعلهم يتزحزون ، ويتعدون عن النار بصالح أعمالهم يوم تعطل رغائبهم وقدراتهم .

ومن معانيه التذكير بالموت ، وطرد الغفلة عن الناس بخصوصه ، ومن مسائل هذا التكرار بلحاظ آية السياق مسائل :

الأولى : إن الله عز وجل الذي يخبر عن قانون حتمية زيارة الموت لكل إنسان ، وبه بعث الأنبياء والرسل .

الثانية : من وظائف الأنبياء الإخبار عن قانون ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ لتكون آية البحث من الشواهد على وجوه الالتقاء بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء السابقين .

الثالثة : إخبار الأنبياء الناس عن الموت ، وتحذيرهم من مباغتته للعبد من غير أن يأخذ أهبة الإستعداد له ، وهو من مصاديق الحجة في قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١) .

الرابعة : بيان لطف الله المتتالي بالناس ، والذي تأتي مصاديق متعددة منه دفعة ، وتتوالى وتتعاقب أخرى على الناس مجتمعين ومتفرقين ، وهو من تذكير الله الناس بالموت وإن كذبوا الرسل وقتلوا بعضهم ، لقوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ إِذِ انْتُم صَادِقِينَ﴾^(٢) .

(١) سورة النساء ١٦٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٣ .

الخامسة : ترغيب الناس بالتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاذا كذب أقوام برسلمهم ودعوتهم إلى الهدى وفعل الصالحات ، فان الله عز وجل يدعو الناس إلى الإنتفاع من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلقيها بالتصديق وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١).

ويبادر الناس إلى الإنتفاع الأمثل من رسالته ، ولا تختص معاني الرحمة بالسنة النبوية القولية والفعلية إذ جعل الله عز وجل لآيات القرآن إعجازياً غيرياً منه هداية الناس لسنن الإيمان .
وتبين آيات القرآن قانوناً وهو : التصديق بالأنبياء والرسل من أركان الإيمان .

وقيل أركان الإيمان ستة :

الأول : قانون الإيمان بالله ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ وَأَلَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٢).

الثاني : قانون الإيمان بالملائكة ، وهل يلزم معرفة بعض أسماء الملائكة مثل جبرئيل وميكائيل ، الجواب لا ، وفي تعلمها أجر وثواب .

الثالث : قانون الإيمان بالكتب السماوية المنزلة ، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾^(٣).

الرابع : قانون الإيمان بالرسل .

الخامس : قانون الإيمان باليوم الآخر .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة التغابن ١١.

(٣) سورة البقرة ٤.

السادس : قانون الإيمان بالقدر خيره وشره ، وفي التنزيل ﴿وَخَلَقَ كُلَّ

شَيْءٍ قَدْرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(١) ، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٢) .

وقد ورد الإيمان بالقدر خيره وشره في أحاديث نبوية عديدة ، وأخرج أحمد عن عامر أو أبي عامر أو أبي مالك : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما هو جالس في مجلس فيه أصحابه ، جاءه جبريل عليه السلام في غير صورته ، فحسبه رجلاً من المسلمين ، فسلم فرد عليه السلام .

ثم وضع يده على ركبتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال له : يا رسول الله ما الإسلام؟

قال : أن تسلم وجهك لله ، وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده

ورسوله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة .

قال : فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال : نعم .

قال : ما الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة ،

والكتاب ، والنبين ، والموت ، والحياة بعد الموت ، والجنة والنار ،

والحساب والميزان ، والقدر خيره وشره .

قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت قال : نعم .

ثم قال : ما الإحسان؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه

فهو يراك قال : فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت ، قال : نعم .

قال : فمتى الساعة يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم : سبحان الله ، خمس لا يعلمها إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

(١) سورة الفرقان ٢ .

(٢) سورة القمر ٤٩ .

وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيُعَلِّمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ
بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ (٢).

المسألة الرابعة عشرة : لقد ورد لفظ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ثلاث مرات في القرآن ، وتستقرأ منها دروس ومواعظ بلحاظ نظم الآيات التي وردت فيها كما سيأتي في باب (علم المناسبة) (٣).

ويتضمن الجمع بين آية البحث وآية السياق وجوهاً :

الأول : ينتظر الموت الذين قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَمَحْنٌ أَغْنِيَاءُ﴾ (٤) ،
ليتركوا أموالهم خلفهم ، ويبقى عليهم وزرها إن كانوا جمعوها بالباطل ،
وحبسوا ما يترتب عليها من الحقوق الشرعية ، قال تعالى ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا
فِي نَارِ جَهَنَّمَ تَكْوِي بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَأُخْرُؤُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسِكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ﴾ (٥).

الثاني : تتضمن الآية الإخبار بأن الأنبياء السابقين قد ماتوا وكذا الذين
قتلوه ، ليقفوا بين يدي الله للحساب ، وبعث الله عز وجل النبي محمداً
صلى الله عليه وآله وسلم ليحيي ذكرى الأنبياء ، ويدعو للتصديق بنبوتهم ،
وينزل القرآن بالإخبار عن جهادهم.

الثالث : ثقل وكبر وزر قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ (٦) يوم القيامة

(١) سورة لقمان ٣٤.

(٢) الدر المنثور ٨/١٠٠.

(٣) أنظر ص ١١٩.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

(٥) سورة التوبة ٣٥.

(٦) سورة آل عمران ١٨١.

المسألة الخامسة عشرة : أختتمت آية البحث بقانون وهو الدنيا متاع

الغرور ، وفيه وجوه :

الأول : بيان أن إنكار الكفار للربوبية المطلقة لله عز وجل من هذا

الغرور.

الثاني : إنداع الذين كفروا بالحياة الدنيا ، ومباهجها فانشغلوا بها عن

التدبر بمعجزات الأنبياء وتصديقهم.

الثالث : دعوة الناس للتفكر في حقيقة الدنيا ، وكيف أنها تخفي عيوبها

عن الناس فيظنون أنها دائمة ، وأن زينتها مستمرة ، بينما يتخطفهم منها

دون أن تحول دونه ، وليس لها أهلية إرجاء موت شخص ولو لدقيقة

واحدة.

الرابع : الدنيا متاع ومنعة ومنفعة للتزود لعالم الآخرة ، يتنعم الإنسان

فيها بالمال والملك ولكنه لا يستمر معه إنما يستمر معه وينفعه التصديق

بالنبوات ، وليس التكذيب بالأنبياء ومعجزاتهم .

الوجه الثاني : صلة آية البحث بقوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ

الْحَرِيقِ﴾^(١) وفيه مسائل :

المسألة الأولى : إبتدأت كل من الآيتين بالجملة الخبرية ، وبقانون ﴿كُلُّ

نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وهو يفضح ويخزي الجاحدين الذين يقولون ﴿إِنَّ اللَّهَ

فَقِيرٌ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سورة آل عمران ١٨٥.

ومن معاني الجمع بين الآيتين أن الإنسان الذي يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ يعجز عن دفع الموت عن نفسه ، ومن غنى الله عز وجل أنه وحده الحي الدائم الباقي ، وفي التنزيل ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾^(١) .

وفي حين ورد ذكر قول الكافرين ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ مرة واحدة في القرآن ، فقد ذكر الموت وحتمية زيارته الإنسان في آيات كثيرة منه .
المسألة الثانية : ابتدأت آية البحث بالإشراقه اليومية للقانون السماوي وهو ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) على النفوس والمنتديات ، وهل فيه تعريض وتوبيخ للذين قالوا إن الله فقير ، الجواب نعم ، من جهات:
الأولى : موت الإنسان دليل على فقده وفاقته .

الثانية : لا يقدر على إماتة الخلق إلا الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٣) .

الثالثة : من أسماء الله عز وجل (الغني) إذ أنه سبحانه يتصف بالغنى المطلق من وجوه كثيرة منها :

- الأول : الله عز وجل غير محتاج .
الثاني : كل شيء يحتاج إلى الله سبحانه .
الثالث : إفتقار الخلائق مجتمعة ومتفرقة إلى الله عز وجل .

(١) سورة الفرقان ٥٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة الأعراف ١٥٨ .

ومن تحتاج إليه الخلائق ليس بفقير ، ومع هذا فالله سبحانه لم ينتقم من الذين قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾^(١) ، ولكنه لم يترك كلامهم سدى بل أنزل فيه قرآناً ، لوجوه :

أولاً : الندامة في نفوس الذين كفروا ، وحثهم على التوبة والإنابة ، قال تعالى ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٢) .

ثانياً : إتعاض الناس وإمتناعهم عن محاكاة الذين قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ خاصة وأن النسبة بين الذين كفروا والذي قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ هي العموم والخصوص المطلق ، فالذين قالوا هذا القول فئة وجماعات منهم .
ثالثاً : بيان الأذى الذي يلاقه الأنبياء والذين آمنوا .

رابعاً : في الآية شاهد على أن دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تتصف بالسلم والأمن ، فلم ينزل قرآن بالانتقام ممن قال ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ ، ولم يقم المسلمون بمؤاخذتهم ومعاقبتهم ، بل إنهم يتعاهدون تلاوة هذه الآية ، وفيها حفظ للسلم المجتمعي مع إتصافها بأنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

خامساً : إذا كان الله عز وجل لا ينتقم من الكافرين الذين يتعدون على مقام الربوبية ، فمن باب الأولوية أن يصبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون على الأذى الذي يأتيهم من الكفار .

(١) سورة آل عمران ١٨١ .

(٢) سورة النبأ ٤٠ .

فان قلت قد ورد إنتقام من الله بالذين كفروا والمكذبين بالرسل في آيات متعددة منها ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قُرْبَةَ كَانَتْ أَمِنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١).

الجواب لقد أخبرت الآية أعلاه عن كفر أهل البلدة وجحودهم بالنعمة فتفضل الله عز وجل وابتلاهم بما يؤدي إلى هدايتهم ووقف تماديهم في الغي ، وإلى اتعاظ الناس منهم.

الرابع : من أسماء الله الغني ، والمغني وفي الحديث النبوي (لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة ، وورد فيها ذكر اسم المغني واسم الغني)^(٢) .

الخامس : إظهار الفقر الى الله الغني نوع عبادة ومنسأة في الأجل .
السادس : الله الغني الذي يعطي في كل طرفة عين للخلائق من غير أن تنقص خزائنه ، وعن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام (في العرش مثال كل شيء خلقه الله في البر والبحر ، وهو تأويل قوله تعالى: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه)^(٣).

السابع : التسليم بالفقر إلى الله الغني رضا وغنى وقناعة في الدنيا ، وباب للأجر والثواب .

الثامن : يكون من معاني آية البحث بخصوص اسم (الغني) مسائل :
الأولى : كل نفس ذائقة الموت لأن الحياة والموت بيد الله الغني ، ومن غنى الله عز وجل أن جعل موت الخلائق بيده لم يأذن لملك أو رسول بتعيين الأجل ، وكيفية الموت ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ

(١) سورة النحل ١١٢.

(٢) أنظر الدر المنثور ٤/٣٧٥.

(٣) الكشف والبيان ٧/٣٤٤.

الغَيْثُ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ .

الثانية : كل نفس ذائقة الموت حتى أولئك الذين يقولون إن الله فقير .

الثالثة : كل نفس ذائقة الموت ، فليمنع الذين يقولون إن الله فقير الموت

عن أنفسهم إن استطاعوا ، قال تعالى ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُعْزُونَ﴾ ﴿٢﴾ .

الرابعة : كل نفس ذائقة الموت ، ولا ينتقص من ملك الله شيء .

الخامسة : سيذوق الذين كفروا مرارة الموت ، وشدة من ملك الموت

عند قبض أرواحهم ، وكأنه يذكرهم بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ فَكِيرٌ وَخَبِيرٌ أَعْيَاءٌ﴾ .

(عن السدي قال : لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت أن يأذن

له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له ، فأتى إبراهيم وليس في البيت ، فدخل

داره وكان إبراهيم من أغير الناس إذا خرج أغلق الباب .

فلما جاء وجد في بيته رجلاً ثار إليه ليأخذه ، وقال له : من أذن لك أن

تدخل داري؟

قال ملك الموت : أذن لي رب هذه الدار ﴿٣﴾ .

قال إبراهيم : صدقت ، وعرف أنه ملك الموت .

قال : من أنت؟

(١) سورة لقمان ٣٤ .

(٢) سورة المؤمنون ١٠٠ .

(٣) أي أذن لي ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ سورة إبراهيم ٢ .

قال : أنا ملك الموت جئتك أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلاً .
 فحمد الله وقال : يا ملك الموت أرني كيف تقبض أرواح الكفار؟
 قال : يا إبراهيم لا تطيق ذلك . قال : بلى .
 قال : فأعرض ، فأعرض إبراهيم ثم نظر فإذا هو برجل أسود ينال
 رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ، ليس من شعرة في جسده إلا في
 صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار ، فغشي على إبراهيم ثم
 أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى .
 فقال : يا ملك الموت لو لم يلق الكافر عند موته من البلاء والحزن إلا
 صورتك لكفاه .

فأرني كيف تقبض أرواح المؤمنين؟

قال : فأعرض .

فأعرض إبراهيم ثم التفت ، فإذا هو برجل شاب أحسن الناس وجهاً ،
 وأطيبه ريحاً ، في ثياب بياض .

قال : يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة
 إلا صورتك هذه لكان يكفيه . فانطلق ملك الموت .

وقام إبراهيم يدعو ربه يقول : رب أرني كيف تحيي الموتى حتى أعلم
 أنني خليلك .

قال : أو لم تؤمن؟ يقول : تصدق بأنني خليلك . قال : بلى ، ولكن
 ليطمئن قلبي بخلولتك .^(١)

وكذا ورد عن الإمام الرضا عليه السلام بخصوص قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْكَمْ

تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(١) (إن الله تبارك وتعالى كان

أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: أني متخذ من عبادي

خليلاً " إن سألتني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام: أنه ذلك الخليل، فقال : رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي " على الخلة^(١).

المسألة الثالثة : لقد توجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الله عليه وآله وسلم بدعوته الرسالية إلى الناس جميعاً ، ومن الآيات أنه يدعو الحر والعبد ، والغني والفقير ، والسيد والمملوك ، والعربي والمولى ، والرجل والمرأة ، وكذا كانت استجابة الناس له من مختلف الطبقات والأعمار ، لتكون دعوته حرباً على العنصرية والطائفية والطبقية بدليل التساوي في الحقوق والواجبات ، ووقوف الجميع متصافين خمس مرات في اليوم بين يدي الله عز وجل مظهرين فيها العبادة له تعالى ، وفرحين بالأخوة الإيمانية ، إذ أن هذا الوقوف في الصلاة وأداء الصيام والحج مظاهر التساوي بينهم ، ومصاديق متجددة لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(٢).

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾^(٤) وحينما تنزل فريضة من الله فانها تنزل بقرآن كما في الصلاة والصيام والزكاة والحج والخمس ، قال تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٥).

ومع أن الأمر من الله بصيغة التذكير يشمل الرجال والنساء ، إنما يرد التذكير للغائب ، فقد نزل القرآن بالأمر للنساء بالصلاة والزكاة مع قيد خاص ، وهو أن يلزمن بيوتهن ومنع التبرج كما في الجاهلية ، قال تعالى

(١) سورة البقرة ٢٥٠.

(٢) البحار ٧٩/١١.

(٣) سورة الحجرات ١٠.

(٤) سورة الأنعام ١٤٩.

(٥) سورة النور ٥٦.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١).

وعن محمد بن سيرين (قال : نبئت أنه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما لك لا تحجّين ، ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟! فقالت : قد حججت ، واعتمرت ، وأمرني الله أن أقر في بيتي ، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت قال : فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنازتها) (٢).

(عن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لنسائه عام حجة الوداع هذه ، (ثم ظهور الحصر) (٣).

قال : فكان كلهن يحجن إلا زينب بنت جحش ، وسودة بنت زمعة ، وكانتا تقولان : والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (٤).

لقد آمنت طائفة من الناس برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصدقوا بالمعجزات ، ولكن فريقاً من الناس جحدوا بها ، وأقاموا على عبادة الأوثان والتزلف إلى الأصنام .

ولما تفضل الله عز وجل وأنزل فريضة الزكاة ورغب بها ، وقال سبحانه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

(٢) الدر المنثور ٨/١٥٥.

(٣) أي تؤدين هذه الحجة ثم تلزمن بيوتكن ، والحصر بضمه جمع حصير وهو الذي يبسط في البيت كناية عن اللبث الدائم في المنزل .

(٤) الدر المنثور ٨/١٥٥.

وَالَّذِينَ تَرْجَعُونَ ﴿١﴾ ، قال بعضهم ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ ﴿٢﴾ ، إذ أنه يسألنا أموالنا والله سبحانه هو الذي رزقهم ، وهم يعلمون إنما يسألهم الله الصدقة لأنفسهم إذ يعطونها للفقراء فيرزق الأغنياء البركة والسعة والمضاعفة التي تدل عليها الآية الأخرى .

ومن الآيات في التشريع أن الله حرم الربا وأكل المال أضعافاً بالباطل بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣﴾ ، فإن الله عز وجل أنعم على الناس وجعل مضاعفة المال بالصدقة ، وهذه المضاعفة على وجوه :

الأول : الرزق الكريم في الحياة الدنيا .

الثاني : النماء والبركة في المال ، بلحاظ أن المراد من المضاعفة في قوله تعالى ﴿يُضَاعَفْ لَهُ﴾ أعم من الزيادة والكثرة العددية .

الثالث : مضاعفة الأجر والثواب ليكون قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

الْمَوْتِ﴾ ﴿٤﴾ ، بشارة مضاعفة الأجر ، وباعثاً لإفشاء الصدقة والمبادرة إلى الإحسان للغير ، فمن الإعجاز الغيري للقرآن ترغيب الناس بدفع الصدقات ، والمبادرة إلى الإحسان للغير ، والعفو عن الناس والزجر عن الإرهاب ، وتنمية ملكة التنزه عن سفك الدماء ، وتدلل عليه الدراسة المقارنة ، والتباين في سوء حال العرب قبل البعثة النبوية ، وسيادة حسن الخلق والإنضباط وحرصهم على الأمن والإيمان بعدها .

(١) سورة البقرة ٢٤٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٨١ .

(٣) سورة آل عمران ١٣٠ .

(٤) سورة آل عمران ١٨٥ .

المسألة الرابعة : لقد قال الذين كفروا ﴿ وَحَسِّنُوا صَوَابَكُمْ بِالرِّسَالِ ﴾ (١) ويريدون بالغنى كثرة الأموال ، إنما كثرت أموالهم وصاروا أغنياء بفضل من الله ، ولو شاء الله لجعلهم فقراء ولتلقوا آية الصدقات بالرضا والغبطة ، وطلبوا من الأغنياء إعانتهم إمثالاً لأوامر الله عز وجل ، وهل في قولهم هذا تعريض بالمسلمين أو لا أقل بفقراء المسلمين وأن الله لو شاء لأنزل خزائن الأموال مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويجعل له من الحجر ذهباً.

والجواب قد اتخذ الأنبياء الفقر جلباباً ، مع حثهم على السعي والكسب وعن (أبي سعيد الخدري يقول يا ايها الناس اتقوا الله ولا يحملنكم الغرة على ان تطلبوا الرزق من غير حله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم احشرنني في زمرة المساكين ولا تحشرنني في زمرة الاغنياء فان اشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة) (٢).

وقال تعالى ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَأَلْبَسُوا ثِيَابَهُ ﴾ (٣) وحتى على فرض التعريض بالمسلمين ، فلم تمر الأيام والليالي حتى صار المسلمون في حال غنى وثمت أموالهم ، وهو من الإعجاز الغيري للقرآن ، وأراد الله عز وجل بالحض على الصدقات ، وإخراج الزكوات الفوز بالرحمة في الدنيا والآخرة لمن يبادر إلى إخراجها .

(عن بلال قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل معروف صدقة ، والمعروف يقى سبعين نوعاً من البلاء ويقى ميتة السوء ،

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) السنن الكبرى / البيهقي ١٣/٧.

(٣) سورة الملك ١٥.

والمعروف والمنكر خلقان منصوبان للناس يوم القيامة ، فالمعروف لازم لأهله ، والمنكر لازم لأهله ، يقودهم ويسوقهم إلى النار^(١).

المسألة الخامسة : لقد توجه الخطاب في آية البحث للمسلمين بالفوز بالأجر الكريم يوم القيامة على العمل الصالح ، وهل يشمل الذين كفروا وقالوا (ان الله فقير) بلحاظ أن المراد من الأجور المعنى الأعم .

الجواب لا دليل على هذا المعنى ، والأجر هو (جزاء العمل ، أجر يأجرُ، والمفعول: مأجور. والأجيرُ : المُستأجرُ.

والإجارة: ما أعطيت من أجرٍ في عمل. وآجرتُ مملوكي إيجاراً فهو مؤجر)^(٢).

ويقال الأجر على حسب ما عملت ، فليس لقول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ من أجر أو ثواب مما ذكر في آية البحث والذي يدل في مفهومه على الإنذار للذين كفروا ، وبعث الحسرة في نفوسهم على جهرهم بكل من :

الأول : الجحود والكفر.

الثاني : الصدود عن الدعوة النبوية للإنفاق في سبيل الله.

الثالث : التعدي وظلم النفس بقول (إن الله فقير).

الرابع : إرادة منع الناس من دخول الإسلام وعزوفهم عن إخراج الزكاة والإنفاق في سبيل الله فحينما يقولون (إن الله فقير) يريدو بيان عدم الحاجة للإنفاق في سبيل الله ، وهو سبحانه لو شاء لأنزل الذهب والفضة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فمن معاني قولهم (ان الله

(١) الدر المنثور ٥/١١١.

(٢) العين ١/٤٨٩ .

فقير) هل الله فقير فیسألنا الصدقة والإقراض ، لقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

الخامس : تفاخر الكفار بكثرة أموالهم ، وهذا التفاخر حجة عليهم من جهات :

الأولى : كثرة الأموال فضل من عند الله تترشح عنه نعم كثيرة في الأبدان والحياة اليومية ، وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (يا أبا ذر ، أترى كثرة المال هو الغنى ؟ قلت : نعم .

قال : وترى أن قلة المال هو الفقر ؟

قلت : نعم يا رسول الله . قال : ليس كذلك إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب)^(٢).

الثانية : قانون وجوب حق الله في الأموال ، ولا يختص قانون الزكاة بالمسلمين ، ولا ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي عيسى ورد في التنزيل ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(٣).

الثالثة : لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار امتحان وابتلاء ، ومنه المال فهو فتنة واختبار ، أراد الله عز وجل للناس أن يتخذوه وسيلة للنجاة ليكون من معاني آية البحث وجوه :

(١) سورة البقرة ٢٤٥.

(٢) المستدرک على الصحيحین ٣٠٤/١٨.

(٣) سورة مريم ٣١.

أولاً : فمن زحزح عن النار بالكسب الحلال ، وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال :

عن شبابه فيما أبلاه .

وعن عمره فيما أفناه .

وعن ماله من أين كسبه .

وفيما أنفقه

وما عمل فيما علم^(١) .

ثانياً : فمن زحزح عن النار بالإنفاق والبذل في سبيل الله ومساعدة

المحتاجين .

لقد أراد الله عز وجل أن يرى إعانة عباد المساكين ، والإحسان إليهم ، ليكون نوع طريق لإستدامة حال الغنى ، ولكن الذين كفروا استكبروا وقبضوا أيديهم .

فجاءت آية البحث لإنذارهم بإخبارهم أن الموت ينتظرهم ، كما أنه زاحف إليهم ، لا تمر ساعة من نهار إلا يعرضون عليه طوعاً وكرهاً ، ويتقرب إليهم ليلتقيان بقبض الروح في الأجل المحتوم ، قال تعالى ﴿ وَكُلُّهُمْ آخِذٌ

بِأُحْمُرٍ مُّسْمًى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾^(٢) .

ثالثاً : فمن لم يزحزح عن النار لإصراره على القول إن الله فقير ونحن

أغنياء .

(١) الكشف والبيان ٣٠٤/١١ .

(٢) سورة فاطر ٤٥ .

رابعاً: فمن أدخل الجنة بالإِنفاق في سبيل الله ورجاء الثواب وفي التنزيل ﴿أَنَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَّةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

المسألة السادسة : لقد ابتدأت آية البحث بصيغة العموم (كل نفس) فهل قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٢)، بذات الصيغة.

الجواب بينهما عموم وخصوص مطلق ، فليس من أحد صد عن السبيل بهذا القول إلا وقد سمعه الله ، سواء قاله في سوق أو متدى أو في البيت .

وهل يشمل النساء في مخادعهن ، الجواب نعم ، إنما جاءت صيغة التذكير للغالب .

وتقدير الآية أيضاً : قد سمع الله قول اللاتي قلن إن الله فقير ونحن أغنياء .

ولو كانت المرأة الكافرة تمنع زوجها عن الإيمان والإِنفاق في سبيل الله فهل هو من مصاديق قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٣) ، الجواب لا ، صحيح أنها تؤثم خاصة بذات المنع ، وما إذا كانت سبباً لهذا القول ، ولكن موضوع الآية هو جهة صدور قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

وجاءت آية البحث لوجوه :

الأول : تفكر الناس بالموت ، وهذا التفكر برزخ دون قول ﴿إِنَّ اللَّهَ

فَقِيرٌ﴾.

(١) سورة الانفال ٢٨.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

الثاني : إخبار الآية عن حتمية الموت فضح لبطلان قول (ونحن أغنياء).
الثالث : التذكير بعالم الجزاء ، وأن الكفر وقول الباطل طريق إلى النار، ومانع من إيجاد الشفيع ، قال تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذُ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِّبِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(١).

والآزفة : القيامة ، من الأزوف والإزدلاف ، وهو القرب ، لقرب يوم القيامة خاصة وأن الإنسان إذا مات قامت قيامته فيغلق باب العمل ويفتح باب الحساب ، مع فضل ولطف من عند الله بثوابه من استغفار الأحياء له وعملهم الصالحات نيابة عنه كالحج والصلاة والزكاة.

ولو كان شخص يقول في حياته ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٢) ، ومات فورث أولاده تركته وانفقوا منها في سبيل الله ، وأخرجوا الزكاة والخمس ، وحجوا نيابة عنه أو استأجروا من يحج عنه ، فهل ينفعه عملهم هذا أم لا ، المختار نعم ينفعه ، ويخفف عنه العذاب .

وهل يزحزحه عن النار إذا مات كافراً ، الجواب لا دليل عليه ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(٣).

وقد يقال هل من إستثناء لأن المراد من الآية أعلاه الذين ماتوا على الكفر وليس لهم ورثة مؤمنون يدعون لهم ويستغفرون لهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ

(١) سورة غافر ١٨.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

(٣) سورة محمد ٣٤.

رَحِيمٌ ﴿١﴾ ، الجواب قال تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٢) والأمر موكل لمشئته الله وسعة رحمته في الآخرة .

وهل قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَيَحْزَنُ أُغْنِيَاءُ﴾ من الصدّ عن سبيل الله ، الجواب نعم .

لذا فان آية البحث رحمة بالناس ، ومانع من إرتكاب المعاصي ، ولا يعلم الذين زحزحوا عن الباطل والفواحش لاستحضارهم الموت وما بعده من الأهوال إلا الله عز وجل ، فأية البحث إصلاح في الأرض ، وتنقيح لعالم الأفعال.

المسألة السابعة : لقد تكررت مادة (قال) أربع مرات في آية السياق ، ولم ترد في آية البحث مع أنها ذكرت تمام الأمور لبيان مسألة وهي موضوعية القول في عالم الأفعال وحضورها عند الحساب ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ (٣).

وقد تقدم في تفسير ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ (٤) ، أن المراد سماع الله عز وجل لكل أقوال المجاهدين ، وأنه لا يختص بقولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَيَحْزَنُ أُغْنِيَاءُ﴾ (٥) (٦) ، وفيه وجوه :

(١) سورة النجم ٣٩ .

(٢) سورة محمد ٣٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٨١ .

(٤) سورة آل عمران ١٨١ .

(٥) سورة آل عمران ١٨١ .

(٦) أنظر الجزء السابع والثمانين بعد المائة من هذا السفر ص ٢٤٩ .

الأول : منع الذين كفروا من التماذي في ضروب الجحود والإستكبار ، وتضمنت آية البحث إعانتهم للإنزجار عن هذا التماذي بالإخبار بأن الدنيا دار الغرور فلا يغتروا ولا يركنوا إليها.

الثاني : ذم وتوثيق العناد والإستكبار لتتعظ منه الأجيال المتعاقبة .

الثالث : دعوة الذين كفروا إلى التوبة والإنابة ، وهل يشترط في التوبة في المقام إنفاقهم في سبيل الله ، أم يكفي فيها إظهار الندامة عن قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَخِيرٌ وَكَرِيمٌ﴾^(١) ، الجواب لا بد من الإنابة والهدى والصلاح .

وقولهم ﴿نَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ أي بكثرة الأولاد والأموال والأنعام والأملآك وتعلق الزكاة في أموالنا ، فنزلت آية البحث بعدها بأربع آيات لتخبر عن قانون وهو أن الموت يأتي على أنفسهم ، وينقلهم عن الدنيا إلى غير عودة أبداً كما ينقل الذين يؤدون الزكاة وينفقون في سبيل الله ، مع التباين في أمور :

الأول : إآتمال إرجاء الموت بفضل من الله عن الذي ينفق المال قرابة إلى الله ، ويساعد الفقراء ويقضي حوائج الناس ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكُتَابِ﴾^(٢).

عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء ، ويذهب الله بها الكبر والفخر^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٨١ .

(٢) سورة الرعد ٣٩ .

(٣) الدر المنثور ٢/٢١٨ .

عن أبي بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أعواد المنبر يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإنها تقيم العوج ، وتدفع ميتة السوء ، وتقع من الجائع موقعها من الشبعان^(١).

الثاني : صرف البلاء بالإنابة والبذل في سبيل الله ، وبقصد التجارة مع الله ، وإدخار الحسنات.

الثالث : نيل درجة إكرام وتخفيف في مواطن الحساب بسبب الصدقة والمعروف .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة^(٢).

المسألة الثامنة : لقد أمر الله عز وجل المؤمنين في كل زمان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والأمن من الأضرار ، وتتضمن آية البحث في مفهومها ودلالاتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ تدعو إلى الإستعداد للموت بالصدقة وإتخاذ المال واقية من العذاب .

فقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٣)، إخبار عن خروج الإنسان من الدنيا بالكفن وحده ، وعدم أخذه أمواله وتجارته معه ، وحالما يموت الإنسان تتحول ملكية أمواله إلى الورثة فالذين يقولون ﴿نَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ يصبحون فقراء بطرفة عين ، ثم جاء قوله تعالى ﴿وَإِنَّمَا تَوْفَنَ أَجُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٤)، خطاباً للذين آمنوا وعملوا الصالحات ليدل في مفهومه على إخبار

(١) الدر المنثور ٢/٢١٩.

(٢) الدر المنثور ٥/١١١.

(٣) سورة آل عمران ١٨٥.

(٤) سورة آل عمران ١٨٥.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(١)، بحرمانهم من الأجور يوم القيامة .

ومن أسباب الحرمان تدوين الملائكة لقولهم في الدنيا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾^(٢).

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ الوعيد ببعث اليأس في نفوس الكافرين من الأجور يوم القيامة فاذا سألوها أخرج لهم الكتاب الذي فيه استخفافهم بالنبوة والتنزيل ، واستكبارهم وامتناعهم عن الإمتثال للأوامر الإلهية .

المسألة التاسعة : تجلي التضاد بين ذكر آية البحث للجنة ، وذكر آية السياق للنار ، مع بيان على كل منهما ، فدخول الجنة بالإيمان والتقوى قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

أما دخول النار فبالشرك والضلالة والعتق ، ويكون تقدير أول آية البحث وآخر آية السياق : كل نفس ذائقة الموت ونقول للذين كفروا ذوقوا عذاب الحريق.

وهل يأتيهم العذاب على ذات القول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٤)، أم عليه وعلى إغواء الناس به ، وصيرورته سبباً لإمتناعهم عن دفع الصدقات وإخراج الزكاة .

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

(٣) سورة البقرة ١٨٠.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

الجواب هو الثاني ، لذا قال الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِيهِ
اللَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * تَأْنِي عَظْمَهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَبُذْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾^(١).

المسألة العاشرة : تضمنت آية السياق الوعيد للذين كفروا على قولهم
﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ وَخَسٌّ أَعْيَاءُ﴾^(٢) ، ليكون من باب الأولوية القطعية الوعيد
والذم على تلبسهم بالكفر الذي هو أصل لقولهم أعلاه ، أما آية البحث
فجاءت خطاباً للمؤمنين بالوعد الكريم .

وهل يدل قوله تعالى ﴿وَأَنَّمَا تُوفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٣) ، على الشهادة
لهم باقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله ، الجواب نعم .

فمن إعجاز القرآن اتحاد الموضوع في الوعد والوعيد ، ومجئ الوعد
على الإمثال في الواجبات وعلى الإمتناع في النواهي ، ومجئ الوعيد على
المعصية في الواجبات وعلى إرتكاب المعاصي .

وقد اثني الله عز وجل على الأنبياء في القرآن لتكون سيرتهم نبزاً ،
ومن كان جاحداً بنبوته محمد صلى عليه الإقتداء بالأنبياء السابقين وكل
واحد منهم جاء بفريضة الصلاة والزكاة والصيام ، وصحيح أن قوله تعالى
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤) ، ورد
بخصوص فرض الصوم على أهل الملل السابقة للإسلام ، ولكنه دليل على
فرض الصلاة والزكاة إلى جانب الأدلة الخاصة بكل فريضة منهما ، وقد

(١) سورة الحج ٨-٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٨١ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٤) سورة البقرة ١٨٣ .

تأتي آية جامعة لها كما في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(١).

قانون الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر خمس مرات في اليوم

تضمن قوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكُوبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٢)، الوعيد للذين كفروا بقوله تعالى ﴿سَنَكُوبُ مَا قَالُوا﴾ وقد تقدم في تفسيرها أن المراد من قولهم في الآية أعم من ذكرهم إن الله فقير ونحن أغنياء^(٣).

ليبان أن كتابة القول الذي يتضمن الجحود والإنكار للنبوات والمعجزات برزخ دون الزحزحة من النار، ليكون من معاني ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٤)، حضور ما كتب الملائكة على الإنسان من الأقوال والأفعال لتكون مادة للحساب.

فان قلت لم تذكر آية السياق إلا القول وكتابته، والجواب إن الله عز وجل يكتب كل أقوال وأفعال الإنسان إلا أن قرينة المقام جعلت ذكر الكتابة بخصوص القول، وفيه مسائل:

أولاً: شدة قبح قول ان الله فقير.

ثانياً: الإنذار للكافرين والمنافقين من التعدي في الكلام، ويحتمل الإنذار بلحاظ قوله تعالى ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٥) وجوهاً:

(١) سورة الأنبياء ٧٣.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

(٣) أنظر الجزء السابع والثمانين بعد المائة من هذا السفر.

(٤) سورة آل عمران ١٨٥.

(٥) سورة التوبة ٧٣.

الأول : تلاوة آية البعث من الإغلاظ والشدة على الكفار والمنافقين .
الثاني : إنها من الجهاد .

الثالث : إرادة الفرد الجامع للوجهين أعلاه .
 والصحيح هو الأخير ، لبيان قانون وهو أن تلاوة القرآن جهاد ، ويغني
 عن العنف وعن القتال ويبين قبح الإرهاب .

وهل تلاوة قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ من هذا الجهاد ، الجواب
 نعم ، لذا يتلوها المسلمون في صلاتهم كل يوم أو يتلون الآيات التي تذكر
 بالموت ، وتدعو إلى استقباله بالصالحات ، ومن فضل الله عز وجل كثرة
 الآيات التي تذكر الموت ، وعددها تسع وخمسون ومائة .
 وبلحاظ تكرار مادة (مات) في ثلاث آيات ، وقد تقدم أن مجموع مادة
 (مات) في القرآن اثنتان وستون ومائة مرة ، بما يلي على الإنسان
 استحضاره والرضا به .

ثالثاً : تفقه المسلمين في الدين ، والإحتراز من القول الذي لا يرضي الله
 عز وجل (عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قال: يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب) (١).

رابعاً : البعث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهل تلاوة آية
 البعث منه ، الجواب نعم .

وهو من الإعجاز في فوز المسلم والمسلمة بنيل مرتبة الأمرين بالمعروف
 والناهين عن المنكر ، ولتكون تلاوة آية البعث من مصاديق الزحزحة عن
 النار وأسباب دخول الجنة فيفاجئ المسلم يوم القيامة بنيل مرتبة الأمر
 بالمعروف والناهي عن المنكر خمس مرات في اليوم ، فيندهش إذ أنه يعلم
 بأن أياماً كثيرة من حياته تمر عليه ولم يأمر أو ينهى فيها ، وكذلك المسلمة

تساءل بأنها كانت تقضي أياماً عديدة حبيسة المنزل فكيف نالت هذه المرتبة العظيمة بالصفة والتعيين بقانون السمة أمرة بالمعروف ناهية عن المنكر خمس مرات في اليوم ، فيأتيها الجواب من عند الله إنها تلاوتها للقرآن في الصلاة.

فان قلت قد ورد في القرآن ما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كقائمه بقوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

والجواب المراد في الآية أعلاه المبادرة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على نحو القضية الشخصية ولغة المفاعلة بين الأمر والمأمور، والإكتفاء بمن سعى إليه ، وهو لا يمنع من إتصاف المسلمين كأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٢).

ومن الإعجاز في الصلاة أنها مصداق للأمر والنهي ومنه الجهر بالقراءة فيها لتكون مصداقاً للأمر والنهي ، وبرزخاً دون دخول النار ، وهل تكون قراءة المسلم في الصلاة حجة له وحجة عليه ، الجواب نعم ، للزوم العمل بمضامين ما يقرأ .

(عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه)^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

(٢) سورة الحج ٤١.

(٣) الدر المنثور ١/١٠٤.

و(وأخرج ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال : يا ابن عباس إني أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر قال : أو بلغت ذلك؟

قال : أرجو .

قال : فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله فافعل .

قال : وما هن؟

قال : قوله عز وجل { أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم } أحكمت

هذه الآية؟

قال : لا .

قال : فالحرف الثاني قال قوله تعالى { لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً

عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ^(١) أحكمت هذه الآية؟

قال : لا .

قال : فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب { ما أريد أن

أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه } ^(٢) أحكمت هذه الآية؟

قال : لا .

قال : فابدأ بنفسك . ^(٣)

وعلى فرض صحة سند الحديث فلا تصل النوبة إلى هذه الشروط

والمرتبة ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الكلبي المشكك الذي يكون

على مراتب متفاوتة يستطيع كل إنسان على أفراد منه ، ولا تتعارض مع

إصلاح الذات .

(١) سورة الصف ٣ .

(٢) سورة هود ٨٨ .

(٣) الدر المنثور ١/١٠٤ .

وكما يسمع الله قول الذين كفروا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَكِيرٌ وَتَحُنُّ أُغْنِيَاءُ﴾^(١)،
فانه سبحانه يسمع تلاوة المسلمين والمسلمات لآيات الزكاة والإنفاق في
سبيل الله ، كما يسمعها الذين كفروا فتتغشاهم الكآبة ، ويصيبهم الحزن
للتخلف عن الواجب الفطري بالإيمان ، وهل يحضر هذا السماع يوم
القيامة ليكون حجة عليهم ، الجواب نعم .

(عن أبي بن كعب قال : كانوا أمة واحدة حيث عرضوا على آدم ،
ففطروهم الله على الإسلام وأقروا له بالعبودية ، فكانوا أمة واحدة مسلمين ،
ثم اختلفوا من بعد آدم)^(٢) .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) ،
هو : وما خلقت الجن والإنس إلا لأعينهم على عبادتي ، ومن وجوه هذه
الإعانة الأمر بالصلاة وتلاوة التنزيل فيها ، وسماع الناس لها .

وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التلاوة منفصل عن قول
الذين كفروا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَكِيرٌ وَتَحُنُّ أُغْنِيَاءُ﴾ الجواب لا ، إذ هما في تعارض
وجدال وإحتجاج من طرف أهل التنزيل ، حتى يغلب الحق ، قال تعالى
﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٤) ، وكما يكتب الله قول الذين
كفروا فانه سبحانه يكتب تلاوة المسلمين والمسلمات للقرآن ، وما فيها من
التسليم بوجوب الإنفاق في سبيله تعالى ، والوعيد للذين كفروا على أمور :
الأول : الإمساك عن الإنفاق في سبيل الله .

(١) سورة آل عمران ١٨١ .

(٢) الدر المنثور ١/٤٨٧ .

(٣) سورة الذاريات ٦٥ .

(٤) سورة الانفال ٨ .

الثاني : إنفاق الذين كفروا أموالهم في المعصية والجحود ، قال تعالى ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَيَّ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(١).

الثالث : التجاهر بالفسوق والعناد والإستكبار بقول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَيَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٢) ، وفيه شاهد بالحاجة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عامة المسلمين ، ففضل الله عز وجل وجعل لهم الصلاة دعاء ومناسبة للإنذار من الحرمان من الزحزحة من النار .

وقد ورد التحذير لعامة المسلمين والمسلمات بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣) ليكون من معاني الآية : لا تكونوا كالذين كفروا ، إذ شغلتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله ، ولم يرد لفظ ﴿تُلْهِكُمْ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه .

ومن اللطف الإلهي في الأحكام الشرعية تقديم التيسير وأسباب الغبطة والسعادة فمثلاً قدمت آيات القرآن البشارة على الإنذار ، قال تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا

(١) سورة الانفال ٣٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٨١ .

(٣) سورة المتافقون ٩ .

عن أداء الفرائض العبادية أيام عمره فإنه لا يستطيع التحي والإبتعاد عن النار ، وأصل الزح هو (جذب الشيء في عجلة، زحه يزحه زحاً. والزحزة: التثحية عن الشيء. والزحزاح: البعيد) (١).
(قال ذو الرمة:

يا قابضَ الروحِ عن جسمِ عصى زَمناً... وغافرَ الذنبِ زَحْزِحني عن النارِ
وتقول: هو بزحزح عن ذلك، أي ببعد منه) (٢).

ومن معاني الزحزة تكرار الزح لبيان أن كل فعل عبادي يجذب الإنسان عن النار خاصة وأن شدة حرارة لهيها يحس بها من مسافة بعيدة .
كما جاءت مادة (زحزح) في الحديث النبوي بأحاديث منها :

الأول : (أخرج أحمد عن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه) (٣).

رواه الثعلبي عن عبد الله بن عمر يرفعه (٤) .

الثاني : (عن عبد الله بن عمر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يضرب خبائه ، ومنا من ينتضل إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصلاة جامعة فانتهيت إليه وهو يخطب الناس ويقول : أيها الناس إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيراً لهم ، وينذرهم ما يعلمه شراً

(١) المحيط في اللغة ١/١٥٥.

(٢) الصحاح في اللغة ١/١٥٥.

(٣) الدر المنثور ٣/٩.

(٤) الكشف والبيان ٣/٣٠٦.

لهم، الا وان عافية هذه الأمة في أولها سيصيب آخرها بلاء وفتن يرفق بعضها بعضاً .

تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه تهلكني ، ثم تنكشف ، ثم تجيء فيقول هذه وهذه .

ثم تنكشف فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يجب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع (١).

الثالث : عن صهيب قال (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟

ألم يبيض وجوهنا ؟

ألم يثقل موازيننا ، ألم يزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة ؟

فيكشف لهم عن الحجاب ، فينظرون إلى الله عز وجل ، فما شيء أحب إليهم من النظر إليه ، وهي الزيادة (٢).

الرابع : عن عائشة (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : خلق الله كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل فمن كبر الله ، وحمده ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل عظما عن طريق الناس ، وعزل حجرا عن طريقهم ، وأمر بمعروف ، ونهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاث مائة ، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار (٣) .

(١) الدر المنثور ١٨٥/٩ .

(٢) المعجم الأوسط للطبراني .

(٣) صحيح ابن حبان ٢٦١/١٤ .

الخامس : قال (رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ زَحَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ بِذَلِكَ سَبْعِينَ خَرِيفًا) ^(١) ويلاحظ في الأحاديث اختصاص موضوع الزحزحة بالنجاة من النار في الجملة .

وورد لفظ زحزح في الخبر عن أنس بن مالك قال (بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فوقف فسلم ، ثم نظر مجلسا يشبهه ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وجوه أصحابه ، أيهم يوسع له ، وكان أبو بكر جالسا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتزحزح له عن مجلسه وقال : ههنا يا أبا الحسن ، فجلس بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أبي بكر ، قال أنس : فرأيت السرور في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم أقبل على أبي بكر فقال : يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل) ^(٢) .

ومن إعجاز الآية أنها لم تذكر الزحزحة مرة أخرى إلى الجنة ، فلم تقل الآية وزحزح إلى الجنة لوجوه :

الأول : معنى الزحزحة هو الإبعاد .

الثاني : بيان أن الزحزحة من النار لا تعني دخول الجنة ، لذا جاءت الآية بمجرد العطف (الواو) في قوله تعالى ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ .

لإفادة المغايرة بين الحالتين ، ولم تأت الآية بالفاء ، فلم تقل (فأدخل الجنة) ليكون من السببية وقانون العلة والمعلول .

فلو جاءت الآية بالفاء (فأدخل الجنة) لأفادت ترتب دخول الجنة على الزحزحة من النار ، ولكن المراد من الآية تعدد مواطن الآخرة وعالم

(١) مسند أحمد ١٦/١٩٠ .

(٢) مسند الشهاب للقضاعي ٤/٢٦٩ .

الحساب ، وأن بين الزحزحة عن النار وبين دخول الجنة مراحل (عن عكرمة قال : سألت رجل ابن عباس ما هؤلاء الآيات { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة }^(١) ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه { في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون }^(٢)).

قال : يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة وخلق السموات والأرض في ستة أيام كل يوم ألف سنة ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه { في يوم كان مقداره ألف سنة } قال : ذلك مقدار المسير^(٣).

ومن خصائص القرآن أنه مصاحب لأيام الحياة الدنيا مع سلامته من التحريف والتبديل والتغيير ، ليتفرع عنه قانون وهو ملازمة قانون الزحزحة عن النار للناس في الحياة الدنيا ، فيدعوهم القرآن في كل يوم إلى الزحزحة عن النار ، وهذه الدعوة من تجليات تلاوة المسلمين لآية البحث في الصلاة والآيات التي تبعث النفرة من النار وتهدى إلى النجاة منها .

فان قلت قد تأتي على المسلم عشرات السنين من غير أن يقرأ آية البحث في الصلاة ، والجواب من جهات :

الأول : قد يقرأها خارج الصلاة .

الثاني : يسمع المسلم هذه الآية من غيره ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤).

(١) سورة المعارج ٤.

(٢) سورة السجدة ٥ .

(٣) الدر المنثور ١٠/١٠٠.

(٤) سورة الأعراف ٢٠٤.

الثالث : استحباب ختم القرآن كل أسبوع ، أو كل شهر وخصوصاً في شهر رمضان (عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال: " يا رسول الله، أقرأ القرآن في ثلاث.

قال: "نعم، إن استطعت" . قال: فكان يقرؤه كذلك حتى توفي) (١).

الرابع : من إعجاز القرآن وجود ذات الآية القرآنية في آية أخرى وإن اختلف اللفظ وتعدد المعنى .

الخامس : مجئ النصوص بالترغيب بقراءة سورة آل عمران وآية البحث هي الخامسة والثمانون بعد المائة من آياتها وعن (عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمعتة يقول: " تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة. قال: ثم سكت ساعة، ثم قال: " تعلموا سورة البقرة، وآل عمران، فإنهما الزهراوان، يُظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان أو غيايتان (٢)، أو فرقان (٣) من طير صواف، وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة.

فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟

(١) تفسير ابن كثير ٨٢/١.

(٢) أي سحابة وما يظل الرأس .

(٣) الفرقان هنا الجماعة من الطير.

فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً^(١).

ومن فضل الله عز وجل تلاوة كل مسلم ومسلمة قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) سبع عشرة مرة في اليوم، ومن الصراط المستقيم الزحزحة عن النار، لبيان قانون وهو أن موضوع الصراط المستقيم عام وشامل لأموال الدنيا والآخرة.

إعجاز الآية الذاتي

تبين آية البحث عظيم قدرة الله عز وجل وأن أرواح الإنس والجن بيده سبحانه يقبض ما يشاء منها أنى يشاء، وهو اللطيف الرحيم، إذ ينسى في الأجل، ويرجئ الموت عمّن يشاء، ولكن لا بد وأن يحل الموت بساحة الإنسان، ومن بديع صنع الله عز وجل وجود متوسط عمر للناس، بحيث لا يرجو الإنسان تجاوزه في أحسن حالاته من جهة طول العمر، مما يلزم الإستعداد للموت، والتهيئ له، قال تعالى ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^(٣).

ليكون من بديع صنع الله عز وجل أن طول عمر الغير يذكر هو الآخر بالموت، فإذا ما سمع الإنسان بوجود معمر أو رآه يقول في نفسه ليتني أبلغ هذا العمر، أو أنى لي أن أبلغه، خاصة وأنه فرد قليل بين الناس، ليكون

(١) تفسير ابن كثير ١/١٥٣.

(٢) سورة الفاتحة ٦.

(٣) سورة فاطر ١١.

استحضار الموت في كل الأحوال عند المرض وموت أحدهم وعند طول عمر بعضهم ، وكأنه من عمومات قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْنَ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(١).
وقد وفرت آية البحث العناء عن الإنسان وكشفت له علوماً من الغيب، وهي:
الأول : طرو الموت على كل إنسان .

الثاني : إنعدام الإستثناء في الموت ، فليس من إنس أو جن أو ملك يستثنى من الموت .

الثالث : وجود النار في الآخرة ، وهل هي مخلوقة الآن أم لم تخلق بعد، المشهور والمختار أنها مخلوقة ، وقد تقدم الكلام فيه .

ومن خصائص آية البحث أنها تخاطب العقول عامة مع إقترانها بالشواهد اليومية ، إذ يفقد الإنسان أباه وأمه وجده وجاره وصديقه تارة بالمرض وأخرى بموت الفجأة الذي هو من علامات آخر الزمان ، وأخرى بالقتل والأوبئة أو الحروب ، فيصل مفهومها إلى الناس مجتمعين ومتفرقين ، ليستحضروا بالوجود الذهني عالم ما بعد الموت .

ومن الآيات أن الإنسان يغادر الدنيا ، ولكن صورته وذكره لا تغيب عن خواطر وأحاديث الناس .

ومن معاني البرهان إظهار صحة المعنى ، وإبطال نقيضه ، ومن خصائص الآية القرآنية أنها حجة فاصلة وبرهان .

ومن تجليات البرهان في آية البحث وجوه :

الأول : قانون الموت خاتمة ، حياة الإنسان في الدنيا.

الثاني : قانون الموت انتقال إلى عالم آخر .

الثالث : قانون الموت برزخ دون الغلو بالأنبياء والأولياء .

الرابع : قانون الوعد بالأجر التام يوم القيامة .

الخامس : قانون الثواب الأخرى .

السادس : قانون إبعاد المؤمن من النار .

ومن تمام الأجور الذي تذكره آية البحث تعقب دخول الجنة للزحزحة من النار.

السابع : قانون الفوز هو دخول الجنة.

الثامن : قانون الدنيا متاع زائل .

ويمكن تسمية آية البحث آية (زحزح) ولم يرد هذا اللفظ في القرآن إلا في آية البحث.

وورد لفظ ﴿وَمَا هُوَ بِمُزْحَجِهِ﴾^(١)، في ذم الذين أشركوا ، وبعث اليأس في

نفوسهم من النجاة في الآخرة بقوله تعالى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ

يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزْحَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ الْعَذَابَ أَنَّهُ يُعْمَرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

إعجاز الآية الغيري

تمنع آية البحث من الغلو بشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ

أنها تخبر عن موته ، وهل تدل الآية على أن القرآن ينعى النبي محمد صلى

الله عليه وآله وسلم نفسه ، الجواب نعم ، وتبين الآية قانوناً عاماً وباعثاً

للنبي محمد للتبليغ ، ودعوة الصحابة والناس جميعاً للإنتفاع من علوم

الوحي التي جاء بها ، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ

لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَةَ اللَّهِ يُصِصْكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

(٣).

(١) سورة البقرة ٩٦ .

(٢) سورة البقرة ٩٦ .

(٣) سورة المائدة ٦٧ .

انما ورد النعي جلياً حينما نزلت سورة النصر ، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ
اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(١).

لقد ابتدأت آية البحث بذكر الموت وكيف أن الناس متساوون فيه
كعاقبة لأي منهم في الحياة الدنيا ، وتشير الآية إلى التباين في حياة الناس
فمنهم من يعيش حياة رغيدة ، مع كثرة الأموال والخدم ، ولكن النهاية أنه
يغادر الدنيا مثلما يغادرها الفقير لا يحرز منها إلا الكفن ولكن الأعمال
تصاحب كلاً منها إلى الأخرة .

وتبعث آية البحث الناس على التفقه والتدبر في حقيقة الحياة الدنيا
ولزوم عدم الإغترار بها أو الجري وراء الرغائب والأمال العريضة فيها ،
إذا يقطع الموت فجأة هذه الرغائب ، ليكون من معاني تقدير أول الآية
وجوه :

الأول : كل نفس ذائقة الموت وأنت أيها التالي أو المستمع منهم.

الثاني : كل نفس ذائقة الموت فليس من حي دائم إلا الله عز وجل .

الثالث : كل نفس ذائقة الموت ، المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ،
والحر والعبد ، والسلطان والعامل ، والرجل والمرأة ، والصغير والكبير.

وتبعث آية البحث الرأفة والرقّة من الوالدين على أبنائهم خشية
مداهمة الموت لهم ، كما أنها مواساة لهما عند فقد الابن إذ لا يعلم الحزن
والأسى الذي يلحق الوالدين بفقد الابن إلا الله عز وجل .

فمن إعجاز آية البحث الغيري المواساة عند المصيبة ، وقال تعالى
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١) ، وقد بكى رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم على ابنه إبراهيم عندما كان يجود بنفسه وقال: **إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ**^(١).

وقال ابن الرومي الشاعر :

توخى حمام الموت أوسط صبيتي... فله كيف اختار واسطة العقد
على حين شمت الخير من لمحاته... وأنست من أفعاله آية الرشد
طواه الردى عني فأضحى مزاره... بعيداً على قرب قريباً على بُعد
لقد أنجزت فيه المنيا وعيدها... وأخلفت الآمال ما كان من وعد
لقد قل بين المهد واللحد لبثه... فلم ينس عهد المهد إذ ضم في اللحد
ومن السلاطين والملوك من يتلى بموت ابنه ليكون درساً وموعظة
وليرأف بالشباب لما يرى من وقع المصيبة بحسبهم أو قتلهم على والديهم.
ويذكر ابن الأثير بخصوص حوادث السنة الأربع والسبعين والأربعمائة
(وفيها مات ابن السلطان ملكشاه، واسمه داود، فجزع عليه جزعاً شديداً،
وحزن حزناً عظيماً، ومنع من أخذه وغسله، حتى تغيرت رائحته، وأراد
قتل نفسه مرات، فمنعه خواصه، ولما دفن لم يطق المقام، فخرج يتصيد،
وأمر بالنياحة عليه في البلد، ففعل ذلك عدة أيام، وجلس له وزير الخليفة
في العزاء ببغداد)^(٢).

وهل من إعجاز الآية الغيري جعل الإستعداد عند المسلم والمسلمة لفقد
الولد ، ونزول الموت بالابن أو البنت الجواب نعم ، فمن الآيات أن الآية

(١) سورة البقرة ١٥٦.

(٢) تفسير الثعالبي ٢/٢٧٥.

(٣) الكامل في التاريخ ٤/٣١٥.

القرآنية تتضمن جملة واحدة مثل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١)، وفيها معاني متعددة ، إذ تفيد :

الأول : البيان والإخبار ، قال تعالى ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾^{(٢)(٣)} .

الثاني : القصة والموعظة من موت الماضين .

الثالث : التهيؤ للوقائع .

الرابع : المواساة ، وليس في القرآن مادة (واسى) (عن أنس بن مالك قال : قال المهاجرون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : لقد أتينا قوما ما رأينا قوما أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير منهم ، والله لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهناً ، ولقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كلا ، ما أنثيتم عليهم ودعوتم لهم)^(٤) .

الخامس : عدم الشماتة بالموت ، قال تعالى ﴿أَفَأَنْبِئُكُمْ بِمَتِّهِمْ

الْخَالِدُونَ﴾^(٥) وقال وأبا ذؤيب الهذلي في الرثاء :

(وتجلدي للشامتين أريهم ... إني لريب الدهر لا أتضعض
فإذا المنية أنشبت أظفارها ... أفيت كل تميمة لا تنفع)^(٦) .

السادس : الإستعداد لمغادرة الدنيا .

السابع : الصبر على الأذى .

(١) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٣٨ .

(٣) أنظر الأجزاء (١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤) والتي جاءت بتفسير الآية أعلاه .

(٤) المعجم الأوسط ٧٨/١٦ .

(٥) سورة الأنبياء ٣٤ .

(٦) الإعجاز والإيجاز ٢٤/١ .

الثامن : الأمل والرجاء لما بعد الموت من فضل الله .
التاسع : البعث على الدعاء لإرجاء الموت ، والهداية للعمل الصالح
 وإدخار الحسنات ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ
 لَكُمْ﴾^(١).

مفهوم الآية

تدل آية البحث في مفهومها على قانون وهو ليس من إنسان يبقى حياً في الدنيا ، فهي دار المغادرة ، لا تستطيع الوفاء بالصحة لأحد ، وإن كان نبياً أو إماماً أو مصلحاً .

ومن بديع صنع الله أنه لم يجعل مغادرة الإنسان للدنيا مفتوحة ، إنما هناك متوسط عمر لعامة الناس ، ولو جاء العلم الحديث باطالة أعمار الناس اليوم أو غداً ، فلا يخرجهم من مضمون آية البحث لأن أعضاء البدن التي تتركز عليها الحياة كثيرة منها القلب والدماغ والكليتان والرئتان والشرايين والأوردة والحواس ، ولكل فرد منها عمر معين ، فقد يستهلك بعضها قبل الآخر ، ومع إصلاحه كالقلب إذ يجعل الطب الحديث للإنسان قلباً صناعياً ، فلا يلبث بعد فترة أن يستهلك عضو آخر وهكذا إلى أن يأتيه الأجل ، قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٢).

وأختتمت الآية بنعت الدنيا بأنها ﴿مَسَاعُ الْفُرُورِ﴾^(٣) لبيان أن الترف والرغد يتعقبه الزوال والفناء لكل من :
الأول : صاحب الترف .

(١) سورة غافر ٦٠ .

(٢) سورة الأعراف ٣٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٥ .

الثاني : مادة وأدوات الترف والزينة .

الثالث : حال الترف ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١) .

وقال تعالى ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ﴾^(٢) و(عن شداد بن أوس إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من إتبع نفسه هواها وتمنى على الله)^(٣) .

لقد ذكرت آية البحث قانون تمام الأجور يوم القيامة لبيان حرمان الذين كفروا أنفسهم من هذه النعمة العظيمة ، إذ أن الأجر في الآخرة ، فلا بد أن يعادل الإنسان في الأصل الدنيا وما فيها ، قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُبْتُتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤) ، وترشح هذه الأجور على كل من :

الأول : الإيمان بالله إلهاً ورباً .

الثاني : التصديق بالرسالات والملائكة واليوم الآخر .

الثالث : أداء الفرائض العبادية .

الرابع : التنزه عن الظلم والتعدي وبخس الناس حقوقهم .

ومن معاني حرمان الذين كفروا من الأجور والثواب يوم القيامة ، قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ

(١) سورة آل عمران ١٤٠ .

(٢) سورة الأنعام ٣٢ .

(٣) الكشف والبيان ١٢/١٣٧ .

(٤) سورة البقرة ٢٦١ .

سَعِيرًا ﴿١﴾ ، وقدمت آية البحث الحصول على أجور وجزاء الأعمال قبل الزحزحة من النار ، لبيان موضوعية الأجور في العبور على الصراط المستقيم يوم القيامة ، فمن ليس عنده أجور عمله الصالحات يكون له هذا الصراط كحد السيف.

ومن مفاهيم آية البحث انعدام الوسط والبرزخ بين دخول الجنة وبين الخسران ، فمن يعمل الصالحات في الدنيا وهو مؤمن ينجو من العذاب ، أما الذين أقاموا على الكفر وانشغلوا بملذات الدنيا فانهم محرومون من نعمة دخول الجنة ومقدمات هذه النعمة في الدنيا والآخرة ، وهل من مقدماتها تلاوة القرآن وإقامة الصلاة ، وأداء الزكاة الجواب نعم .

وقد خلق الله عز وجل الإنسان عن حكمة عظيمة أبهرت الملائكة ، وجعلتهم في حيرة من أمرهم لتتجلى عمارة الأرض بالعبادة فأجابهم الله عز وجل بأنه يعلم من أسرار الخلافة وعمارة الإنسان الأرض بالعبادة وسرعة مجئ الموت له ما لا يعلمون ، إذ ورد في التنزيل ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ، ويأتي الموت سريعاً إلى الإنسان ليقف بين يدي الله للحساب .

وهل سرعة الموت هذه ومغادرة الإنسان الدنيا من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٣﴾ ، الجواب نعم.

(١) سورة الفتح ١٣.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة آل عمران ١٨٥.

أيهما أفضل السمع أم البصر

من مفاهيم قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١) بعث الإنسان على التفكير بذات الموت ، وكيف أن الآية تدل على كونه أمراً وجودياً ذا صبغة حسية إذ ربطت الآية بينه وبين حاسة الذوق ، ولكن ليس الذوق بآلة الذوق وهي اللسان وحده ، إنما ذات النفس هي التي تذوق الموت ، لتنزل وطأته على الإنسان كله بروحه وبدنه ، ومن فضل الله عز وجل ما رزق للإنسان من نعمة حاسة السمع والبصر .

فيستفح كل إنسان من كل حاسة وهي :

الأولى : حاسة البصر، وهي التي تخص قدرة الإنسان على تمييز الأشياء التي تكون أمامه ، ورزقه الله نعمة حركة الرأس ذات اليمين واليسار ، ليرى من الجهتين ، وتفضل وجعله يستطيع الإستدارة ليرى ما خلفه ، ولا تتم الرؤيا بذات العين وحدها ، إنما بوظائف معقدة بين الدماغ والعين وبعض الأنسجة والاعصاب خصوصاً ، وأن الدماغ هو الذي يتولى الإشراف على الحواس وتنظيم وظائفها ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢).

الثانية : حاسة السمع ، وهي التي تقوم بسماع الأصوات وتمييزها وفصلها ، واستقبال الموجات الصوتية ، ووعاء حاسة السمع هو الإذن . ومن إعجاز القرآن أنه يذكر نعمة الحواس ، كما يبين وجوب تسخيرها في طاعة الله ، ويذم الذين لا ينتفعون منها ويمتنعون عن التدبر في الآيات والمعجزات ، قال تعالى في ذم الذين يكون مصيرهم إلى النار ، ولا

(١) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٢) سورة الإسراء ٣٦ .

يستطيعون التزحزح عنها ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا
وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١).

الثالثة : حاسة التذوق ، ومحلها اللسان والذي يكون الكلام أهم وظائفه ثم تفتيت الطعام ، ويقوم بنقل إشارات التذوق عند طرو أسبابه من الأعصاب التي فيه إلى الدماغ.

الرابعة : حاسة الشم ، ويتولى المسؤولية عنها الأنف والشعيرات الناعمة التي فيه ، إذ ترسل الروائح التي تعرض لها إلى المخ.

الخامسة : حاسة اللمس : ويتولى جلد الإنسان التمييز بين اللمسات الخفيفة ، والثقيلة ، ويتحسس الشئ الناعم والخشن ، والبرودة والحرارة ، كما ويشعر الجلد بالألم .

وهذا التقسيم نسب إلى ارسطو ، ويلحظ فيه التباين في الكم والكيف بين الحواس وأثرها ونفعها ، إذ أن مرتبة السمع والبصر أعظم وأكبر وهو الذي يتجلى بيانه في القرآن ، وفيه شاهد بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأخذ من الكتب السابقة إنما نزل عليه القرآن بما هو مباين للأقوال المشهورة للفلاسفة.

ومع الشكر لله عز وجل على نعمة السمع والبصر وسؤال استدامتهما والانتفاع الأمثل منهما أيهما أكثر أهمية السمع أم البصر ، فيه وجوه :

الأول : نسبة التساوي ، وأن كل حاسة تقوم بوظيفتها الخاصة ، وهناك تكامل بينهما ، وقد جعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في العين الواحدة نصف الدية ، وفي كتاب الفرائض الذي وبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل اليمن أن دية العينين دية النفس كاملة ، إذ ورد عن عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وأله وسلم كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات ،
وبعث به مع عمرو بن حزم ، إذ أخرج الحاكم عن أبي بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم عن أبيه عن جده حديث هذا الكتاب ومنه .

(وكان في الكتاب . إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة إشراك بالله ،
وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق
الوالدين ، ورمي المحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم .
وإن العمرة الحج الأصغر ، ولا يمس القرآن إلا طاهر ، ولا طلاق قبل
املاك ، ولا عتاق حتى يبتاع ، ولا يصلين أحد منكم في ثوب واحد وشقه
باد ، ولا يصلين أحد منكم عاقصاً^(١) شعره ، ولا في ثوب واحد ليس على
منكبيه منه شيء .

و كان في الكتاب : أن من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود إلا أن
يرضي أولياء المقتول .

وأن في النفس الدية مائة من الإبل ، وفي الأنف الذي أوعب جدعه
الدية ، وفي اللسان الدية ، وفي الشفتين الدية ، وفي البيضتين الدية ، وفي
الذكر الدية ، وفي الصلب الدية .

وفي العينين الدية ، وفي الرجل نصف الدية .

وفي المأمومة^(٢) ثلث الدية ، وفي الجائفة ثلث الدية ، وفي المنقلة خمس
عشرة من الإبل ، وفي كل أصبع من الأصابع من اليد والرجل عشر ، وفي
السن خمس من الإبل ، وفي الموضحة خمس ، وأن الرجل بالمرأة ، وعلى
أهل الذهب ألف دينار^(٣) .

(١) العقص : لي كل خصلة من الشعر ثم عقدها ، فيبقى فيها التواء .

(٢) المأمومة : الجناية التي بلغت أم الدماغ والجرح العميق في الرأس بحيث يصل إلى
غشاء محيط المخ .

(٣) الدر المنثور ٢/١٩٥ .

ومن الإعجاز أن دية فقد العينين يمثل دية النفس كاملة ، وورد ثبوت نصف الدية في الأذن فقد ورد عن الصحابة والأئمة .

الثاني : حاسة السمع هي الأهم لذا قدمها الله عز وجل في أغلب آيات التنزيل ، وأفضلية حاسة السمع لوجوه :
أولاً : أول ما يولد الطفل يسمع الأصوات بينما يتخلف البصر عن ساعة الولادة .

ثانياً : ورود السمع قبل البصر في آيات القرآن ، منها قوله تعالى ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾^(١).

ثالثاً : ورود آيات تخص السمع وتبين موضوعيته في إدراك الحقائق والمفاهيم ، قال تعالى ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾^(٢).

ومن الآيات أن الصحابة ليس فيهم أصم لا يسمع ، بينما فيهم الضير مثل ابن أم مكتوم ، وهو من المسلمين الأوائل ، ومن المهاجرين .
رابعاً : السمع أعم وأكبر ، ويستطيع الإنسان أن يسمع من أكثر من جهة في آن واحد ، ويسمع من خلف حاجز أو جدار .

خامساً : موضوعية حسن الإستماع في مراتب الإيمان ، قال تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ﴾^(٣) (عن عبادة بن الصامت قال « بايعنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر

(١) سورة هود ٢٠ .

(٢) سورة ق ٣٧ .

(٣) سورة التغابن ١٦ .

والمنشط والمكره ، وعلى أثره علينا ، وأن لا تنازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة (١).

سادساً : حتى بالنسبة للجنين فان مكونات آلة السمع تتم قبل مكونات آلة البصر ، وتمنوا الأذن الداخلية وتصير تحس بالأصوات في الشهر الخامس ، وهو من الإعجاز في تقديم القرآن لنشأة السمع ، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٤).

ولا تتم طبقة الشبكية إلا بعد الأسبوع الخامس والعشرين من عمر الجنين ، ويحتاج لبضعة أسابيع كي يتمكن العصب البصري من نقل الإشارات العصبية بصورة شبه تامة .

سابعاً : يكون تحصيل العلوم بالسمع أكثر منه في البصر ويدرك به الحاضر والغائب ، بينما لا يرى البصر إلا ما أمامه وإلى أمد محدود .

الثالث : التباين بلحاظ اختلاف العوامل ، فأضرار الحرمان من حاسة البصر في أمور الدنيا أكثر ، أما أضرار الطرش وفقدان حاسة السمع في أمور الدين فهي أكثر .

وذكر الحواس الخمسة من قبل ارسطو ، فهناك تباين فيها ، إذ تمتاز كل من حاسة السمع والبصر على موضوعية وأثر في حياة الإنسان يفوق أضعاف مضاعفة أثر حاسة الشم أو الذوق .

(١) الدر المنثور ٣/٤٠٣ .

(٢) سورة المؤمنون ٧٨ .

(٣) سورة الإنسان ٢ .

(٤) سورة السجدة ٩ .

الرابع : حاسة البصر هي الأهم ، وهو المختار ، من جهات منها :
الأولى : لقد جعل الله عز وجل معجزات الأنبياء السابقين حسية مثل
 ناقة صالح عليه السلام ، وعصا موسى عليه السلام ، وإحياء عيسى عليه
 السلام لبعض الموتى ، وفيه شاهد على إنتفاع الإنسان من حاسة البصر
 للتدبر في المعجزات ، وهو لا يمنع من لحوق حاسة السمع بها ، فمن فقد
 البصر يسمع الآخرين ، ويستحضر الصورة في التصور الذهني ، وفي
 الفلسفة قيل : من فقد حساً فقد علماً ، وقد يعوضه الله عز وجل على
 الحاسة المفقودة .

وقد جاء في ذم الشياطين ، وتسخير الكفار السمع لشياطين الإنس
 والجن ، قوله تعالى ﴿ هَلْ أُتْبِكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلُ الشَّيَاطِينَ * نَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ
 أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾^(١) وجاء بعدها قوله تعالى
 ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾^(٢) إنما يتبعونهم بما يسمعون منهم ، ليكون السمع
 آلة مشتركة للإستماع للحق والتنزيل أو المباح أو الإستماع للغيبة والإفراء .
 فجاءت آية البحث بالتذكير بالموت بقوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾
 للترغيب بسماع التنزيل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتنزه عن
 سماع الباطل .

الثانية : كثرة الأعصاب البصرية بالنسبة لغيرها ، ووظيفة البصر في حياة
 الإنسان أكثر من السمع ، وحتى في تركيب وهيئة الإنسان فان ٧٠٪ من
 المعلومات الحسية تصل إلى الإنسان من طريق الجهاز العصبي البصري ،

(١) سورة الشعراء ٢٢١-٢٢٣ .

(٢) سورة الشعراء ٢٢٤ .

بينما تصل نحو ١٣٪ عن طريق الجهاز السمعي ، وأكثر الأعصاب الحسية في البدن هي أعصاب بصرية .

الثالثة : بالبصر جمال الوجه ، وفيه تكون الفراسة من غير انتظار سماع كلام الطرف الآخر.

الرابعة : آية بتقديم البصر كما في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾^(١) ، وكما في قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(٢) ، وقال تعالى في آدم وندم الكفار ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(٣).

الخامسة : جاءت التقنية الحديثة والشبكة العنكبوتية بعلوم حديثة على نحو دفعي فهل يكون فيها السمع أم البصر هو الأنفع ، المختار أن البصر هو الأكثر نفعاً لأنه ينفع بذاته ، وباختيار المناسب من المنظور والمسموع من شاشة الكمبيوتر أو الهاتف لتكون العلوم الحديثة كاشفاً لأسرار في خلق الإنسان ، وتتضمن إجابة على مسائل خلافية.

السادسة : وفي المثل (ليس المخبر كالمعاین) فالبصر نعمة حاضرة ، وأكمل في القريب ، أما السمع فهو أشمل وأعم وهناك موضوع أهم من التباين والتفاضل بين السمع والبصر وهو المدارك المشتركة للسمع والبصر ، والوظيفة الجامعة لهما والعلوم المستحصلة من التداخل والترابط بين حاسة السمع والبصر للإرتقاء في المعرفة الإلهية ، كما أن فقدتهما يحجب العلم عن الإنسان مما يدل على التباين الرتبي بينهما وبين الحواس الأخرى وهي الذوق والشم واللمس .

(١) سورة هود ٢٤ .

(٢) سورة الاعراف ١٧٩ .

(٣) سورة السجدة ١٢ .

ويشترك السمع والبصر في جلب المنفعة ودفْع المفسدة ، وفي تحصيل المعارف فلا بد للعقل من التلقي من الحواس .

وإذ كانت معجزات الأنبياء حسية تعتمد على العين الباصرة ثم الخبر والنقل ، فقد جاءت معجزة النبي معجزة بصرية سمعية عقلية ، إن النقاش في التفاضل بين السمع والبصر لا بد أن يكون على أقسام :

الأول : النفع من الحواس .

الثاني : حاجة الإنسان لحاسة السمع والبصر ، فحتى لو قلت بأن النفع من حاسة السمع هو الأكثر فإن الإنسان يحتاج البصر في واقعه اليومي أكثر . وقد تقدم الكلام منا أنه لو خير الأصم بين بقائه أصماً أو يبدل الصم بالعمى ، لاختار البقاء ، ولو خير الأعمى بين بقائه أعمى أو ابدال عماء بالصم لإختار الثاني ، ومن التقصير في الشكر لله الإشتغال بالتفاضل بين السمع والبصر ، بدل الشكر لله عز وجل على كل نعمة منهما ، وعلى نعمة إجتماعهما وسلامتهما كل يوم .

وأخبرت آية البحث عن ذوق النفس الموت لبيان تعطيل الحواس كلها بالموت ليتدبر الإنسان في حياته نعمة الحواس .

الآية لطف

من خصائص القرآن أن الآية القرآنية لطف من عند الله عز وجل من جهة ذكر صيغة العموم الشامل للناس جميعاً في حضور الموت عندهم ، ويدل قوله تعالى ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنِّي بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١) ، على أن الموت يزور الأنبياء ويقبض أرواحهم ، فصحيح أن الذي يقبض الأرواح هو ملك الموت وبإذن من الله عز وجل ، إلا أن

الموت هو أمر محسوس ، والحد الفاصل بين حياة الإنسان في الدنيا ومغادرته إلى عالم البرزخ ، فكما أن الموت ليس عديمياً فكذا ما بعد الموت فانه عوالم متعددة، ومختلفة والملاك فيها العمل وسنخيته ، قال تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾^(١).

وهل من فرق بين حاسة الذوق ، وبين ذوق النفس للموت ، الجواب نعم، إنما ورد الذوق هنا من باب الإستعارة ، وإلا فان حاسة الذوق قد تخطأ وتجد الحلو مرأاً أو العكس ، وقد يتعذر على الإنسان ذوق بعض الأطعمة ، ولكن الموت ليس فيه خطأ ، ولا يأتي لغير من كتب الله عز وجل عليه الأجل والمغادرة ، وحاسة الذوق عند الإنسان عون له ، وهي نعمة متجددة ، ولا يعلم عدد ما تذوق الإنسان في مجموع حياته إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي اتَّخَذْتُمْهَا﴾^(٢).

وفي المثل (على النفس الذائقة للموت أن تهتم بأخراها) أي أن الإنسان مادام سيطراً عليه الموت أن يعتني بأخرته ، ويستعد لها .

ومن فضل الله عز وجل أنه جعل للموت علامات ورسلاً منها الأوجاع والعلل ، والشيب ، ووهن الأعضاء ، والتقدم بالعمر ، والحوادث الطارئة التي يكون الموت أو القتل فيها قريباً من الإنسان فيصرفه الله عز وجل عنه ، قال تعالى ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ

(١) سورة السجدة ٢٠.

(٢) سورة ابراهيم ٣٤.

مِنْ وَالٍ ﴿١﴾، وهل تسخير الحواس في مرضاة الله سبب لسلامتها وإطالة أعمارها ، وأن توظيفها في الباطل علة لتقصير عمرها ورميها بالآفات والأمراض ، الجواب نعم ، إلا أن يشاء الله .

فصحيح أن كل نفس تذوق الموت ، ولكن الله عز وجل يصرفه المرة تلو الأخرى عن الإنسان ليتعظ ويتوب ويصلح حاله في الدنيا ، ولأمور الآخرة ، والفوز بتمام الأجر في الآخرة ، وهل صرف الموت والقتل عن الإنسان مرات متعددة من الأجر الدنيوي الذي تشير إليه آية البحث بذكرها، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يُمَحُّوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٢) .

إفادات الآية

لقد نزلت آية البحث لتهذيب الأخلاق ، وتنقيح عالم السلوك بالتنفقه بأمور :

الأول : حقيقة الحياة الدنيا .

الثاني : قانون مغادرة الإنسان وأسرته وأقاربه الحياة الدنيا ، كما غادرها آبائهم .

الثالث : قانون قرب سلطان الموت ، قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَرَأَوْهُ

قَرِيبًا﴾ (٣) ، ولم يرد لفظ (نراه) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

الرابع : التساوي بين الناس بحلول الموت في ساحتهم .

(١) سورة الرعد ١١ .

(٢) سورة الرعد ٣٩ .

(٣) سورة المعارج ٦-٧ .

الخامس : إتخاذ الإقرار بالموت طريقاً للهداية والتنزه عن الظلم والإرهاب.

وعن (عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح. قالوا : فهل لذلك من علامة يعرف بها.

قال : الإنابة إلى دار الخلود، والتنحي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقي الموت" وقد رواه ابن جرير من وجه آخر، عن ابن مسعود متصلاً مرفوعاً فقال : حدثني بن سنان القزاز، حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي، عن يونس، عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ }^(١) قالوا: يا رسول الله، وكيف يُشْرَحْ صدره.

قال : يدخل الجنة فينفسح". قالوا: وهل لذلك علامة يا رسول الله؟ قال : "التجافي"^(٢) عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت. فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة، يشد بعضها بعضاً، والله أعلم.^(٣)

وتبعث آية البحث الرقة والرافة في القلوب ، وتمنع من استحواذ النفس الغضبية والشهوية على الإنسان ، فحينما يستحضر الموت يشعر بضعفه وفنائه ومغادرته الدنيا ، مثلما جعل الله عز وجل حكم القصاص حياة

(١) سورة الأنعام ١٢٥.

(٢) أي الإعراض والابتعاد والعزوف.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٣٣٥.

للذين يهيم بالقتل والذي يريد قتله ، إذ يخشى الإنسان إن قتل غير أن يقاد به ، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١).

وذكر الموت أعم من مسألة القصاص ، لذا تفضل الله عز وجل وجعل ذكره مكرراً في القرآن ، وفي مناسبات مختلفة من جهة الموضوع ومن جهة الحكم ، ونظم الآيات ، ويأتي الموت في القرآن على نحو العموم والخصوص من جهات: الأولى : الذكر العام للموت ليشمل كل إنسان ، كما في آية البحث .

الثانية : إخبار الذين آمنوا وعامة الناس بموت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٢).

الثالثة : تذكير الذين آمنوا بموتهم ومفارقتهم الدنيا ، قال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ (٣).

الرابعة : تكرار إنذار الذين كفروا بالموت وسوء العاقبة ، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ تُوْفَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٤).

لقد أنعم الله عز وجل على الإنسان وجعله ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٥) وحينما احتج الملائكة على هذا الجعل بسبب فساد شطر من الناس جاء الجواب بقوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦) فخر الملائكة سجداً إلى

(١) سورة البقرة ١٧٩.

(٢) سورة الزمر ٣٠.

(٣) سورة المؤمنون ١٥.

(٤) سورة الأنفال ٥٠-٥١.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

(٦) سورة البقرة ٣٠.

الله عز وجل ومن علم الله في المقام قصر أعمار الناس وطول أعمار الملائكة ، وكثرة تعاقب الناس في الأرض ، وتدوين الملائكة لأعمالهم ورؤية شطر منهم يعملون الصالحات .

وتفضل الله بتذكير الناس بالموت على لسان الأنبياء ، والشواهد الوجدانية ، وإبتلاء الإنسان بالمرض أو الآفات العامة بين لحظة وأخرى ، ويستحضر طوعاً أو قهراً ما فعله في الدنيا ، ومن ظلم فيه غيره ، ويتمنى أنه لم يفعله ، ويتفكر في عالم ما بعد الموت ، ثم يصرف الله عز وجل عنه شبح الموت ، ليتعظ ويعمل لغد .

وقد ذكر الشعراء الموت وسكراته ، وكان لذكر المؤمنين له طعم وعذوبه خاصة ففي قصيدة كعب بن زهير التي أنشدها في مدح بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي يقول فيها من البسيط :

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيمّ عندها لم يجز مكبول
وما سعاد غداة البين إذ برزت ... إلا أغنّ غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلةً عجزاء مدبرةً ... لا يشتكي قصرٌ منها ولا طول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كانه سهلٌ بالراح معلول
شجّت بذى شم من ماء محنيةٍ ... صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غاديةٍ بيضٍ يعاليل
ويل أمها خلةً لو انها صدقت ... بوعداها أو لو ان النصح مقبول
لكنها خلةً قد سيط من دمها ... فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل
فما تقوم على حال تكون به ... كما تلون في أثوابها الغول
كانت مواعيد عرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطيل
وما تمسك بالعهد التي زعمت ... إلا كما يمسك الماء الغرايل
أرجو وأملا يعجلن في أبدٍ ... وما لهن إخال الدهر تعجيل
فلا يفرنك ما منت وما وعدت ... الأمانى والأحلام تضليل

أمست سعاد بأرضٍ ما يبلغها ... إلا العتاق النجيات المراسيل
 ولا يبلغها إلا عذافرة ... فيها على الأين إرقالاً وتبغيل
 من كل نضاحة الذفري إذا عرقت ... عرضتها طامس الأعلام مجهول
 ترمى النجاد بعيني مفردٍ لهيق ... إذا توقدت الحزا والميل
 ضخم مقلدها فعم مفيدها ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
 حرف أخوها أبوها من مهجنة ... وعمها خالها قوداء شمليل
 يمشي القراد عليها ثم يزلقه ... منها لبا وأقرب زهاليل
 عيرانة كذفت بالنحوض عن عرض ... مرفقها عن بنات الزور مفتول
 فنواء في حرّيتها للبصير بها ... عتق مبین وفي الحديد تسهيل
 كما ما فات عينيها ومذبحها ... من خطمها ومن اللّحين برطيل
 تمرّ مثل عسيب النخل ذا خصل ... في غارزٍ لم تخونه الأحاليلتهوى
 على يسراتٍ وهي لاهية ... ذوابلٍ وقعهن الأرض تحليل
 سمر العجايات يتركن الحصى زيماً ... لم يقهن سواد الأكم تنعيل
 يوماً يظلّ به الحرباء مرتبئاً ... كا ضاحيه في النار مملول
 وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ... بقع الجنادب يركضن الحصى قيلوا
 كا أوب ذراعها وقد عرقت ... وقد تلعّع بالقور العساقيل
 أوب يدي فاقد شمطاء معولة ... قامت فجاوبها نكدً مثاكيل
 نواحة رخوة الضبعين ليس لها ... لما نعى بكرها الناعون معقول
 تفرى اللبا بكفيها ومدرعها ... مشقق عن تراقبها رعايل
 تسعى الوشاة بجنيها وقولهم ... انك يا بن أبي سلمى لمقتول
 وقال كلّ صديق كنت آمله ... لا ألهينك اني عنك مشغول
 فقلت خلّوا طريقي لا أبا لكم ... فكلّ ما قدر الرحمن مفعول
 كلّ ابن اثني وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول^(١).

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٣٨١/٤.

الآية بشارة

لقد ابتدأت آية البحث بذكر الموت ، وحلوله بساحة كل إنسان ، فليس من مفر منه ، وصحيح أن الإنسان يكره الموت إلا أنه نوع طريق للأمن الدائم لأهل التقوى ، قال تعالى بصيغة الوعد والبشارة ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : النهي عن تمني الموت، وهذا النهي من الإعجاز في تأديب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين ، إذ ورد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به ، فإن كان لا بدّ متمنيا الموت فليقل : اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي^(٢).

فما دام الموت قضاءً من رب العالمين وأن الله عز وجل أعد الدار الآخرة للأجر والثواب فإن الذي اكتنز الصالحات لا يستوحش من طريق الهدى ، ولا يفزعه الموت إذ أنه يدرك الانتقال إلى دار رحمة الله عز وجل.

وتأتي البشارة في آية البحث من جهات :

الأولى : طرو الموت بمعنى الذوق ، ليكون ذا حلاوة وسكينة على المؤمن فمن خصائص حاسة الذوق الإحساس بالراحة عند المذاق الحلو والعذب ، وإنبعاث الضيق في النفس عند ذوق ما هو مرّ وضار ، ليقبض ملك الموت روح المؤمن بلطف ، وتصطف ملائكة الرحمة مبشرين له بحسن الإياب إلى الدار الآخرة.

(١) سورة البقرة ٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤١٤.

أما الكافر فان ملك الموت يقبض روحه بشدة ويأتيه بهيئة مخيفة ومرعبة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن المؤمن إذا قبض، أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء.

فيقولون: اخرجني إلى روح الله.

فتخرج كأطيب ريح مسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا يشمونهم حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون ما هذا الريح الطيبة التي جاءت من قبل الأرض؟ ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً به من أهل الغائب بغائبهم .

فيقولون: ما فعل فلان؟

فيقولون: دعوه حتى يستريح، فإنه كان في غم! فيقول: قد مات، أما

أتاكم؟

فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية.

وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجني إلى غضب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة، فيذهب به إلى باب الأرض^(١).

الثانية : تذكير آية البحث بيوم القيامة ، وذكره بالاسم وأنه يوم إيفاء الأجر ، فمن سعادة الإنسان أن يستوفي أجره ، ويحقق ما يتمناه من هذا الأجر ، فتراه يعمل ويفكر إذ قبض أجره ماذا يفعل به يوحفظ للأمر ، فجاءت آية البحث للإخبار عن قبض أجور الصالحات كاملة يوم القيامة ، وهل يفكر ماذا يفعل الجواب ليس من فعل يوم القيامة بل ذات الأجور نعمة غير متناهية ، وفيض مبارك من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿كُلُوا

وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَقْتُمْ فِيهِ الْيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾^(٢).

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٩٩.

(٢) سورة الحاقة ٢٤.

ومن خصائص التذكير ليوم القيامة أنه يحمل قانون تضاد المعنى بلحاظ التباين الجهتي ، فهو بشارة للمؤمن ، وإنذار للكافر .

الثالثة : بشارة استيفاء الأجر كاملة ، وتحتمل هذه الأجر وجوهاً :

الأول : ما يستحق المؤمن من الأجر في عباداته ومعاملاته .

الثاني : الأجر المضاعف من عند الله (عن أبي ذر قال : قال لي رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أدلك عن كنز من كنوز الجنة قلت : بلى يا رسول الله .

قال : لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة .

قلت : فالصلاة يا رسول الله؟

قال : خير موضوع ، فمن شاء أقل ومن شاء أكثر .

قلت : فالصوم يا رسول الله؟

قال : قرص مجزىء .

قلت : فالصدقة يا رسول الله؟

قال : أضعاف مضاعفة وعند الله مزيد .

قلت : فأيتها أفضل؟

قال : جهد من مقل وسر إلى فقير^(١) .

الثالث : الأجر الموعود من عند الله عز وجل .

الرابع : النماء المتصل في الأجر على العمل الصالح في حياة الإنسان

وبعد مماته .

الخامس : الزيادة على الأجر من فضل الله .

والصحيح هو الثاني والثالث والرابع والخامس .

وتأتي الأجور لأهل الإيمان فضلاً من عند الله عز وجل ، ليفرح المؤمن في الآخرة فرحة تعادل فرح أهل الدنيا كلهم.

ومن أعظم البشارات البشارة التي تذكرها آية البحث وهي الزحزحة عن النار ، ويراود هذا الأمل كل إنسان ، والذي يجتهد في العبادة وسنن التقوى وهو يخشى ألا ينال مرتبة الزحزحة عن الناس ، وفي التنزيل ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١)، وهل في قوله تعالى ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾^(٢) بشارة ، الجواب نعم ، وفيها مواساة للمومنين ومانع من الظلم والتعدي ، وزاجر عن الإرهاب ، ودعوة للصبر على الأذى ، وعدم إكراه الناس في عالم الأفعال ومسالك الهدى ، وفي التنزيل ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِكَلِيلٍ﴾^(٣).

الآية إنذار

من خصائص القرآن تضمنه لأمر :

الأول : قانون إتحاد اللفظ وتعدد المعنى .

الثاني : قانون إتحاد اللفظ وتعدد المقاصد والغايات .

الثالث : قانون وحدة الخبر وكثرة دلالاته .

فقد ابتدأت آية البحث بقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٤)، وهي جملة

خبرية تتغشى أجيال الناس المتعاقبة ، من جهات :

(١) سورة السجدة ١٦.

(٢) سورة آل عمران ١٨٥.

(٣) سورة الانعام ١٠٧.

(٤) سورة آل عمران ١٨٥.

الأولى : الأمم الماضية وقد حل بهم الموت.

الثانية : الجيل الحاضر زمن كتابة هذه الحروف ، أو زمان قراءتها ، فيدرك أهل الزمان أن الموت سيأتي عليهم ، ولا يعلم أحدهم أنه سابق لقريبه أو لاحق له ، لذا يستحب استحباباً مؤكداً كتابة الوصية ، وقد تكون كتابتها والإيصاء بها واجباً وفي رسالتي العملية (الحجة) الجزء الرابع وفي باب الوصية ذكرت مسائل :

(مسألة ١) الوصية على قسمين:

الأولى: تمليلية وهي ان يوصي الإنسان بشيء من ماله ليكون بعد وفاته لشخص او جهة او عنوان عام.

الثانية: الوصية العهدية: وهي الوصية بشيء يتعلق ببدنه او ماله كالوصية بانتفاع شخص من داره، او تسليط على حق خاص كحق القيمومة على صغاره او فك ملك كأن يوصي بعق مملوكه، او الوصية بما يتعلق بتجهيزه عند موته.

(مسألة ٢) تنقسم الوصية الى الأحكام الخمسة :

الأول : فالواجبة هي الوصية بتفريغ الذمة من الواجبات.

الثاني: الوصية المندوبة ومنها الوصية بالقربات والميراث.

الثالث : والمباحة كالوصية بالمباح بان يصير ابنه مهندساً مثلاً.

الرابع : المكروهة كالوصية بما فيه تفضيل لبعض الورثة على البعض الآخر بدون مرجح شرعي.

الخامس : الوصية بالمحرم مثل قطع الرحم^(١).

الآية رحمة

لقد أراد الله عز وجل أن يرحم آدم وحواء وذريتهما فانزل الكتب والصحف من السماء ، وصاحب الوحي الأنبياء فالذي لم يكن في زمانه أو بلدته نبي فان أحكام الوحي تبلغه وتصله ولو على نحو الموجبة الجزئية وبما يدل على وجوب عبادة الله عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

وقد نال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اسمى الدرجات في هذا الأمر إذ كانت كل آية من القرآن رحمة متعددة من وجوه :
الأول : تعدد مضامين وموضوع وأحكام الآية القرآنية.
الثاني : مجئ صدر الآية القرآنية في شئ ، ووسطها في شئ ، وآخرها في شئ آخر .

الثالث : ترشح المعاني العقائدية والكلامية والأحكام من الصلة بين أول ووسط وآخر الآية ، وقد أسست باباً في تفسير كل آية قرآنية اسمه : الصلة بين أول وآخر الآية ، لتتجلى منه علوم متعددة^(٢).

ومن معاني الرحمة بالتنزيل صيرورة كل نبي أرحم الناس بالناس ليقتهي به الأنصار والأتباع ، قال تعالى

(١) سورة الزخرف ٨٤.

(٢) أنظر ص ١٠٦ من هذا الجزء.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(١).

ومنه قيام الأنبياء بالدعوة إلى المعاد والتجهز لعالم الحساب ، والتسليم به من أصول الدين ، وتوارثه الناس من أيام أبينا آدم عليه السلام .

وهل يستقرأ هذا الأصل من قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) ، وحده، الجواب نعم كما يستقرأ من غيره لأن الآية جعلت الموت أمراً وجودياً ، إذ تتذوقه النفس كما أخبرت ذات الآية عن عالم الجزاء في الآخرة ويكون قبض الروح حلواً للمؤمن ، ومرأ للكافر .

وهل هذه الخلاوة والمرورة من الكلي المتواطئ الذي يكون على مرتبة واحدة أم أنه من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً .

الجواب هو الثاني ، فكلما إزداد إيمان الإنسان وإجتهده في فعل الصالحات ، كان قبض روحه أخف وأيسر بخلاف الكافر فكلما أصر على إرتكاب المعاصي وتمادى فيها زادت قسوة ملك الموت عليه في قبض روحه ، لذا ذكر الله عز وجل التوكيل لملك الموت ، وتصرفه بمقدار بقوله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٣).

ولم يرد في القرآن اسم عزرائيل ، وقيل لم يرد هذا الاسم في حديث نبوي صحيح .

(١) سورة الانعام ٩٠.

(٢) سورة آل عمران ١٨٥.

(٣) سورة السجدة ١١.

الصلة بين أول وآخر الآية

ابتدأت آية البحث بقانون يشمل أهل الأرض كلهم ، فكما أن الإنسان خلق من العدم ، ويخرج إلى الدنيا بالنكاح والوطئ بين الزوجين ، فانه يعود ويفادرها ولكن ليس الى العدم إنما إلى عالم آخر أعظم .

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام في حديث : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وجاءت التعزية جاءهم أت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل ما فات ، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب، و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال علي بن أبي طالب، هل تدرن من هذا ، هذا الخضر عليه السلام^(١).

ليمتاز المسلمون من بين الناس بقانون الحضور اليومي للموت في متديات المسلمين ، والحضور الذهني لكل واحد منهم بتلاوة آيات القرآن التي تذكر بالموت ، والقطع بحلوله في ساحة كل إنسان ، وهل يؤثر هذا الحضور على عالم الفعل والأخلاق الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ثم انتقلت آية البحث إلى الإخبار عن استيفاء المؤمنين أجورهم يوم القيامة كاملة من غير أن يلحق أحدهم غبن أو حيف ، وفي التنزيل ﴿وَأَنّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٣).

(١) البحار ٢٢/٥١٥.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة آل عمران ١٨٢.

وفيه بعث للسعي وإدخار الصالحات ليوم القيامة ، فقد يتردد الإنسان بالإنفاق في سبيل الله ، ويتوانى في دفع الزكاة أو الخمس فتأتي آية البحث لتبعثه على التبادر ، إذ يدرك أن الدنيا زائلة ، وأنه محتاج للزاد في الآخرة ، وفي التنزيل ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(١).

ومن خصائص آية البحث أن مضامينها من علم الغيب كما سيأتي بيانه.

وتبين آية البحث أن هناك أجوراً على عالم القول والفعل ، وأن الله عز وجل لا ينسى شيئاً إنما تكون الأعمال حاضرة عنده في كل زمان ، وهو سبحانه يعلم بها قبل وقوعها ، ليكون من معاني آية البحث البشارة بتوفيق المسلمين إلى عمل الصالحات.

ومثلما عطفت آية البحث بالواو إيفاء الأجور على مداهمة الموت للإنسان فانها عطفت بالفاء الزحزحة عن النار على الأجور ، ولكن هذا العطف لا يعني الملازمة بين الأجور والزحزحة إنما هو على نحو الإتمام وبلحاظ ذات الأجور كما وكيفاً ورجحان كفة الحسنات ، لذا وردت الآية بصيغة الجملة الشرطية فمن زحزح ، وفيه دعوة للمسلمين للتفقه في الدين ، ومعرفة الوسائل والسبل التي يتزحزح ويدفع معها الإنسان عن النار.

ومن الإعجاز في آية البحث ورود الفعل (زُحزح) بصيغة المبني للمجهول لبيان عجز الإنسان عن الهروب عن النار أو الزحزحة منها إنما تكون الزحزحة عنها بمشيئة الله عز وجل ، وكما أن الموت لا يفلت منه أحد ، فكذا بالنسبة لموضوع النجاة من النار فلا تكون إلا بالأجور على الصالحات ، وليس من محل يختبأ فيه الإنسان يومئذ ، إذ أن مواطن الحساب يوم القيامة مكشوفة وذكرت الآية إيفاء الأجور يوم القيامة لحاجة الإنسان

لها ، فليس من سهو أو محو لبعضها ، ولا يأتي بعد ساعة الحساب أمر بأن الحسنة الفلانية لشخص لم تذكر في الحساب وأن إضافتها سبب لرجحان كفة الحسنات أو العكس إن تكون مسيئة لم تذكر ساعة الحساب ، إنما تحضر أعمال الإنسان كلها في ساعة واحدة ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

وبينت آية البحث حاجة الإنسان يوم القيامة إلى أمرين بينهما نوع ملازمة ، وهما :

الأول : الزحزحة من النار .

الثاني : دخول الجنة .

ليبان قانون وهو يجب على الإنسان أن يجتنب السيئات التي تؤدي إلى العذاب ، وأن يجتهد في فعل الصالحات التي تدخله الجنة ، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾^(٢).

وذكرت آية البحث الفوز بمرتبة الفوز ، ويحتمل تحققه وجوهاً :

الأول : استيفاء الأجر .

الثاني : الزحزحة عن النار .

الثالث : دخول الجنة .

وكل فرد منها فوز ونجاة وخاتمة وتحقق تمام الفوز بدخول الجنة ، فيجب أن لا يكون عمل الإنسان بما يجعله في برزخ بين النار والجنة ، إنما يعمل لينجو من شدة لهيب النار ، ويدخل الجنة .

(١) سورة يس ٦٥ .

(٢) سورة الاسراء ١٩ .

و(عن أبي أيوب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته .

والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها ، يشهدان عليها بما كانت لزوجها ، وتشهد يداها ورجلاه بما كان يوليها . ثم يدعى الرجل وخادمه بمثل ذلك ، ثم يدعى أهل الأسواق وما يوجد ، ثم دوانق ولا قراريط ولكن حسنات هذا تدفع إلى هذا الذي ظلم ، وسيئات هذا الذي ظلمه توضع عليه ، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال : أوردوهم إلى النار .

فوالله ما أدري يدخلونها أو كما قال الله ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ (١)(٢).

وأختتمت آية البحث بالرجوع إلى عالم الدنيا ، وما قبل الموت ، وهو من إعجاز آية البحث بأن تتعلق نهاية الآية ببداية الموضوع وبما يقرب الإنسان من الفوز بالجنة.

فصحيح أن خاتمة الآية تتعلق بالحياة الدنيا إلا أنها تتضمن الهداية إلى الفوز بدخول الجنة ، بقوله تعالى ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٣).

ويدل هذا الوصف على أن الدنيا كالمُدَّلس في تجارته وبضاعته الذي يظهر ما هو حسن منها ، ويخفي المعيب ليغر ويغش الناس ، ويرغبهم بالشراء وكذا الدنيا فانها تبين للإنسان زينتها لينشغل بها وينقاد إلى مباحجها ، ولم تظهر له حقيقة وهي أنها دار زوال وفناء ،

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) الدر المنثور ٤٥١/٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٥ .

وأنها طريق عبور إلى الآخرة ، ومفازة يحتاج معها التزود بالزاد للآخرة ، فتكون آية البحث فضلاً من الله عز وجل على كل إنسان ، وكاشفاً عن حقيقة الدنيا ، ومانعاً من الغشاوة التي تجعلها المنافع الدنيوية على البصائر ، وواقية من الانقلاب من الدنيا بالحسرة والندامة ، وتدعو الآية إلى نبذ الظلم والتعدي ، وتزجر عن الإرهاب والإضرار بالناس.

وهل من صلة بين حلول الموت وبين معنى وصف الدنيا يمتاع الغرور الجواب نعم ، إذ أن الآية تخدع الناس ، وتبعثهم على البطالة والغفلة حتى يفنى العمر ويأتي ملك الموت الذي ليس عنده تفويض بإرجاء وقبض روح العبد.

ولو علم ملك الموت أن هذا العبد لو قبض روحه دخل النار ، ولكن لو أمهله شهراً مثلاً لعمل صالحاً يدخله الجنة فهل لملك الموت تأخير موته ، الجواب لا ، قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١) ، وجاءت آية البحث للتدارك قبل حلول الأجل .

من غايات الآية

في الآية مسائل :

الأولى : بيان عظيم قدرة الله عز وجل يقبض أرواح الناس كلهم متى يشاء وكيف يشاء .

الثانية : رافة الله عز وجل بالناس في خلقهم وإرجاء الموت عنهم إلى حين الأجل .

الثالثة : قانون التساوي بين الناس في خاتمة حياتهم بالموت.

الرابعة : اللطف الإلهي بذكر الموت بأنه على نحو الذوق ، وهو من مصاديق قانون الحياة الدنيا دار الغبطة والسعادة.

الخامسة : قانون الموت خاتمة حياة كل انسان في الحياة الدنيا.

السادسة : قانون استيفاء أجور عمل الصالحات يوم القيامة .

السابعة : البشارة بالثواب العظيم يوم القيامة.

ومن معاني صيغة الجمع (أجوركم) شمول الفرد من عمل الجماعة وانتفاع الجماعة من فعل الفرد الواحد منهم.

وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً^(١).

الثامنة : قانون الحاجة الخاصة والعامة **للأجر** يوم القيامة .

التاسعة : بعث المسلمين على أداء الفرائض وعمل الصالحات .

العاشرة : تذكير الناس بعالم الحساب ويوم القيامة.

الحادية عشرة : يمكن تسمية آية البحث آية الأمل ، إذ أنها تخبر عن قانون الزحزحة عن النار .

الثانية عشرة : تضمن آية البحث لقانون البشارة بدخول الجنة ، وفيه بعث للسعي إليها .

الثالثة عشرة : قانون كشف حقيقة الدنيا وسرعة إنقضاء أيام الإنسان فيها.

الرابعة عشرة : قانون المبادرة لإكتناز الصالحات ، قال تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُوا

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾^(٢).

(١) النسائي / السنن الكبرى ٤١/٢.

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

الموت لغة وإصطلاحاً

يقال مات يموت موتاً على وزن قال يقول قولاً ، والمفرد ميت .
والجمع : ميتون وأموات ، وموتى .

أما الممات فهو مصدر ميمي بمعنى حلول الموت ، قال تعالى ﴿إِذَا
لَأَذِقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾^(١) والميت ضد الحي .
والموت في الإصطلاح هو مفارقة الروح للجسد وصرورته جثة هامة .
وقال الغزالي (ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد
بمخرج الجسد عن طاعتها)^(٢) .

وإضافة الخروج للجسد عن طاعة الروح غير تامة ، فهو ليس له فعل او
شأن في الموت ، بل الموت يلحقه أيضاً ، فهو خروج قهري للروح من
الجسد ، وتعطيل تام للجسد ، إذ يتوقف عن العمل والوظائف اليومية
الظاهرة والباطنة .

ولا يتعارض تعريف الطب للموت بخصوص توقف أعضاء البدن عن
الحركة مع التعريف في الإصطلاح العقائدي بمغادرة الروح للجسد ،
وبينهما عموم وخصوص مطلق ، وتتصف اللغة العربية بكثرة المجاز
والمنقول للحفظ الذي وضع في الأصل لموضوع مخصوص ، ولكنها تقف
عند الموت بندرة المجاز المأخوذ منه ، وهل هو من هيبة الموت في النفوس ،
الجواب نعم .

ويطلق الموت على السكون الدائم بعد الحركة (وكل ما سكن فقد مات
حتى يقال مات الحر ومات البرد ومات الريح)^(٣) .

(١) سورة الإسراء ٧٥ .

(٢) إحياء علوم الدين ٤/٤٩٣ .

(٣) المخصص ٨/٢ .

ويمكن القول بأن تعريف الموت يكون على وجوه :
الأول : المعنى اللغوي .

الثاني : تعريف الموت في الإصطلاح .

الثالث : معنى الموت في الطب .

الرابع : معنى الموت عقائدياً ، بلحاظ أنه انتقال بالإنسان جسداً وروحاً من عالم إلى آخر .

وتدل آية البحث على مسألة في المعنى الإصطلاحي للموت ، وهي أنه انتقال من عالم إلى عالم آخر ، وأن الإنسان بعد الموت يقف للحساب ، ويأتيه الجزاء ، والموتان : الموت الأرض التي لم تحي بالزراعة .
 و(موت) الميم والواو والتاء أصلٌ صحيح يدلُّ على ذهاب القُوَّة من الشيء. منه المَوْتُ: خلاف الحياة. وإنما قلنا أصله ذهاب القُوَّة (١).

وللموت أسماء متعددة منها :

الأول : المنون .

الثاني : المنية .

الثالث : السام .

الرابع : الحِمام .

الخامس : قَتيم : من أسماء الموت (٢) .

السادس : الردى .

السابع : الحين .

الثامن : الثكل .

التاسع : الشُّعوب بالفتح (شعبت به الشُّعوب؛ أي ذهبت به المنية، سمعت امرأة منّا دعت على رجل، فقالت: رماك الله بمهدئ الحركة) (١).

(١) مقاييس اللغة ٥/٢٢٧.

(٢) المحكم المحيط ٣/٣٥.

العاشر: الوفاة .

الحادي عشر: الهلاك ، قال تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَامَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكْدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَكْدٌ فَإِن كَاتَا اثْنَيْنِ فَلَهُمَا الثَّمَانُ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢).

وجاءت آية البحث بامس (الموت) للبيان والإنذار ، ومنع تعدد التأويل.

التفسيرقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

النسبة بين آية البحث ، وبين قوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٣) العموم والخصوص المطلق ، إذ ان آية البحث أعم ، فلا ينحصر موضوعها بالبشر والحياة الدنيا ، فلا بد أن يموت المخلوق لأن الحياة الدائمة من الصفات التي يختص بها الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (٤) ، أخرج ابن المنذر عن ابن جريج ، قال : لما نزلت { كل من عليها فان } (٥) ، قالت الملائكة : هلك أهل الأرض ، فلما نزلت { كل

(١) المزهر ٢٨٦/١ .

(٢) سورة النساء ١٧٦ .

(٣) سورة الرحمن ٢٦ .

(٤) سورة الفرقان ٥٨ .

(٥) سورة الرحمن ٢٦ .

نفس ذائقة الموت { قالت الملائكة : هلك كل نفس ، فلما نزلت { كل شيء هالك إلا وجهه { قالت الملائكة : هلك أهل السماء وأهل الأرض^(١).
وهناك مسألتان :

الأولى : لماذا وردت الآية بصيغة النفس .

الثانية : لماذا ورد لفظ ﴿ذَائِقَةٌ﴾.

أما المسألة الأولى فليبان أن الموت يأتي على الإنسان روحاً وبدناً ، ويجعله جثة هامة .

وأما المسألة الثانية فليبان إحساس الإنسان عند الموت بالكرب ومرارة مفارقة الروح البدن ، ومغادرتها معاً الحياة الدنيا ، وإدراك الإنسان في تلك الساعة طوعاً أو قهراً بأنه صائر إلى عالم الحساب والخلود .

ومن معاني الآية قانون عدم الشماتة بأحد عند موته لأنه طريق كل إنسان ، وهل تقريب أجل الإنسان ومفارقته الدنيا قبل الأوان أمر مستثنى من القانون أعلاه .

الجواب لا ، ليكون من معاني تقدير الآية : كل نفس ذائقة الموت وعرضة له في أي وقت ، فما أن يخلق الله الإنسان حتى يكون قريباً منه ، ويستمر هذا القرب في كل ساعة من ساعات حياته إلى أن يقبض ملك الموت روحه .

وعن (زيد بن ثابت ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره ، وما من أهل بيت إلا وملك الموت يتعاهدهم في كل يوم مرة ، فمن وجده قد انقضى أجله قبض روحه ، فإذا بكى أهله وجزعوا قال : لم تبكون ولم تجزعون ؟

فوالله ما نقصت لكم عمرا ولا حبست لكم رزقا ، ومالي من ذنب ،
ولي إليكم عودة ثم عودة^(١) .

صحيح أن الآية جاءت بصيغة الجملة الخبرية إلا أنها تتضمن معنى
الإنشاء الذي يفيد البشارة والإنذار ، ويكون تقدير الآية على وجوه :

الأول : يا أيها الرسول إنك ميت ، وقد ورد قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ

وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢) .

الثاني : يا أيها الذين آمنوا انكم ميتون .

الثالث : يا أيها الناس انكم ميتون .

الرابع : يا أيها الناس إنكم تجتمعون عند الله سبحانه .

الخامس : ما بعد الموت هو الحساب ، قال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ

رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(٣) ، وعن أبي أيوب أن رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم قال : أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته . والله ما يتكلم
لسانها ولكن يداها ورجلاها ، يشهدان عليها بما كانت لزوجها ، وتشهد
يداه ورجلاه بما كان يوليها .

ثم يدعى الرجل وخادمه بمثل ذلك .

ثم يدعى أهل الأسواق وما يوجد ، ثم دوانق ولا قراريط ولكن
حسنت هذا تدفع إلى هذا الذي ظلم ، وسيئات هذا الذي ظلمه توضع
عليه .

(١) القضاعي / مسند الشهاب ١٤٦/٥ .

(٢) سورة الزمر ٣٠ .

(٣) سورة الزمر ٣١ .

ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال : أوردوهم إلى النار .
فوالله ما أدري يدخلونها أو كما قال الله { وإن منكم إلا واردها }^{(١)(٧)}.

السادس : كل إنسان يموت ويبعث يوم القيامة سواء الذين يؤمنون بالبعث أو الذين ينكرونه ، و(عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما نزلت هذه الآية { إنك ميت وإنهم ميتون }^(٣) .

قلت : يا رب أي موت الخلائق كلهم وتبقى الأنبياء ، نزلت { كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون }^{(٤)(٥)} .

السابع : يا أيها الذين آمنوا ان رسول الله لا بد وأن يموت فاثبتوا على الإيمان ولا ترتدوا عن دينكم ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٦) .

الثامن : يا أيها الذين كفروا لا تشمتوا بالمؤمنين إذا مات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان الرسل الذين قبله قد ماتوا ، وهو أيضاً يموت ، وفي التنزيل ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^(٧) .

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) الدر المنثور ٨/٤٥١ .

(٣) سورة الزمر ٣١ .

(٤) سورة العنكبوت ٥٨ .

(٥) الدر المنثور ٨/٤٩ .

(٦) سورة البقرة ٢١٧ .

(٧) سورة الكهف ١١٠ .

التاسع : يا أيها الذين آمنوا تزودوا بالعلوم ، وانتفعوا من وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهرانيكم فسألوه عن أحكام الشريعة .
لقد جاءت الآية بصيغة العموم في نزول الموت بكل إنسان وانفصال روحه عن جسده وجاءت آيات القرآن والسنة النبوية بالهداية إلى الوقاية من ميتة السوء .

وعن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
إن صدقة المسلم تزيد في العمر ، وتمنع ميتة السوء ، ويذهب الله بها الكبر والفخر .

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن أبي ذر قال : ما خرجت صدقة حتى يفك عنها لحيا سبعين شيطاناً كلهم ينهى عنها .
وأخرج ابن المبارك في البر والأصبهاني في الترغيب عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين ميتة من السوء^(١) .

ويدل قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) ، على أن الموت أمر وجودي يحس به ويذاق ، فهو ليس أمراً عديماً ، قال تعالى ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٣) ، وقال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(٤) .

(١) الدر المنثور ٣/٢١٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة الملك ٢ .

(٤) سورة المؤمنون ٩٩ .

وتدل الآية أعلاه على بعث الإنسان بعد الموت ورجوع روحه الى بدنه ،
وحيازته لقواه الفكرية ، واستحضاره لأفعاله في الدنيا ، وإقراره بقبحها
وأنها مجلبة للضرر.

وقول ﴿ارْجِعُونِ﴾^(١) عند إعادة الروح للجسد في القبر وأخرج ابن
جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله {قال رب ارجعون} قال : هذا حين
يعاين قبل أن يذوق الموت^(٢).

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
إذا حضر الإنسان الوفاة يجمع له كل شيء يمنع عن الحق ، فيحول بين
عينيه ، فعند ذلك يقول ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا
تَرَكْتُ﴾^{(٣)(٤)}.

وجمهور المفسرين بان الواو في ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ لتعظيم المخاطب ،
وهو لا يمنع من معنى سؤال الميت لله عز وجل بأن يأذن للملائكة برده لأنه
رأهم في حال الموت.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن المؤمن إذا قبض ،
أته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون: اخرجي إلى روح الله.
فتخرج كأطيب ريح مسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا يشمون
حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون ما هذا الريح الطيبة التي جاءت
من قبل الأرض.

(١) سورة المؤمنون ٩٩.

(٢) الدر المنثور ٧/٢٢٢.

(٣) سورة المؤمنون ٩٩-١٠٠.

(٤) الدر المنثور ٧/٢٢٢.

ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً به من أهل الغائب بغائبهم.

فيقولون : ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح، فإنه كان في غم. فيقول : قد مات ، أما أتاكم.

فيقولون : ذهب به إلى أمه الهاوية. وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجني إلى غضب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة، فيذهب به إلى باب الأرض^(١).

ومن معانيه أن الإنسان رأى الملائكة كيف يشهدون عليه وأدرك أنهم كانوا حاضرين مصاحبين له ، قال تعالى ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾^(٢)، فسأل الله عز وجل أن يرجع ويحضر الملائكة معه ليروا كيف يعمل الصالحات ، ويؤدي الفرائض العبادية، ويتجنب فعل السيئات.

وعن الإمام جعفر الصادق عن أبيه (عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري أظنه قال : فيما لا يعينك لا تستحي من الله، ولا منهما)^(٣).

لقد كان الإنسان وهو في الدنيا يظن بأنه وحيد يفعل ما يريد بالسر والخفاء ، وحتى على إقراره بأن الله عز وجل يراه فإنه لم

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٩٩ .

(٢) سورة ق ١٧.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ١٢/٢٩٣.

يحسب أن ملائكة ملازمين له يتناوبون في الليل والنهار يكتبون كل ما يفعل.

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات أو سبع ساعات ، فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئاً ، وإن لم يستغفر الله كتب عليه سيئة واحدة^(١).

علم المناسبة

ورد لفظ ﴿ذَائِقَةٌ﴾ ثلاث مرات في القرآن ، إذ ورد في آية البحث ، وأيتين أخريين وهما :

الأولى : قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

الثانية : قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

ومن إعجاز نظم القرآن مجئ هذه الجملة في بداية كل واحدة من هذه الآيات الثلاث .

وإذ تضمنت آية البحث الحث على العمل الصالح ، والترغيب بالثواب والأجر عليه ، فقد وردت الآية أعلاه من سورة الأنبياء للإخبار عن قانون وهو أن الموت عاقبة لعالم الأفعال ، وأن الإنسان يتلى بتقريب أمور الخير

(١) الدر المنثور ٢٨٠/٩.

(٢) سورة الأنبياء ٣٥.

(٣) سورة العنكبوت ٥٧.

والصلاح ، وباعتراض ضروب من الإبتلاء ، ليكون إختباراً له ، ومناسبة لإختياره ، قال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(١).

وإذ أختتمت آية البحث بالإخبار عن قانون وهو أن الحياة الدنيا دار الغرور فان الآية أعلاه أختتمت بقوله تعالى ﴿إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ لبيان مسألة وهي صحيح أن الحياة الدنيا دار الغرور ، وأن الموت هو خاتمة حياة الإنسان فيها ، إلا أنها ليست خاتمة المطاف ، فلا بد من رجوع الناس إلى الله عز وجل ، وهذا الرجوع ليس اختياراً إذ أنه أمر قهري وحتمي ، وظاهر الآية أنها خطاب للناس جميعاً لتتضمن البشارة والإنذار ، وهذه الآية بيان وتفصيل لما ورد في سورة العنكبوت بقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢) إذ ابتدأت الآية بصيغة الجملة الخبرية والقانون ثم انتقلت إلى لغة الخطاب .

وبلحاظ نظم الآيات تكون هذه الآية خطاباً للمؤمنين ، فالآية السابقة لها هي ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾^(٣).

وجاءت آيات كثيرة بذوق الذين كفروا العذاب ، فهذا الذوق لا ينقطع بالموت .

أما متاع الغرور فهو الزائل والزائل والخادع كالسراب والباطل ، والذي يتنافى مع علة خلق الإنسان .

(١) سورة القيامة ٣٦ .

(٢) سورة العنكبوت ٥٧ .

(٣) سورة العنكبوت ٥٦ .

ولا يعني هذا تحريم جميع الأموال والإنشغال بالكسب ، فهو من فضل الله عز وجل على الإنسان ، وما تشريع الزكاة والخكر وأمر الله عز وجل الناس بالصدقة إلا إمارة على إباحة واستحباب هذا الجمع والكسب .

ولم تذكر الآية هذا الجمع وحال الإنسان في الدنيا ، إنما اختصت بوصف ماهية ذات الدنيا ، ليكون المسلمون والمسلمات منها في حذر.

لذا جاء هذا الوصف للدنيا في آية ثم ابتدأت الآية الثانية بالأمر بالتسابق والتنافس في طاعة الله وسنن التقوى ، إذ قال الله سبحانه ﴿ وَمَا

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١).

ومن فضل الله عز وجل إخبار آية البحث عن الدنيا بأنها متاع الغرور .

(قال ابن عباس : متاع الغرور مثل القدر والقارورة والسكرجة ونحو ذلك ، لأن ذلك لا يدوم ، وكذلك الدنيا تزول وتفنى ولا تبقى . ويقال : هو مثل الزجاج الذي يسرع إليه الكسر ، ولا يصلحه الجبر . ويقال : كزاد المسافر ، يسرع إليه الفناء فكذلك الدنيا) (٢).

ومن إعجاز آية البحث أن أولها يدعو إلى التدبر والإتعاظ من آخرها، فمجئ الموت على كل إنسان شاهد على أن حقيقة الدنيا متاع زائل لا يدوم ، وكذلك العكس

(١) سورة الحديد ٢٠-٢١.

(٢) بحر العلوم / السمرقندي ٣٤٩/١.

فان اختتام آية البحث بأن الدنيا متاع الغرور شاهد على مغادرة الإنسان لها وعدم بقاءه فيها .

منها قوله تعالى ﴿ وَيَوْمُ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١)
وكذا في النار ، قال تعالى ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (٢).

قانون أكثر السؤال عن الساعة

ولا يعلم أحد إلا الله ما هي منافع هذه الآية في إصلاح النفوس ، وفي الإنزجار عن الباطل وفعل السيئات ، لقانون إستحضار الموت زاجر عن الظلم والتعدي ، كما صار الناس يسألون عن يوم القيامة وما فيه من الأهوال سواء عند تلاوة الآيات التي تذكر بالموت وما بعده من علوم الغيب ، أو عند الإنصات للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتناقل سنته من قبل المسلمين وغيرهم ، لذا تكرر السؤال عن الساعة ويوم القيامة أربع مرات في القرآن :

الأولى والثانية : في قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

الثالثة : قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (١).

(١) سورة الأحقاف ٣٤.

(٢) سورة القمر ٤٨.

(٣) سورة الأعراف ١٨٧.

الرابعة : قوله تعالى ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قُرْبًا﴾ (٢).

ليكون السؤال عن يوم القيامة أكثر الأسئلة في القرآن ، فمن بين خمسة عشر لفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في القرآن جاءت ثلاثة منها عن يوم القيامة ، ولا بد أن هذا السؤال متعدد يتعلق بمواطن القيامة ، وكيفية الحساب والفراغ منه ، وترتب الجزاء .

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣) قيل في { } وأبشروا بالجنة { (٤) الآية . قيل إن بشرى المؤمن في ثلاثة مواطن : أحدها عند الموت ، ثم في القبر ، ثم بعد البعث (٥) .

والمختار أن ذات الدنيا هي دار البشارة بالجنة ، وكذا فإن الآية أعلاه من البشارة ، وهل آية البحث وقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ من هذه البشارة ، الجواب نعم فهي بشارة للمؤمن ودعوة له للثبات على الإيمان ، وإنذار للكافر ، وبعث له للتوبة والإنابة .

وتدل كثرة السؤال عن يوم القيامة وذكره بلفظ الساعة على التسليم بنزولها بغتة ، وتكون دفعة لا يؤذن فيها للناس للتهيئ لها .

(١) سورة النازعات ٤٢ .

(٢) سورة الأحزاب ٦٣ .

(٣) سورة فصلت ٣٠ .

(٤) سورة فصلت ٣٠ .

(٥) النكت والعيون ٥٣/٤ .

ومن أسباب تسمية يوم القيامة الساعة وجوه :

الأول : مجئ النفخ في الصور بغتة في ساعة من نهار .

الثاني : هلاك الناس جميعاً في ساعة واحدة .

الثالث : قرب يوم القيامة .

ومع كثرة أسماء يوم القيامة ، وتصل إلى خمسين اسماً منها :

الأول : يوم القيامة ، قال تعالى ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾^(١).

الثاني : اليوم الآخر ، فليس من يوم بعده ، قال تعالى ﴿ إِنْ

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴾^(٢).

إذ ورد هذا الاسم في القرآن ستاً وعشرين مرة ، كلها تتعلق
بالإيمان ، وتندب إليه أو تتضمن اللوم للذين كفروا عن العزوف
عن الإيمان بالله ويوم القيامة، ومثلاً ورد في آيتين متتاليتين وباقتران
الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله عز وجل ، وتعلق في موضوع
الإنفاق بقصد القربة إلى الله ، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا
فَسَاءَ * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ
عَلِيمًا ﴾^(٣).

(١) سورة مريم ٩٥ .

(٢) سورة البقرة ٦٢ .

(٣) سورة النساء ٣٨-٣٩ .

قانون الكبش الأملج

لقد جاءت السنة النبوية ترجماناً للقرآن وتجعل أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مضامين الآية القرآنية حاضرة في الوجود الذهني، وتحبب للمسلمين تلاوة القرآن والتدبر في معاني الآيات عند تلاوته في الصلاة وكثرة الآيات القرآنية التي تذكر الموت كما تقدم ذكر عددها موعظة.

ويتساوي الناس في حلول الموت وانتقالهم الى عالم الآخرة، وليس من إنسان إلا وفناؤه بالموت وتدل عليه آية البحث التي تخبر عن كون الموت له مذاق يُكره الإنسان على أخذه وتذوقه لمرة واحدة تكون خاتمة لكل ما تذوقه من حلو ومر في الحياة الدنيا.

وفيه دعوة للتفكير ماذا بعد هذا الكائن الحي الذي لا يرى، وقد يجهل الإنسان أنه يترصده ليهجم عليه في الوقت المحدد من عند الله عز وجل (عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره، وما من أهل بيت إلا وملك الموت يتعاهدهم في كل يوم مرة، فمن وجده قد انقضى أجله قبض روحه، فإذا بكى أهله وجزعوا.

قال: لم تبكون ولم تجزعون؟

فوالله ما نقصت لكم عمرا ولا حبست لكم رزقا، ومالي من ذنب، ولي إليكم عودة ثم عودة^(١).

إنما ينتقل الى عالم الخلود الذي يبدأ بعالم البرزخ الذي تكون مدته للناس من الكلي المشكك ولكن طرفه في الخاتمة واحد، فيبقى المتقدم من أجيال الناس مدة أطول من المتأخر، لذا تضمن القرآن البشارة لهؤلاء

(١) القضاعي / مسند الشهاب ١٤٦/٥.

المتقدمين بخصوص حالهم في عالم البرزخ ، قال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ
 الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ﴾^(١).

وقد ورد حديث الكبش الأملح عن أبي سعيد الخدري قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل
 النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار .
 فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا .

فيشرفون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ، ثم يقال يا
 أهل النار هل تعرفون هذا ، فيشرفون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت
 وكلهم قد رآه ، فيؤمر به فيذبح ، فيقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ،
 ويا أهل النار خلود بلا موت .

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ
 قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾^(٢) ، وأشار بيده وقال : أهل الدنيا في غفلة^(٣) .
 والكبش الأملح الذي في أعلى صوفه بياض والمراد من الملحة :
 البياض .

(و) عن ابن عباس قال عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن
 الحسن والحسين عليهما السلام بكبشين كبشين كبشين^(٤) .

(١) سورة التوبة ١٠٠ .

(٢) سورة مريم ٣٩ .

(٣) الدر المنثور ٦/٤٦٤ .

(٤) النسائي / السنن الكبرى ٣/٧٦ .

أي عن كل واحد منهما ذبح كبشين.

وعن ابن عباس قال : الصخرة التي بمنى بأصل ثبير ، هي التي ذبح عليها إبراهيم عليه السلام فدى ابنه إسحاق ، هبط عليه من ثبير كبش أعين ، أقرن ، له ثغاء ، وهو الكبش الذي قر به ابن آدم ، فتقبل منه ، وكان مخزوناً في الجنة حتى فدى به إسحاق عليه السلام^(١).

ومن الإعجاز في السنة النبوية أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يقدم مقدمة عقائدية لبيان الموضوع الخاص ، فحينما أراد وصف خاتمة ذات الموت إبتدأ بذكر عمله.

فذكر الأذى وحال الضيق التي تلحق الإنسان عند الإحتضار ، وحلول الأجل وأنه باعث للندامة على لهث الإنسان وراء الدنيا مدة أيامه وحياته في الدنيا ، ثم أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن وظيفة يومية عامة لملك الموت ، وأنه يستعرض كل يوم أهل الأرض كلهم ، ولكن ليس كأفراد فقط ، إنما كعوائل وأسر ، ومعرفة من حان أو أقرب أجله ، وفي النظر للناس كيبوت وأفراد ارتباطية رحمة من عند الله عز وجل ورفق بالناس من جهات :

الأولى : لا يأتي الموت للأسر والعوائل دفعة إلا أن يشاء الله .

الثانية : إتعاظ أفراد الأسرة من موت أحدهم .

الثالثة : حضور الأحياء عند المحتضر ، وتلقي وصيته ، وقراءة القرآن

عنده ، وحضه على الإستغفار بمغادرة الدنيا برداء التوبة .

الرابعة : تغسيل وتكفين ودفن الميت .

الخامسة : الإستغفار للميت ، وقضاء ديونه مع الإمكان ، قال تعالى

﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا .. ﴾^(١).

السادسة : صيرورة الأسرة هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإستعداد للموت.

السابعة : قضاء ما على الميت من العبادات .

الثامنة : تقسيم تركة الميت حسب طبقات الإرث ، لبيان مسألة وهي أن الإنسان في موته ينفع من تركه خلفه ليكون إستغفار الورثة له ، وذكره في أدعيتهم وصلواتهم من عمومات (وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان)^(٢). وإن جاءت التركة قهراً على الميت ، ولكنه إجتهد في جمعها ، وهل يعلم أن في أمواله حقاً معلقاً للورثة .

ويؤتى بالموت بعد إنقضاء عالم الحساب ، وسوق أهل التقوى إلى الجنة ، والأخذ بالذين كفروا بالأغلال إلى النار مصفدين بالأغلال إلى أعناقهم ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ بُرًّا ﴾^(٣) ومع كبر الجنة وسعتها كما في قوله تعالى ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .. ﴾^(٤)، وسعة النار وطبقاتها العمودية فان الموت يوضع في موضع بحيث يراه كل أهل الجنة والنار من المليارات المتعاقبة من أجيال الناس ، وهذا الوضع وحال الرؤيا العامة في آن واحد ليس من حاجب أو برزخ بين الفريقين وبين الكبش ، كما أنه ليس لواحد منهم الإمتناع عن هذه الرؤية .

(١) سورة النساء ١١.

(٢) الدر المنثور ٣٧٢/٩.

(٣) سورة الفرقان ١٣.

(٤) سورة الحديد ٢١.

ثم يكرم الله عز وجل بالإبتداء بالنداء لهم (يا أهل الجنة) فتشرئب أعناقهم ، ويعلمون أن هناك بلاغاً عظيماً ، فيقول : هل تعرفون هذا يسألهم عن الكبش الأملح ، فيلقي الله عز وجل في روع كل واحد منهم انه الموت .

لقد رأوه حينما قبض ملك الموت أرواحهم بهيئة لطيفة ، ومع هذا فانهم عرفوه بهيئته الأخروية .

ثم ينادي ذات المنادي لأهل النار : يا أهل النار ، لبيان أن العنوان العام في عالم الجزاء على قسمين :

الأول : أهل الجنة .

الثاني : أهل النار .

وأنه ليس من برزخ بينهما ، ومع شدة عذاب أهل النار فانهم ينجذبون إلى النداء ، لبيان قانون في الآخرة ، وهو القطع بسماع النداء الذي يأتي من بطنان العرش سواء كان هذا النداء عاماً أو خاصاً .

فيتطلعون إلى جهة النداء ، وهل يرجون فيه فرجاً وتخفيفاً ، الجواب نعم ، وفي التنزيل ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾^(١) فيتطلعون وتصغى آذانهم إلى النداء وما بعده ، فيتوجه لهم السؤال ، هل تعرفون هذا.

وهل فيه إشارة باليد من المنادي كي تتوجه الأبصار إليه ، المختار أنه ليس من إشارة ، ولكن من سنن الآخرة توجه الناس إلى الجهة التي يريد الله عز وجل لهم التوجه إليها ، لأن الآخرة دار جزاء من غير عمل ، ولعمومات قوله تعالى ﴿لَمَنَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٢).

(١) سورة غافر ٤٩.

(٢) سورة غافر ١٦.

فيعرفون بقدرة الله أن هذا الكبش هو الموت جاء بهذه الهيئة ، فيقولون جميعاً : نعم هذا الموت .

وهل يصدر جواب أهل الجنة دفعة واحدة ، وكذا جواب أهل النار أم أنه متفرق .

المختار هو الأول (فيقولون : نعم هذا الموت) (١).

وكلهم قد ذاق مرارة الموت ، وصار بالنسبة لأهل التقوى طريقاً إلى السعادة الأبدية ، قال تعالى بخصوص أهل الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٢) .

أما الذين كفروا فإن الموت مصيبة مركبة نزلت بهم ، وبداية لأهوال الآخرة وشدة العذاب ، قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٣) .

وعندما يراه الفريقان وهم ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٤) ، ويذبح هذا الكبش ليكون عنواناً لإنقطاع الموت ، ويكون يوم عيد عند أهل الجنة للإطمئنان على خلودهم في النعيم .
ويوم حزن أليم على أهل النار لليأس من العودة إلى الحياة الدنيا ، أو دار إمتحان وإبتلاء جديدة .

فجاءت آية البحث لتثبيت هذا العيد ، ولإنقاذ الناس من اليأس الأخرى.

(١) صحيح البخاري ٤١٤/١٥ .

(٢) سورة الدخان ٥٦ .

(٣) سورة النحل ٨٥ .

(٤) سورة الشورى ٧ .

لقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبر ذبح الموت، وهو من علم الغيب، وأختتم الحديث بأية قرآنية، إذ قرأ قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) لبيان قانون وهو أن أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرآة للقرآن، وأنها مدرسة في البشارة للمؤمنين وإنذار ودعوة للتوبة للذين كفروا، ثم بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم في غفلة مما ينتظرهم من العذاب.

وفيه دعوة للمسلمين للصبر عليهم، وعدم استعمال القسوة والعنف، قال تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَكِيلٍ﴾^(٢).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (إن الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء)^(٣).

ومن مصاديق الجزاء في عالم الآخرة إعدام ذات الموت بكيفية الذبح إذ يؤتى به على هيئة كبش، وهو فعل الضأن، وهو أكبر من الخروف الذي يعني لغة الحمل الذكر.

والملحة لون يخالف لون الكبش في أطراف صوفه سواء كانت حمراء أو سوداء أو بيضاء (والمُلْحَة أيضاً من الألوان: بياضٌ يخالطه سوادٌ. وقد املَحَ الكبشُ املِحاحاً: صار املِحاً. ويقال لبعض شهور الشتاء: ملِحانٌ، لبياض

(١) سورة مريم ٣٩.

(٢) سورة الزمر ٤١.

(٣) الدر المنثور ٦٦/١٠.

ثلجه. والزُرْقَةُ إذا اشتدَّت حتَّى تضرب إلى البياض قيل: هو أَمْلَحُ العَيْنِ.
ومنه كَتِيْبَةٌ مَلْحَاءُ^(١).

(والخروفُ: الحَمَلُ، وربَّما سَمِّي المَهْرُ إذا بلغ ستَّة أشهر أو سبعة أشهر
خروفاً)^(٢).

فيوتئ بالموت في الآخرة على هيئة كبش كبير يرى من الجميع .

قانون الوارث لآل فرعون

قال تعالى ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا
فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ﴾^(٣).
وتحتمل الوراثة في الآية أعلاه وجوهاً :

الأول : إذا كان بنو إسرائيل قد عبروا البحر ، وتوجهوا إلى أرض
فلسطين ، فكيف ورثوا أرض آل فرعون ، الجواب بعد تقدم السنين
وسؤال بني إسرائيل موسى عليه السلام من نبات الأرض مع المن
والسلوى ، أمرهم الله عز وجل أن يتوجهوا إلى مصر للعمل بالفلاحة ،
وفي التنزيل ﴿وَإِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا
مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ
أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ
وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٤).

(١) الصحاح في اللغة ٢/١٧٩.

(٢) الصحاح في اللغة ١/١٦٩.

(٣) سورة الدخان ٢٥-٢٨.

(٤) سورة البقرة ٦١.

الثاني : المراد من الوراثة في الآية أعلاه هو جنس النعيم والزراعات إذ عمر بنو إسرائيل أرض فلسطين بالزراعة ، وصارت لهم دولة ، فيها ملوك منهم ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

فالمراد وراثة حال النعمة من غير حصر في بلد مخصوص ، وكأنها انتقلت مع بني اسرائيل كما أصابت المسلمين بايمانهم.

فنتعهم موسى عليه السلام بأنهم ملوك وفيهم أنبياء فنالوا صفة الملك والشأن والأمن بالنسبة لأنبيائهم فليس من فرعون يهددهم بالقتل أو يسخرهم لأعمال وضيعة ، ويمنعهم من أداء الفرائض العبادية ، ومع هذا فان موسى عليه السلام لم يرجع إلى مصر بعد عبوره البحر الأحمر ، ومات هارون في التيه قبل موسى.

وعن ابن عباس عن الإمام علي عليه السلام (في قوله ﴿لَا تَكُونُوا

كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ﴾^(٢) ، قال : صعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون عليه السلام فقالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : أنت قتلته ، كان أشد حبا لنا منك وألين ، فأذوه من ذلك ، فأمر الله الملائكة عليهم السلام ، فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل ، وتكلمت الملائكة عليهم السلام بموته ، فبرأه الله من ذلك ، فانطلقوا به فدفنوه ولم يعرف قبره إلا الرُحَم ، وأن الله جعله أصم أبكم)^(٣).

(١) سورة المائدة ٢٠.

(٢) سورة الأحزاب ٦٩.

(٣) الدر المنثور ٨/٢١٥.

(عن قتادة في قوله {وجعلكم ملوكاً} قال : ملكهم الخدم ، وكانوا أول من ملك الخدم) (١).

ولكن آل فرعون ملكوا قبلهم الخدم ، وطائفة من بني إسرائيل كانوا يخدمون آل فرعون ولكن ليس بصفة الملك لذا جاهد موسى عليه السلام لإخراجهم من مصر ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَرْتَضُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذُوا عَلَيْكُمْ وَتَسْتَعْتِبُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يُجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (٢).

الثالث : أورث الله بني إسرائيل ملك فرعون في الشام.

وقيل : ملك بنو إسرائيل مصر زمن سليمان (٣).

الرابع : الذين ورثوا آل فرعون قوم آخرون غير بني إسرائيل ، كما في

قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (٤).

الخامس : المراد وراثته المسلمين لأرض مصر ، وصيرورة أهلها مسلمين بما فيهم بقية آل فرعون وأهل النوبة ، فان قلت إذا كان منهم بقية آل فرعون هل ينطبق عليهم الوصف ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ الجواب نعم من جهات منها :
الأولى : التباين في الأشخاص والجيل ، فكل قرن من الناس وكل جيل هو أمة.

(١) الدر المنثور ٣/٣٤٩.

(٢) سورة النساء ١٤١.

(٣) تفسير البحر المحيط ٨/٤٠٦.

(٤) سورة الدخان ٢٨.

الثانية : تبدل وتغير الملة وتنزه أرض مصر عن الكفر ومفاهيم الشرك إلى يوم القيامة ، وهو من مصاديق الوراثة ، لأن الوراثة إذا جاءت من عند الله حملت على الإطلاق الزمني إلا مع وجود التخصيص أو الإستغناء ، فتكون هذه الوراثة من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

الثالثة : زوال ملك آل فرعون ، وعدم أهليتهم لإسترداد الملك لبيان قانون وهو أن ميراث الملك والنعمة يتم بمشيئة من عند الله ، وأن الذي يصير على الكفر ومحاربة النبوة يستأصل سلطانه ولا يعود إليه وإلى ذريته ، وفي قصة آل فرعون إنذار ووعيد لكفار قريش وأن أيامهم قليلة ومعدودة ما داموا يحاربون النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وأنهم لا يملكون من الشأن والمال والجيوش معشار ما يملك فرعون ، فحينما أراد أبو سفيان التجهز لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة أحد ، استأجر ألفين من الأحابيش وغيرهم ليكون مجموع الجيش ثلاثة آلاف رجل ، بينما سار فرعون خلف موسى بألف ألف رجل أي مليون.

السادس : إرادة التعدد في وراثة النعمة من جهات :

الأولى : وراثة ملك ونعم مصر لقوم آخرين غير آل فرعون ، ولعل بعض نساء آل فرعون بعد هلاك فرعون وجنوده تزوجن العبيد ، وأشرطن عليهم أن الأمر بيدهن ولا يعقد الزوج أي عقد إلا باذن زوجته واستمرت هذه العادة عند أهل مصر طويلاً بأن يرجع الرجل الى زوجته في الإستشارة وإليه أشار المقرئزي (٧٦٤-٨٤٥ هجرية).

وقال ابن كثير : وهلك الملك وحاشيته وأمرأؤه وجنوده ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والرعايا فذكر ابن عبد الحكم في تاريخ مصر أنه من

ذلك الزمان تسلط نساء مصر على رجالها بسبب أن نساء الأمراء والكبراء تزوجن بمن دونهن من العامة فكانت لهن السطوة عليهم واستمرت هذه سنة نساء مصر إلى يومك هذا^(١).

واستدامة هذه السطوة ليست صحيحة فقد نظم الإسلام الصلة داخل الأسرة وأكرم المرأة ، وهناك من الأمم من يكون شأن المرأة فيها أكثر من غير أن يكون السبب هلاك الأمراء ، ونكاح العامة لأزواجهم.

ويدل الخبر أعلاه بوجود عامة من الناس غير بني إسرائيل يمكن تسخيرهم للمهن والأشغال والفلاحة خاصة بعد رؤية الآيات والمعجزات التي تكون من غاياتها الإذن لموسى بأن يخرج بني إسرائيل معه من مصر ليصلحهم لعبادة الله ، وتلقي أحكام الحلال والحرام ، والانتقال للعيش في الأرض المقدسة ويتعاقب الأنبياء فيهم ، ويحملون البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويخبرون الناس عن مضامين آية البحث ، بنزول مصيبة الموت بكل إنسان.

الثانية : جاءت الآية بصيغة الماضي ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾^(٢) وهو لا يمنع من إرادة

المعنى العام لأفراد الزمان الطولية ، وشمول الآية للحاضر والمستقبل.

الثالثة : تعدد الورثة والنعم ، ففي الآية بشارة للمؤمنين بهلاك كفار قريش ، وصيرورة الشأن والملك بيد المؤمنين .

الرابعة : دعوة المسلمين لحسن الصلوات مع أهل الكتاب ، ومن

رشحات قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ

(١) البداية والنهاية ٢٧٤/١.

(٢) سورة الدخان ٢٨.

تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ التسليم من الجميع بأن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ذَائِقَةِ الْمَوْتِ﴾ (٢).

بحث عرفاني

وفي الآية دعوة للمسلمين لنشر لواء السلم وشأيب الرأفة بين الناس ، والإمتناع عن الإضرار بالغير وعن الظلم ، ففي الآية إخبار عن مغادرة كل من المؤمن والكافر ، والبر والفاجر الحياة الدنيا وأن جيلاً جديداً يأتي من بعدهم لتتوجه لهم آية البحث بقانون ذوق مرارة الموت ، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣).

وقيل في سبب نزول الآية أعلاه (أن بعض المسلمين قال : إن محمداً لن يموت وإنما مخلد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأنكره ونزلت هذه الآية) (٤).

ويتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٥) ، حجة من جهات :

الأولى : إنذار الذين كفروا .

الثانية : تصديق إخباره عن اليوم الآخر.

الثالثة : دعوة الناس للتفكير بما بعد الموت.

فأخبرت خاتمة الآية بأنها دار متاع إلى عالم آخر وهو عالم الخلود.

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة الأنبياء ٣٤ .

(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٤٨ .

(٥) سورة آل عمران ١٨٥ .

فمن أراد الخلود في الدنيا فعليه أن يجتهد بطاعة الله عز وجل ليفوز بالخلود في النعيم المطلق ، فليس في الآخرة تعب أو عناء أو تكاليف.

والموت في الفلسفة هو بلوغ نقطة اللا عودة إلى الحياة الدنيا ، والعجز الشخصي التام عن الرجوع إلى الحياة الدنيا وهو الذي يتجلى بقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١).

ليكون من مصاديق البرزخ الذي تدل عليه الآية أعلاه ، فيتوقف نبض القلب ، وتسكن حركاته ، وتنقطع ضرباته ، ثم تتوقف الدورة الدموية وينغلق الدماغ ، وأثبتت التحريات الطبية الحديثة أن بعض خلايا الإنسان تبقى نشطة لأيام أو أسابيع بعد الموت .

ومن خصائص القرآن أنه يعصم تاليه ومستمعه من اليأس والقنوط ، فاذا ابتدأت آية البحث بالإخبار عن تغشي الموت ومغادرة الدنيا للناس جميعاً فإنها تضمنت البشارة بالجنة واللبث الدائم في النعيم ، ولكن هذه البشارة ليست عامة لأهل الأرض.

إذ أخبرت آية البحث أنها خاصة بمن زحزح وأبعد عن النار ، فقد جاءت آيات القرآن لتخبر عن السبيل إلى هذا الإبعاد وهو الإيمان والعمل الصالح.

(١) سورة المؤمنون ٩٩-١٠٠.

ولم تقل آية البحث (ومن تزحزح) لأن هذه الزحزحة وكل حركة في الآخرة لا تكون إلا بمشيئة وإذن من الله عز وجل ، ولأن الإبعاد عن النار نوع حكم وجزاء .

قانون آيات الموت

لقد ذكر الموت في آيات عديدة من القرآن ، ولا ينحصر ذكره بلفظ الموت، فقد يأتي بألفاظ أخرى مرادفة للموت ، كما في قوله تعالى ﴿وَكُوفُوا لِلْحَرِيقِ﴾ (١) .

إذ تبين هذه الآية أن الموت ليس أثراً طبيعياً لعجز أعضاء البدن عن الحركة ، إنما هو بمشيئة من عند الله ، وأن الناس يتباينون في أوان وكيفية قبض الروح بحسب سنجية الأفعال في الدنيا ، لذا فمن إعجاز آية البحث ورودها بذكر ذوق الموت بقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٢) .

ووردت الإشارة إلى الموت بصيغة الفعل الماضي ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٣) وفي عيسى عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٤) .

(١) سورة الأنفال ٥٠ .

(٢) سورة الأنبياء ٣٥ .

(٣) سورة البقرة ١٦١ .

(٤) سورة مريم ١٥ .

وفي الآية أعلاه مصداق للعموم في قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١) في آية البحث بأن الموت لا بد وأن يأتي على عيسى عليه السلام ، وإن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة)^(٢).

كما ورد فعل الأمر ﴿مُوتُوا﴾ في القرآن مرتين ، كما في قوله تعالى ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٤).

وكل مرة يذكر فيها (الموت) في القرآن له دلالات خاصة ، ومن الآيات التي ذكر فيها الموت :

الأولى : قال تعالى ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٥).

الثانية : قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦).

(١) سورة الأنبياء ٣٥.

(٢) الدر المنثور ٣/٢٩٠.

(٣) سورة آل عمران ١١٩.

(٤) سورة البقرة ٢٤٣.

(٥) سورة البقرة ١٩.

(٦) سورة البقرة ٩٤.

الثالثة : قال تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

الرابعة : قال تعالى ﴿كُذِّبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

الخامسة : قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣).

السادسة : قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ نَظْرُونَ﴾ (٤).

السابعة : قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنِّي أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٥).

الثامنة : قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة ١٣٣.

(٢) سورة البقرة ١٨٠.

(٣) سورة البقرة ٢٤٨.

(٤) سورة آل عمران ١٤٣.

(٥) سورة آل عمران ١٦٨.

(٦) سورة آل عمران ١٨٥.

التاسعة : قال تعالى ﴿ وَاللَّيْلِ يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَامْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ (١).

العاشرة : قال تعالى ﴿ وَكَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَمَا أُوتُوا أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٢).

الحادية عشرة : قال تعالى ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٣).

الثانية عشرة : قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٤).

الثالثة عشرة : قال تعالى ﴿ شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾ (٥).

(١) سورة النساء ١٥.

(٢) سورة النساء ١٨.

(٣) سورة النساء ٧٨.

(٤) سورة النساء ١٠٠.

(٥) سورة المائدة ١٠٦.

الرابعة عشر : قال تعالى ﴿أَتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ (١).

الخامسة عشرة : قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٢).

السادسة عشرة : قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾ (٣).

السابعة عشرة : قال تعالى ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٤).

الثامنة عشرة : قال تعالى ﴿وَلَكِن قُلْتُ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٥).

التاسعة عشرة : قال تعالى ﴿يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (٦).

العشرون : قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنُبَلِّغُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٧).

(١) سورة المائدة ١٠٦.

(٢) سورة الأنعام ٦١.

(٣) سورة الأنعام ٩٣.

(٤) سورة الأنفال ٦.

(٥) سورة هود ٧.

(٦) سورة ابراهيم ١٧.

(٧) سورة الأنبياء ٣٥.

الحادية والعشرون : قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ

ارْجِعُونِ﴾^(١).

الثانية والعشرون : قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

الثالثة والعشرون : قال تعالى ﴿قُلْ يَتُوبَإِلَيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ

رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

الرابعة والعشرون : قال تعالى ﴿قُلْ لَنْ يُنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنِ فَرَرْتُمْ مِنَ

الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَسْعَوْنَ إِلَّا لِقِيلًا﴾^(٤).

الخامسة والعشرون : قال تعالى ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ

الْمَوْتِ﴾^(٥).

السادسة والعشرون : قال تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا

دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا

فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٦).

(١) سورة المؤمنون ٩٩.

(٢) سورة العنكبوت ٥٧.

(٣) سورة السجدة ١١.

(٤) سورة الأحزاب ١٦.

(٥) سورة الأحزاب ١٩.

(٦) سورة سبأ ١٤.

السابعة والعشرون : قال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

الثامنة والعشرون : قال تعالى ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٢).

التاسعة والعشرون : قال تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ (٣).

الثلاثون : قال تعالى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (٤).

الحادية والثلاثون : قال تعالى ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٥).

(١) سورة الزمر ٤٢.

(٢) سورة الدخان ٥٦.

(٣) سورة محمد ٢٠.

(٤) سورة ق ١٥.

(٥) سورة الواقعة ٦٠.

الثانية والثلاثون : قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَمَتَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

الثالثة والثلاثون : قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

الرابعة والثلاثون : قال تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكْتَنُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣).

الخامسة والثلاثون : قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٤).

كما وردت مادة (موت) بصيغ عديدة أخرى منها (موتكم) و(موتها) و(موتتنا) و(أموات) .

وورد لفظ (الموتى) في القرآن سبع عشرة مرة منها قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١) .

(١) سورة الجمعة ٦.

(٢) سورة الجمعة ٨.

(٣) سورة المنافقون ١٠.

(٤) سورة الملك ١-٢.

وورد لفظ ﴿الميت﴾ في القرآن سبع مرات منها ما يخص الأرض وأحياءها بفضل من الله عز وجل ، قال تعالى ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَدْرٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (٢).
وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُمْ وَسُكِّيتُمْ وَمَخَّيْتُمْ وَمَمَّيْتُمْ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

مجموع مادة مات في القرآن اثنان وستون ومائة مرة .

قانون أسئلة المسلمين لقصد الآخرة

هل يدل ورود قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ خمس عشرة في القرآن على كثرة هذا السؤال ، الجواب نعم ، كما ورد لفظ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ مرتين في القرآن. وهل في الأمور التي سأل عنها المسلمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما ذكر في القرآن شواهد تدل على تسليمهم بقانون ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٤) ، الجواب نعم ومنه :

الأولى : قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (٥) ، لبيان أن المسلمين يتخذون من الآيات الكونية مناسبة للعبادة إذ يحدد أوان

(١) سورة الأعراف ٥٧.

(٢) سورة فاطر ٩.

(٣) سورة الأنعام ١٦٢.

(٤) سورة آل عمران ١٨٥.

(٥) سورة البقرة ١٨٩.

الصيام برؤية هلال شهر رمضان لقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(١)، وذكرت الآية أعلاه الحج على نحو التعيين.

والمراد منه أشهر الحج كلها لقوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، ومن فلسفة العبادة في الأرض وجوه :

الأول : قانون كل مصداق للعبادة إقرار باليوم الآخر وهل المراد مثلاً فريضة الصلاة مطلقاً أم خصوص كل فرض منها .

الجواب هو الثاني ، لذا ورد عن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت سعدا يقول : كان رجلان أخوان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدهما أفضل من الآخر ، فتوفي الذي هو أفضلهما ، ثم عمر الآخر بعده أربعين ليلة ، ثم توفي ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففضيلة الأول على الآخر ، فقال : أو لم يكن يصلي ، قالوا : بلى .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وكان لا بأس به ، قالوا : نعم قال : وما يدريكم أنى بلغت صلواته .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك : إنما مثل الصلوات كمثل نهر غمر عذب يباب رجل ، يقتحم فيه كل يوم خمس

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

مرات ، فماذا ترون ذلك ييقي من درنه ، إنكم لا تدرون ما بلغت به صلاته^(١).

الثاني : قانون أداء الفريضة شاهد على التسليم بأن كل نفس ذائقة الموت ، وإقرار بعالم ما بعد الموت.

الثالث : قانون العبادة واقية من النار ، ليكون من مصاديق آية البحث فمن زحزح عن النار بأداء الفرائض العبادية ، فمن إعجاز القرآن كونه ﴿ثَبِيثًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) ، فلما ذكر الله عز وجل في آية البحث الحاجة إلى الزحزحة من النار أخبر سبحانه على أن الفرائض العبادية واقية من النار ، وسبيل إلى الجنة.

الرابع : قانون زحزحة العبد عن النار كل يوم بالفرائض والتقوى ، فان قلت إنما وردت الآية بصيغة المبني للمجهول (زحزح) وليس هو ذاته يزحزح نفسه.

والجواب هذا صحيح إذ أن الفريضة العبادية تحضر يوم القيامة لتشهد لصاحبها ، كما يشهد له المسجد والموضع الذي صلى فيه ، كما يحضر القرآن يوم القيامة ليشهد تاليه والعامل به ، لذا فان وجوب قراءة القرآن في الصلاة كل ركعة رحمة من الله بالعباد ، وفضل عظيم منه لأنها ذخيرة للأخرة .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن الضريس عن أبيه^(٣) عن جده : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً

(١) الطبراني / المعجم الأوسط ٢٤١/١٤.

(٢) سورة النحل ٨٩.

(٣) سقط من المتن أعلاه : عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، والمراد عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، والأكثر لم يذموا عمرو بن شعيب ، ولكن ابن حجر قال : أنه مدلس ، ومراد الحديث عن أبيه عن جده أي ان عمرو

فيؤتى الرجل قد حمله فخالف أمره ، فيقف له خصماً فيقول : يا رب حملته إياي فبئس حاملي تعدى حدودي ، وضع فرائضي ، وركب معصيتي ، وترك طاعتي .

فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال : فشأنك ، فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار ، ويؤتى بالرجل الصالح قد كان حمله وحفظ أمره ، فيتمثل له خصماً دونه .

فيقول : يا رب حملته إياي فحفظ حدودي ، وعمل بفرائضي ، واجتنب معصيتي ، واتبع طاعتي ، فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له : شأنك به ، فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ، ويعقد عليه تاج الملك ، ويسقيه كأس الخمر^(١) .

وأختتمت آية (الأهلة) بالأمر والرجاء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) ،

سيأتي بيان وتفصيل في قانون خاتمة آية ﴿سَأَلُونَكَ﴾ .

ففيها شاهد على أن الغاية من السؤال عن الأهلة هي العبادة ، وقصد القربة إلى الله ، وفيها دعوة سماوية إلى التقيد بمضامين الإجابة الإلهية عن الأسئلة ، فحينما ينزل الله عز وجل الجواب في القرآن فإنه يريد من المسلمين العمل بمضامينه ، وفيه النجاح والفلاح .

بن شعيب سمع من أبيه ، وأبوه سمع من جده عبد الله بن عمرو ، أي سماع الحفيد من جده ، لذا نعته بعض العلماء بالضعيف لأنه غير متصل وروى أبو داود عن أحمد ، قال : أصحاب الحديث إذا شأوا احتجوا بحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، وإذا شأوا ، تركوه / سيرة اعلام النبلاء ١٦٨/٥ .

(١) الدر المنثور ٤/١٦٥ .

(٢) سورة البقرة ١٨٩ .

وآية ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾^(١)، هي أول آية من آيات يسألونك في نظم القرآن لبيان لطف الله في تثبيت فريضة حج البيت الحرام والفوز بالثواب على أدائه.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : هذا البيت دعامة من دعائم الإسلام ، فمن حج البيت ، أو اعتمر فهو ضامن على الله ، فإن مات أدخله الجنة ، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة^(٢).

الثانية : قوله تعالى ﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَنْبِ السَّبِيلِ وَمَا تَعْلَمُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٣)، من خصائص الإنسان حبه للمال وعدم تفريطه به ، ويقبح الناس الإسراف في المال ، ولكن سؤال المسلمين عن الإنفاق شاهد على إيمانهم .

ومن إعجاز القرآن أن لفظ ﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾^(٤)، ورد مرتين في القرآن لبيان موضوعية الإنفاق كطريق إلى السعادة في الآخرة ، إذ ورد بقوله تعالى ﴿وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ﴾^(٥)، لبيان التعاضد والتداخل بين إنفاق المال في سبيل الله ، وبين العفو والصفح عن الناس ، وقد تقدم

(١) سورة البقرة ١٨٩.

(٢) الطبراني / المعجم الأوسط ٣٦٤/١٩ .

(٣) سورة البقرة ٢١٥.

(٤) سورة البقرة ٢١٥.

(٥) سورة البقرة ٢١٩.

الكلام في الجزء السابع بعد المائتين ، والمراد بالعمفو في الآية أعلاه إذ أنه يتضمن معنيين :

الأول : الزائد عن المؤونة.

الثاني : التجاوز عن الذنوب والسيئات.

ولا يقدر على ذكر هذه الملازمة إلا الله عز وجل ، وهو سبحانه يعلم بأن المؤمنين قادرون عليها إذ أن العمفو تنازل عن نوع من الحقوق فلذا جاء في خاتمة الآية أعلاه ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾^(١).

ترى ما هي النسبة بين فعل الخير وبين الإنفاق الذي تذكره الآية ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ففعل الخير أعم ، وهو من إعجاز القرآن وليان نكتة عقائدية وهي قد يتعذر على المسلم الإنفاق ، وربما يكون هو محتاجاً يستحق الصدقة ، ولكن هذا لا يمنع من فعله الخير ، وإثابته عليه. ليكون من مصاديق قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾^(٢) ، أن الموت يأتي على الغني والفقير ، وكل واحد منهما يجب عليه الإستعداد للموت الذي لا يفرق بين الناس فلا بد من زيارته لكل واحد منهم. وترى الإنسان يندم في كبره على أعمال ارتكبها في شبابه ، ويود أن تعود به الأيام ويحبتها ، أما المؤمن عندما تتقدم به السن فإنه يشكر الله عز وجل على تعاهده للعبادة وسنن التقوى.

الثالثة : قوله تعالى ﴿ يَا لَوْلَاكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلُوبٌ قَاتِلٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُ الْوَنبُ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ

(١) سورة البقرة ٢١٥.

(٢) سورة آل عمران ١٨٥.

مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ، قد تقدم في الجزء السابق بيان ودلائل على أن الآية أعلاه من آيات الدفاع المحض ، وبهذا فهي تلحق بآيات السلم ، إذ صدر الجزء السابق بقانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة).
 لقد صدر واحد وعشرون جزءاً من تفسيرنا للقرآن بقانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) ، وفق توالي وقائع ومعارك الإسلام الدفاعية ، ووصل البحث إلى صلح الحديبية الذي سماه الله فتحاً ، وقانون مقدمات صلح الحديبية ، وقانون النسوة في الحديبية ، وقانون صلح الحديبية ، وقانون وهن قريش ، وإبتداء السير نحو الحديبية.

ولقد صدر والحمد لله الجزء الرابع بعد المائتين من تفسيري للقرآن وتضمن اثنين وعشرين قانوناً إلى جانب بحوث أصولية وكلامية وتأريخية منها :

الأول : قانون نزول الآية القرآنية برزخ دون سفك الدماء .

الثاني : قانون المشركون هم الغزاة في معركة بدر.

ليبان المغايرة مع ما يتوارث بأنها غزوة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخرج المشركون من مكة بقصد القتال ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة في كتيبة استطلاع ونشر الإسلام وليس معه سيف وأصر المشركون صباح يوم بدر على القتال ، وفي ذات الوقت كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينادي قولوا لا اله إلا الله تفلحوا ، ويأمر أصحابه أن لا يبدأوا بالقتال أو رمي السهام.

الثالث : قانون آيات الدفاع سلام دائم وهو الذي صدر بخصوصه الجزء

الثاني والأربعين بعد المائة والجزء الخامس بعد المائتين من تفسيري.

الرابع : قانون آيات السلم محكمة لبيان قانون وهو أن الله عز وجل أنزلها لتكون مناراً وواقية من الإرهاب والقتل العشوائي.

الخامس : قانون شراء النفس بالصبر .

ومنه مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة ونزل قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(١).

السادس : قانون معجزات نوح زاجر عن الضلالة .

لقد أمضى نوح سنوات عديدة في صنع سفينته وحيث لا نهر ولا بحر بجواره مما زاد في استهزاء قومه منه ولكن جاء أمر الله ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسُرُ ﴾^(٢)، ماء سماوي ودر أي مسامير جمع دسار وهو المسمار ، وسفينة نوح تجري بحفظ من الله ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرًا ﴾^(٣)، فعال من دسره إذا دفعه يدسر به منفذه لتبين قصة نوح قانوناً وهو وجوب الملازمة بين الإيمان بالله وبين الوجود الإنساني ، ولو على نحو الموجبة الجزئية مع توالي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٤)، ليس من زمان إلا وفيه موحدون ، وتبقى قصة سفينة نوح ومعجزات

(١) سورة البقرة ٢٠٧.

(٢) سورة القمر ١١-١٣.

(٣) سورة القمر ١٤.

(٤) سورة الذاريات ٥٦.

الأنبياء الأخرى سياحة في رحمة الله بالناس ، وهدايتهم الى سواء السبيل ، وزاجراً للناس عن الضلالة ، ومانعاً من الإرهاب ، وقد أكثر قوم نوح من إرهابه وتهديده والإبتداء عليه بالشتم والضرب ويمكن إنشاء قانون بخصوص معجزات الأنبياء من وجوه :

الأول : قانون المعجزة النبوية دعوة للتوحيد .

الثاني : قانون المعجزة النبوية رسالة أمن وسلام .

الثالث : قانون المعجزة النبوية زاجر عن الإرهاب .

الرابع : قانون بقاء منافع المعجزة النبوية إلى يوم القيامة ، وهو من أسرار كون معجزة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن عقلية ، قال تعالى ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١).

ويدل قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ (٢)، على أن المسلمين يسلمون بالأمن في الشهر الحرام ، ولا يظنون بحدوث القتال في الأشهر الحرم إذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمرهم بالقتال فيه ، فلو كان قد أمرهم بالقتال فيه لما سألوا عنه ، لأنه من تحصيل ما هو حاصل. ومن الإعجاز في الآية أن الجواب بالإيجاب ووقوع القتال في هذا الشهر من عند الله عز وجل وليس من عند النبي محمد صلى الله عليه وآله

(١) سورة الاسراء ٨٨.

(٢) سورة البقرة ٢١٧.

وسلم فيكون من معاني ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾^(١): يا أيها النبي كُتِبَ عليك القتال وهو كره لك ولأصحابك.

لذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج للقتال بنفسه ليتعلم المسلمون أخلاقيات القتال وأنه للدفاع المحض، ونوع طريق إلى السلم المجتمعي، وقد يطمع الصحابة بمطاردة فلول المشركين وقتلهم أو أخذ إبلهم وأموالهم غنائم، وأسرهم رجاء البدل والعوض خاصة وأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جعل عوض فكاك الأسير لمن أسره مثل عوض أسرى بدر، إذ كان بدل فكاكهم من الأسر ٤٠٠ دينار أي أربعة آلاف درهم فضة آنذاك ممن كان عنده مال ويقدر على الفداء، ومنهم أبو وداعة بن ضبيرة السهمي القرشي، وأخذ من العباس بن عبد المطلب مائة أوقية. وكان أبو وداعة قد أسر في معركة بدر، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للذين أسروه (تمسكوا به، فإن له ابناً كيساً بمكة)^(٢) فخرج ابنه عبد المطلب من مكة خفية عن قريش لأنهم كانوا يحضون على الإمتناع عن دفع البدل.

وكانت قريش تقول (لا تعجلوا في فداء أسراكم؛ لا يارب عليكم محمد)^(٣) لئياس المسلمون ويطلقوا الأسرى، ومع ما فيه من المجازفة الأسرى للقتل فان غايتهم حجب النفع ووصول المال إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٢١٦.

(٢) الإستيعاب ٤٣٩/١.

(٣) سمط النجوم ٣٥٨/١.

(٤) سورة الأنفال ٣٠.

ووصل عبد المطلب إلى المدينة ، ولم يتعرض له الصحابة مع معرفتهم بكفره وبقائه على الشرك ، وفدى أباه بأربعة آلاف درهم ، وعاد إلى مكة ، فكان أبو وداعة أول أسير دُفع فداؤه .

وتوجهت قريش له باللوم فاعتذر بأنه لم يقدر على تحمل بقاء أبيه أسيراً ، عندئذ اندفع الناس لفك أسراهم.

قال ابن إسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : لما أمسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : ما لك لا تنام يا رسول الله .

فقال : سمعت أنين عمي العباس في وثاقه " فأطلقوه ، فسكت ، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان رجلاً موسراً ففادي نفسه بمائة أوقية من ذهب . قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر^(١) .

وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فداء الذين يقرأون ويكتبون تعليم أولاد الأنصار الكتابة ، ويعلم المسلمون عند سؤالهم عن القتال احتمال القتل ، ليكون من معاني ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) ، رضا الصحابة بما كتب الله عز وجل لهم من القتل في معارك الدفاع أو الموت على السرير ، وكل منهما فيه الأجر والثواب .

لقد كان مشركوا قريش يهددون المسلمين بالقتل والأسر والسبي وقد قتلوا عدداً منهم تحت التعذيب ، ومن الشواهد أن هذا القتل طال حتى

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٦٢/٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

النساء المؤمنات إذ قتل أبو جهل أم عمار بن ياسر سمية بنت خياط تحت التعذيب ، فجاءت آية البحث لبعث الطمأنينة في قلوب المسلمين والإستعداد للموت ثم جاءت الآيات التي تشني على شهداء معركة بدر ومعركة أحد ، وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ (١) إلى قوله ﴿أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

قال قتادة والربيع : ذكر لنا أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا ليتنا نعلم ما فعل بإخواننا الذين قتلوا يوم أحد ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣).

ويفيد الجمع بين الآية أعلاه وآية البحث مسائل :

الأولى : الموت بالنسبة للمؤمن إبتداء لحياة جديدة تتصف بالخلود في النعيم.

الثانية : تبدأ حياة جديدة للمؤمن بعد موته .

الثالثة : من معاني الرزق في الآخرة بشارة الخلود في الجنة .

ترى هل الإنفاق في سبيل الله والبر بالوالدين يبعد الأجل ، الجواب نعم ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٤) ، إرجاء الله عز وجل الموت عن المحسنين جزاء ومنسأة في الأجل .

لقد سأل المسلمون عن ماذا ينفقون ليدل بالدلالة الإلتزامية على أمور :

الأول : حرص المسلمين على الإنفاق .

الثاني : التسالم على إرادة الإنفاق في سبيل الله ، وطاعة له .

(١) سورة آل عمران ١٦٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٧١ .

(٣) الكشف والبيان ٣/٢٧٠ .

(٤) سورة آل عمران ١٨٥ .

الثالث : موضوعية الإنفاق في الإسلام ، والملازمة بينه وبين الإيمان.
الرابع : إدراك المسلمين لقانون التكافل الإجتماعي بين المسلمين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١).

الخامس : تفقه المسلمين في الدين ، وحبهم لله ورسوله ، ورجاء سماع الإجابة من الوحي والتنزيل ، ولما جاء الذم للكفار وبيان سوء انفاقهم وترتب الضرر عليه في النشأتين بقوله تعالى ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(٢) ، جاء سؤال المسلمين لإرادة جلب النفع بالإنفاق.

لقد جاء الجواب من عند الله على سؤال المسلمين بالإنفاق من الخير وهو سور الموجبة الكلية لإرادة المال والطعام والزكاة والصدقات المستحبة ، وبيان الجهة التي ينفقون فيها وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٣) ، إذ ذكرت الآية الإنفاق على كل من :

الأول : الوالدان أي الأب والأم ، وهل يشمل الأجداد أم أن القدر المتيقن من الآية هما الوالدان الصليبان وأن الأجداد يدخلون في (الأقربين) الذي ذكرتهم الآية ، المختار هو خصوص الوالدين ، خاصة وأن الآية جاءت بصيغة المثني.

وقد يقال إن تقدير الآية : الوالدان وإن علوا ، إنما خصت الآية الوالدين للفرد الأعم الأغلب ، ولأن كلاً من الأب والأم ينفقان على

(١) سورة الحجرات ١٠.

(٢) سورة الانفال ٣٦.

(٣) سورة الاسراء ٩.

آبائهم مع الحاجة ، فكون الإنسان ينفق عليه لا يسقط عنه الإنفاق على من تجب عليه نفقته ، نعم له تقديم نفسه ثم زوجته .

وقيل أن ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(١) ، منسوخة بأية الميراث وحديث (لا وصية لوارث) .

والمختار أن السنة لا تنسخ القرآن وقيل المعنى الوصية بتوريث الوالدين والأقربين حسب الفرائض ثم أن الإنفاق غير الوصية ، لأن الإنسان ينفق في حياته ، أما الوصية فتتعلق فيما بعد وفاته ، وبمقدار الثلث من ماله أو أقل من الثلث .

ومن خصائص الإنفاق على الأقربين ، وغاياته الحميدة أنه دعوة للإيمان وأداء الفرائض العبادية ، وتعاهد للسلم المجتمعي الذي جاءت به الرسالات السماوية وتجلى في أحكام القرآن .

وقد ورد قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) ، لتكون النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق ، فموضوع العشيرة والأقربين أعم وكذا بالنسبة للإنذار لبيان جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة الى الله بالحجة والبرهان ، وقال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٣) .

وتقدير الآية انفقوا الخير على الوالدين ، والنسبة بين بر الوالدين والإنفاق عليها هو العموم والخصوص المطلق ، فالبر أعم ، وهل قوله تعالى

(١) سورة البقرة ١٨٠ .

(٢) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٣) سورة النحل ١٢٥ .

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾^(١)، من هذا الإنفاق الجواب لا ، إنما هو من البر والإحسان للوالدين ، ويفيد حرف التبويض في قوله تعالى ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ التبويض وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٢)، وليبان أن الإنسان ينفع نفسه من إنفاقه وبذله المال ، لقوله تعالى ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ﴾^(٣)، وقدمت الآية الأهم ، فذكرت الوالدين أولاً.

أسباب نزول الآية أعلاه :

وفيه وجوه :

الأول : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾^(٤)، الآية . قال : يوم نزلت هذه الآية لم يكن زكاة ، وهي النفقة ينفقها الرجل على أهله ، والصدقة يتصدق بها فنسختها الزكاة^(٥). ولا دليل على النسخ ولكن المراد التعدد في النفقة فيشمل وجوه الخير والصدقات المستحبة ، وإلا فان الآية قدمت الوالدين في إنفاق الخير ، بينما الزكاة ليست على الوالدين لوجوب الإنفاق عليهما ، وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أنت ومالك لأبيك)^(٦) ، ولأن دفع الشخص الزكاة للوالدين يعود نفعه عليه ، بينما نزل القرآن بتعيين أصناف المستحقين ، قال

(١) سورة الاسراء ٢٣.

(٢) سورة الاسراء ٢٩.

(٣) سورة البقرة ٢٧٢.

(٤) سورة البقرة ٢١٥.

(٥) الدر المنثور ١/٤٩٠.

(٦) الدر المنثور ٢/٢٠٢.

تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي
الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴾^(١).

الثاني : ورد عن قتادة قال : همتهم النفقة فسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأنزل الله { ما أنفقتم من خير... } الآية^(٢).

ليبان إرتقاء المسلمين في مراتب الإيمان ، وحرصهم على الإحسان ونشر شآبيب الرأفة وتطلعهم إلى الفوز برحمة الله عز وجل ، قال سبحانه ﴿ إِن رَّحِمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٣).

الثالث : من خصائص آية البحث أنها تبين اعتراض النار للناس في طريق الآخرة ، ولا بد لهم من اجتيازها ، قال تعالى ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُرْبَةٌ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصُوا بِالرِّحْمَةِ ﴾^(٤).
ومن معاني العقبة في الآية أعلاه ما ورد عن ابن عباس وأنها النار^(٥).
وهل من موضوعية لآية البحث في السعي للإنفاق في سبيل الله ، وفيه شاهد على حال السعة التي صار عليها المسلمون ، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا

(١) سورة التوبة ٦٠ .

(٢) الدر المنثور ١/٤٩٠ .

(٣) سورة الأعراف ٥٦ .

(٤) سورة البلد ١١-١٧ .

(٥) الدر المنثور ١٠/٢٧٣ .

أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^(١)، لبيان الوسط في الإنفاق بين الكرم والتبذير ، وبين الجود والبخل ، وقد خفف الله عز وجل عن المسلمين في المقام وأمرهم بانفاق العفو والزائد عن المؤونة. وتدل همة المسلمين بالإنفاق على رجاء الثواب والزحزحة عن النار بالنفقة.

ومن إعجاز القرآن هناك ملازمة بين أسئلة المسلمين وبين مضامين آية البحث ، وادراك حتمية الموت ولقاء الله عز وجل وعالم الجزاء ولا يعلم ما هو أجر النفقة في سبيل الله إلا هو سبحانه ، إذ أنها تنمو وتتضاعف مع تقادم الأيام.

وبين الإنفاق ووجوب الزكاة عموم وخصوص مطلق ، فقد لا تجب الزكاة على كثير من المسلمين والمسلمات ، لعدم تحقق النصاب عندهم ، أو أن شطراً منهم يتحقق عنده النصاب لسنوات دون أخرى ، فتأتي آيات البعث على الإنفاق تكليفاً عاماً لجميع المسلمين فتكون واقية لهم من النار ، ومن فضل الله عز وجل عدم وجود حد من جهة القلة للإنفاق بقصد القربة الذي ينجي العبد من النار .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليتق أحدكم وجهه من النار ولو بشق تمره .

وعن المنذر بن جرير عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتأبي النمار -أو: العباء- متقلدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة، فصلى ثم خطب، فقال: { يَا أَيُّهَا

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ { إِلَى آخِرِ الْآيَةِ: } { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }^(١)، وقرأ الآية التي في الحشر { وَلَتَنْظُرَنَّ نَفْسٌ مَّا قَدِمَتْ لِغَدٍ } تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دَرَاهِمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بَشَقَ تَمْرَةً". قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهلل وجهه كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلِ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرٌ مِنْ عَمَلِ بَعْدِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"^(٢).

وأخرج أحمد عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا عائشة ، اشترى نفسك من النار ولو بشق تمرة ، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان .

وأخرج البزار وأبو يعلى عن أبي بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أعواد المنبر يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإنها تقيم العوج ، وتدفع ميتة السوء ، وتقع من الجائع موقعها من الشبعان .
وأخرج ابن حبان عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تعبد عابد من بني إسرائيل فعبد الله في صومعة ستين عاماً ، فأمطرت الأرض فأخضرت ، فأشرف الراهب من صومعته فقال : لو نزلت فذكرت الله فازددت خيراً ، فنزل ومعه رغيف أو رغيفان ، فبينما هو في الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها ، ثم أغمي عليه ، فنزل الغدير يستحم فجاء سائل فأوما إليه أن يأخذ الرغيفين ثم مات ،

(١) سورة النساء .١

(٢) تفسير ابن كثير ٧٦/٨ .

فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزينة فرجحت الزينة بحسناته ، ثم وضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له^(١).

وعن عدي بن حاتم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة^(٢).

قوله تعالى ﴿وَأَنَّا تَوْفَنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

في الآية وعد من عند الله عز وجل للمؤمنين ، ويحتمل المراد من الأجور في المقام وجوهاً :

الأول : إرادة الجزاء على الأعمال الصالحة لأن أصل الأجر على العمل.

الثاني : المراد جزاء كل إنسان على عمله سواء من الصالحات أو السيئات ، ويشمل البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، وأن المقصود من الأجور المعنى الأعم الشامل للجزاء .

الثالث : المراد الأجر والثواب الذي يأتي للمؤمنين على نحو العموم المجموعي ، فينهل منه كل فرد منهم بالمقدار الذي كتب الله له ، وهل ينتفع غيرهم من الأجر .

الجواب نعم ، وهو من فضل الله عز وجل في بعثة الأنبياء وعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) إذ تتغشى الرحمة بالبعثة النبوية حتى الذين يحاربونها ، وهي دعوة متجددة لهم كل يوم للإيمان .

(١) أنظر الدر المنثور ٢/٢١٩.

(٢) الدر المنثور ٣/٢١٨ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

وتدل عليه صيغة الخطاب في الآية بقوله تعالى ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ﴾^(١) وآيات الأجر الواردة في القرآن عديدة كما في قوله تعالى ﴿وَإِن تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾^(٢) ، ولم يرد لفظ ﴿أَجُورَكُمْ﴾ في القرآن إلا مرتين ، ومن الأجور في القرآن ما يتعلق بالمعاملات بين الناس في الحياة الدنيا وضبط الأنظمة الإجتماعية ، ومنها أحكام الأسرة ، فقد ورد لفظ ﴿أَجُورُهُنَّ﴾ ست مرات في القرآن تتعلق كلها بأحكام النكاح والرضاعة ، قال تعالى ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾^(٣) .
والثانية قوله تعالى ﴿وَإِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِن تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾^(٤) .

والمراد ثواب الباقيات الصالحات لذا قال الله تعالى إنه لا يريد منكم انفاق أموالكم التي تديرون فيها معاشكم ، إنما نزل حكم الزكاة ، وهو في الغالب ربع العشر أي نسبة ٢.٥ ٪ ولا يقع على كل الناس ، إنما يشترط فيه النصاب ، فيكون الناس في الزكاة على وجوه :

الأول : الذي تجب عليهم الزكاة .

الثاني : الذين يستحقون الصدقات و(عن زياد بن الحرث الصدائي قال: بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء قوم يشكون عاملهم ، ثم قالوا : يا رسول الله آخذنا بشيء كان بيننا وبينه في الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٢) سورة محمد ٣٧ .

(٣) سورة الممتحنة ١٠ .

(٤) سورة محمد ٣٦ .

لا خير للمؤمن في الإمارة ، ثم قام رجل فقال : يا رسول الله أعطني من الصدقة.

فقال : إن الله لم يكل قسمها إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى أجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت جزأ منها أعطيتك وإن كنت غنياً عنها فإنما هي صداع في الرأس وداء في البطن^(١).

لقد ذكرت آية البحث يوم القيامة ، وورد بهذا الاسم في القرآن سبعين مرة ، وسمي به لوجوه :

الأول : قيام الناس من ثعورهم ، قال تعالى ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

الثاني : وقوف الناس في المحشر من شدة الأهوال فيه.

الثالث : قيام الرسل والمؤمنين للشهادة على الناس.

الرابع : قيام موازين العدل .

الخامس : وقوف الناس في منازل الإنتظار والحساب وترقب الجزاء.

السادس : حمل الناس لأوزار أعمالهم ، ويكون هذا الحمل عن قيام ،

قال تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بغيرِ علمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾^(٣).

السابع : أخذ الناس كتبهم بأيديهم عن قيام.

(١) الدر المنثور ٥ / ٩٨ .

(٢) سورة المطففين ٥-٦ .

(٣) سورة النحل ٢٥ .

الثامن : التخاصم بين الناس في الحقوق والظلمات يوم القيامة ، قال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(١) ، ولا يأتي هذا التخاصم إلا عن قيام.

التاسع : لقد سمى الله عز وجل اليوم الآخر بأنه يوم القيامة ، ولا بد أن معانيه وأسبابه ودلالاته أكبر من أن تحيط بها أوهام البشر ، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

العاشر : يمكن استقراء بعض معاني تسمية (يوم القيامة) من المواطن التي ذكرت فيها ، وهو من أسمى وجوه التفسير ، ومنها آية البحث التي يمكن القول أن من معاني يوم القيامة إعطاء المؤمنين أجورهم وثوابهم فيتلقونها عن قيام واستبشار، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْتِيَ تَقْرَؤُنَ كِتَابِهِمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٣).

ووردت الآية بصيغة الجمع (أجوركم) ويحتمل المراد بالنسبة للمفرد ، وجوه :

الأول : وإنما توفى أجرك من عملك.

الثاني : وإنما توفى أجورك.

الثالث : وإنما توفى أجوراً من غيرك ، ولا تختص أجور المؤمن في الآخرة بعمله في الدنيا بل يأتيه الأجر ممن اقتدى به في الصالحات ، ومن استغفر له ودعا له في حياته أو بعد موته .

(١) سورة الزمر ٣١.

(٢) سورة البقرة ٢١٦.

(٣) سورة الإسراء ٧١.

و(عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) (١)

والمختار هو الثاني لأصالة الإطلاق بفضل الله عز وجل ، فان قلت قد ورد الأجر بصيغة المفرد في قوله تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢).

الجواب لا تعارض بين الأمرين لإرادة الأجر بمعنى الجنس وليس المفرد المتحد ، كما ورد في إبراهيم عليه السلام إذ فضل الله عز وجل عليه بالأجر في الدنيا وبعلمو المنزلة في الآخرة قال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣).

قوله تعالى ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾

يعيش الناس أيامهم في الحياة الدنيا مختلطين ، تتقاذفهم الأهوال ، وتجذبهم المصالح وتفرقهم الخصومة والمعارك والحروب ، ويكون الإنسان في مندوحة في العمل والإختيار لأنها دار امتحان وإختبار .

(١) تفسير ابن كثير ٤٤٢/١ .

(٢) سورة البقرة ١١٢ .

(٣) سورة العنكبوت ٢٧ .

أما في الآخرة فليس من فرصة للعمل ، وفي التنزيل ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١) .

ومن خصائص عالم الآخرة الجزاء بالثواب الحسن للمحسنين وإقامتهم الدائمة في الجنة ، والعقاب الأليم للذين كفروا وقيام الملائكة بسوقهم إلى النار.

فمما تتصف به الآخرة حضور الأعمال التي عملها كل إنسان في الدنيا، ونصب الميزان ، وقد تقدم في الجزء الثامن والثمانين من هذا السفر قولنا يفيد الجمع بين قوله تعالى ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾^(٣).

تحتل الآية مسألتين :

الأولى : التعدد والإنفصال بين الزحزحة عن النار وبين الدخول في الجنة ووجود برزخ بين الأمرين فقد يزحزح الإنسان عن النار ، ولكنه لا يدخل الجنة.

الثانية : الإتصال والملازمة بين الزحزحة عن النار ودخول الجنة. (وعن سبرة بن أبي فاكه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ، قال : فعصاه وأسلم.

(١) سورة المؤمنون ٩٩-١٠٠.

(٢) سورة النحل ٦١.

(٣) سورة غافر ٤.

قال : وقعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتدع أرضك وسمائك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو جهاد النفس والمال، فقال: تقاتل فتقتل، فتكح المرأة ويقسم المال.

قال : فعصاه ، فجاهد ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "فمن فعل ذلك منهم فمات، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقاً على الله، عز وجل، أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة"^(١). وسبرة بن أبي فاكه وابن الفاكهة ، وابن أبي الفاكهة^(٢)، ويقال سبرة بن فاكه المخزومي صحابي ، نزل الكوفة.

قوله تعالى ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

ما أحلى وأبهج المظاهر التي تخرجها الدنيا للناس ، فلا تختص هذه المظاهر بطلابها ، والذين اتبعوا الشهوات ، تريد أن يفنى العمر بالإنشغال بها كجمع الأموال ، وكثرة اللهو والزراعات والصناعات والرواحل والمركبات والتباري فيها .

وفي كل ساعة هناك فتنة دنيوية للأقبال عليها والتمتع بمباهجها وزينتها ، ومن مصاديق كونها متاع الغرور إنقطاع حياة الإنسان فيها فجأة ، ومغادرته لها من غير إرادة منه ، وهل تسخر منه الدنيا ، الجواب لا ، إنما هي تحزن عليه لإنشغاله بها وعدم استعداده للآخرة.

(وقال عكرمة وغيره : { متاع الغرور } القوارير ، لأن الفساد والآفات تسرع إليها ، فالدنيا كذلك أو هي أشد)^(١).

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٩٤ .

(٢) تهذيب الكمال ١٠/٢٠٣ .

ترى لماذا لم تقل الآية : وما الحياة الدنيا إلا متاع ، الجواب النسبة بين المتاع ومتاع الغرور هي العموم والخصوص المطلق ، فالمتاع ما ينتفع به مما يباع ويشترى ، وقد يكون فيه حاجة ورزق أو أنه وسيلة لعبادة الله ، وفيه تعظيم لشعائر الله ، قال تعالى ﴿ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَآثَارًا لَكُمْ ﴾ (٢).

مدة الحمل بين القرآن والطب الحديث

من إعجاز القرآن ذكره لمدة الحمل بقوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) لبيان أقل مدة للحمل وهي ستة أشهر .

وجاء العلم الحديث ليؤكد هذه المدة وأن أقل مدة الحمل هي ستة أشهر بلحاظ أن مدة الرضاع هي حولان كاملان ، قال تعالى ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنِ تِرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ

(١) المحرر الوجيز ٦/٣٠٩.

(٢) سورة النازعات ٣٢-٣٣.

(٣) سورة الأحقاف ١٥.

عَلَيْهِنَّ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾.

ويسمى الطفل في الولادة المبكرة خديجاً ، ومن الصعب أن يعيش ،
ولكن أجهزة الطب الحديث جعلت حياته ممكنة ، وهو من مصاديق قوله
تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ
* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَيَطْفَى ﴾ (٢) ومدة الحمل هي تسعة شهور ، واختلف الفقهاء في طول مدة
الحمل من جهة الكثرة اختلافاً كثيراً منه ما يخالف الكتاب والواقع والطب
الحديث.

وسبب هذا الخلاف والخروج من القاعدة العامة قضية شخصية في
الغالب مثلاً قيل أن هرم بن حيان ولد لأربع سنين ، وهرم بن حيان من
كبار التابعين ، وقيل أنه من صغار الصحابة واستدل عليه بيعث عثمان بن
أبي العاص له (إلى قلعة بجرة فافتتحها عنوة وذلك سنة ست وعشرين وقيل
سنة ثمانين عشرة وكان أيام عمر على ما تقدم أنهم كانوا لا يؤمرون في
الفتوح إلا الصحابة) (٣).

وتوفى هرم (في حدود الثمانين للهجرة) (٤) ، وأن الضحاك ولد لستين .

(١) سورة البقرة ٢٣٣.

(٢) سورة العلق ١-٦.

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة ٢٢١/٣.

(٤) الوافي بالوفيات ٤١٢/٧.

(عن الحسن بن يحيى قال: حدثنا الضحاك: أن أمه حملته سنتين. قال (وما تغيض الأرحام)^(١)، قال: ما تنقص من التسعة (وما تزداد)^(٢)، قال: ما ما فوق التسعة)^(٣).

أي أن الضحاك ينقل خبر مدة حمله عن غيره. ولكن لا عبرة بالفرد القليل النادر من بين ملايين الولادات كل عام ، ومخالفته للنص والعلم .

والأقوال في مدة الحمل :

الأول : تسعة شهور ، وبه قال عمر بن الخطاب ، والإمامية والظاهرية (وعن الإمام الكاظم في حديث قال (إنما الحمل تسعة أشهر)^(٤) . وهو الموافق للعلم الحديث.

وفي قوله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير)^(٥).

قال الإمام الصادق عليه السلام : هذه الخمسة أشياء لم يطلع عليها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وهي من صفات الله عز وجل)^(٦) . وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٧) .

(١) سورة الرعد ٩.

(٢) سورة الرعد ٩.

(٣) تفسير الطبري ٣٦٣/١٦.

(٤) الوسائل ١١.

(٥) سورة لقمان ٣٤.

(٦) البحار ٨٢/٤.

(٧) سورة الأنبياء ٢٢.

الثاني : سنة قمرية واحدة ، وهو قول محمد بن عبد الحكم وابن رشد من المالكية ، وابن رشد اثنان :

أولاً : أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، والمشهور بابن رشد الجدي ، ولد في (٤٥٠-١٠٥٨) وتوفى في التاسع عشر من شهر ذي القعدة سنة ٥٢٨ هجرية - ١١٢٦/٥/٦ .

تولى منصب قاضي القضاة لأربع سنوات ، وفي سنة ٥١٥ طلب اعفائه ليتم كتابه (التحصيل والبيان) في الفقه ، وتوفى في سنة ولادة ميلاد حفيده ابن رشد ، وهو المقصود في المقام .
ومن تلامذته القاضي عياض .

ثانياً : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (٥٢٠-٥٩٥) هجرية واشتهر باسم ابن رشد الحفيد ، وتولى القضاء في اشبيلية في الأندلس وحفظ موطأ مالك ، وديوان المتنبي .

وقام بتفسير كتب ارسطو ، وتعرض لمحنة إذ اتهمه علماء عصره بالكفر والإلحاد فأبعد الى مراكش ، وتوفى فيها سنة ١١٩٨ م .

الثالث : قول سنتان ، وهو قول أبي حنيفة في رواية عنه ، ونسب إلى عائشة قالت (لا يكون الحمل أكثر من سنتين ، قدر ما يتحول فلكة مغزَل) (١) .

الرابع : ثلاث سنين ، قاله الليث بن سعد .

الخامس : أربع سنوات ، عن الشافعي وأحمد بن حنبل ، وفي رواية عن مالك .

السادس : خمس سنوات ، وهو المشهور عن مالك (وروي عن مالك لا حد له ولو زاد على العشرة الأعوام) ^(١) ، وهي الرواية الثالثة عنه .

السابع : (عن الزهري : ست أو سبع سنين) ، قال أبو عمر : ومن الصحابة من يجعله إلى سبع) ^(٢) .

(عن عطية العوفي: (وما تغيض الأرحام) قال: هو الحمل لتسعة أشهر وما دون التسعة (وما تزدد) قال: على التسعة) ^(٣) والقدر المتيقن من الزيادة على تسعة شهور هي أيام معدودة .

واتجه الفقهاء في هذا الزمان إلى ما يدل عليه الكتاب ويؤكدده الطب والوجدان ، وأن مدة الحمل تسعة شهور ، ويكون (٢٨٠) يوماً ، وقد يستمر الحمل إلى (٤٢) أسبوعاً أو أكثر قليلاً .

إن صريح القرآن قطعي الدلالة ، وكذا أبحاث ونتائج الطب الحديث تقارب القطع ، ولا يتزاحم أو يتعارض القطعيان ، وهو من الشواهد على قانون نؤسسه هنا وهو عدم التعارض بين القرآن والعلم إلى يوم القيامة .
(وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي عن أبي الأسود الديلي ^(٤) أن عمر بن الخطاب رفعت إليه امرأة ولدت لسته أشهر فهم برجمها ، فبلغ ذلك علياً

(١) تفسير القرطبي ٢٤٣/٩ ، والقرطبي هو محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١ هجرية واسم تفسيره الجامع لأحكام القرآن ، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام العرفان ، والقرطبي مالكي المذهب ، ولكنه غير متعصب لمذهبه ، إنما يمضي أحياناً مع الدليل ، فمثلاً من أكل ناسياً في شهر رمضان يكون عند مالك حكمه الإفطار وعليه القضاء والأصل أنه غير مفطر وهو مشهور فقهاء الإسلام ، وهو المختار ، وبه قال القرطبي .

(٢) تفسير القرطبي ٢٤٣/٩ .

(٣) تفسير الطبري ٣٦٤/١٦ .

(٤) أبو الأسود الدؤلي أو الديلي ظالم بن عمرو وذكر أنه من شيعة الإمام علي دخل على معاوية خالياً ، فتحدثا طويلاً ، فحبق أبو الأسود ، فقال لمعاوية: إنها فلتة ، فاكتمها علي ، فقال معاوية: أفعل ذلك ، فلما خرج من عنده ، دخل على معاوية

فقال : ليس عليها رجم ، قال الله تعالى { والوالدات يرضعن أولادهن
حولين كاملين }^(١) وستة أشهر فذلك ثلاثون شهراً.

عمرو بن العاص ، فأخبره عن ضرطة أبي الأسود ، ثم خرج عمرو فلقي أبا
الأسود بالسوق ، فقال له : ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود؟ فقال أبو الأسود : كل
ذي جوف ضروط ، ثم غدا على معاوية فقال له : إن امرأ لم يؤمن على ضرطة
حقيق ألا يؤمن على إمرة المؤمنين .

وقيل لأبي الأسود صحبة وأنه لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح ، وقد
علمه الإمام علي عليه السلام علم النحو وكان أبو الأسود ممن صحب أخبار
النحوين .

وقال أبو الأسود يرثي الإمام علي عليه السلام :

ألا يا عينُ ويحك أسعدينا ... ألا تبكين أمير المؤمنين
تبكي أم كلثوم عليه ... بعبرتها وقد رأت اليقيناً
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرت عيون الحاسدينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وذللتها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والميना
وكل مناقب الخيرات فيه ... وحب رسول رب العالمينا
لقد علمت قریش حيث كانت ... بأنك خيرهم حسباً ودينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر فوق الناظرينا
وكنا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه ... ويعدل في العدا والأقربينا
وليس بكاتم علماً لديه ... ولم يخلق من المتسخرينا
كان الناس إذ فقدوا علياً ... نعم حار في بلد سينا
فلا تشمت معاوية بن حرب ... فإن بقية الخلفاء فينا .

/سمط النجوم العوالي في انباء الأوائل ٨/٢

(١) سورة البقرة ٢٣٣ .

وأخرج وكيع وعبد الرزاق وابن أبي حاتم عن فايد بن عباس قال : أتني عثمان بامرأة ولدت في ستة أشهر فأمر برجمها ، فقال ابن عباس : إنها إن تخصصك بكتاب الله تخصصك ، يقول الله { والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين }^(١) ويقول الله في آية أخرى { وحمله وفصاله ثلاثون شهراً }^(٢) فقد حملته ستة أشهر فهي ترضعه لكم حولين كاملين ، فدعا بها عثمان فخلى سبيلها . وأخرج ابن جرير من وجه آخر من طريق الزهري^(٣) .

الظاهر أن المراد قائد ابن عباس لأن ابن عباس أصيب بالعمى في آخر أيامه وقائده هو عبد الله بن السائب .

وليس عند عبد الله بن عباس ولد اسمه قائد ، ومن أولاده :

الأول : العباس ، وهو أكبر أبنائه ، وبه يكنى ، وأمه زرعة بنت مشرح بن معدي كرب من كندة ، وهي أم أخيه علي بن عبد الله بن عباس أيضاً ، وروى العباس عن أبيه (فولد العباس بن عبد الله ، عبد الله وأمه مريم ابنة عباد بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وعون بن العباس وأمه حبيبة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى)^(٤) .

الثاني : علي بن عبد الله بن عباس ، ولد ليلة استشهاد الإمام علي عليه السلام سنة أربعين فسمي باسمه ، وهو أصغر أولاد عبد الله ، وكنى بكنية الإمام علي أبا الحسن ولكن عبد الملك بن مروان قال له :

(١) سورة البقرة ٢٣٣ .

(٢) سورة الأحقاف ١٥ .

(٣) الدر المنثور ٧٩/٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ٣١٤/٥ .

لا والله لا أحتمل لك الاسم والكنية جميعاً، فغير أحدهما ، فغير كنيته
فصيرها أبا محمد، وله يقول الشاعر من الرجز :

يا أيها السائل عن عليّ ... تسأل عن بدرٍ لنا بدريّ
عبنك في العيص أبطحيّ ... سنايله عزته مضيّ
أغلب في العلياء هاشميّ ... ولين الشيمة شمريّ
ليس بفحاشٍ ولا بذيّ ... مردّد في الحسب الزكيّ
حل محل البيت زمزميّ ... قرم لنا مبارك عباسيّ
زمزمت يا بوركت من طويّ ... بوركت للساقي وللمسقي

ولما ولد علي بن عبد الله ولد معه في تلك السنة لعبد الله بن جعفر غلام
فسماه علياً، وكناه بأبي الحسن، فبلغ معاوية فوجه إليهما أن اتقلا اسم أبي
تراب وكنيته عن ابنيكما، وسميهاهما باسمي، وكنياهما بكنيتي، ولكل
واحد منكما ألف درهم^(١).

فلما قدم الرسول عليهما بهذه الرسالة سارع إلى ذلك عبد الله بن
جعفر فسمى ابنه معاوية، وأخذ ألف ألف درهم.

وأما عبد الله بن عباس، فإنه أبي ذلك، وقال: حدثني علي بن أبي
طالب عليه السلام أنه قال : ما من قوم يكون فيهم رجل صالح، فيموت،
فيخلف فيهم مولود، فيسمونه باسمه إلا خلفهم الله بالحسنى، وما كنت
لأفعل ذلك أبداً، فأتى الرسول معاوية، فأخبر بنجر ابن عباس، فردّ الرسول
وقال: فانقل الكنية عن كنيته ولك خمس مئة ألف. فلما رجع الرسول إلى
ابن عباس بهذه الرسالة قال: أما هذا فنعم، فكناه بأبي محمد^(٢).

وكان يسجد لله كل يوم ألف سجدة أي يصلي خمسمائة ركعة.
توفى علي بن عبد الله بن العباس سنة سبع عشرة ومائة في إمارة هشام.

(١) أي مليون درهم.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٤٥٤/٥.

وإليه يرجع نسب خلفاء بني العباس ، وكان مع عبد الملك بن مروان في حربه مع عبد الملك بن الزبير .

إلى أن اغتاز منه عبد الملك في زواجه من مطلقة لبابة بنت عبد الله بن جعفر ، فلما تولى الحكم الوليد بن عبد الملك صار يعيبه ثم اتهمه بقتل ابن جارية له واسمه سليط فضربه وأقامة الوليد في الشمس .

الثالث : الفضل بن عبد الله بن عباس ، لم يعقب .

الرابع : عبيد الله بن عبد الله ، لا عقب له .

ولو تعارض قول بعض الفقهاء مع منطوق القرآن ، وشواهد وحقائق العلم فلا يؤخذ بقول هذا الفقيه .

ترى لو كان الفقيه الذي قال أكثر مدة الحمل أربع أو خمس سنوات حاضراً في هذا الزمان ، ورأى كيف أن الطب الحديث والذي يتصف بالدقة مرآة لإعجاز القرآن ، ويخبر بأن أكثر مدة الحمل عشرة أشهر فهل يبقى على قوله ذلك ، المختار لا .

ويسمى الحمل أعلاه في عرف الأطباء الحمل المديد ، وهو قليل قد يصل إلى نسبة ٥% أو أقل من مجموع الولادات ، وفيه أضرار على الجنين أو عليه وعلى الأم لشيخوخة المشيمة .

وهذه المسألة ذات أهمية في أوان الطلاق ، وفي الموارث ، ونسبة الولد إلى والده شرعاً .

ولم يرد أن مطلقة أو متوفى عنها زوجها بقيت عدتها أربع سنوات بسبب ما في رحمها .

وعلى فرض أنه ولد الولد لستين من حين الحمل وأنكر الأب الولد مثلاً ، ورفع الأمر للحاكم فهل يمكن الرجوع إلى تحليل الحامض النووي (DNA) الجواب نعم ، ولا تشمله أدلة (الولد للفراش) إذا ثبت أن الزوج لم يطأ زوجته منذ ستين ، إنما يتعلق الدليل أعلاه إذا وطأها في المدة

المحتملة للحمل أي أنه وطأها قبل الولادة بين ستة إلى تسعة أو عشرة أشهر.

وقيل أن هناك طريقة علمية في هذا الزمان لتحديد اثبات أبوة الرجل لولده وتعيين جنس المولود بعد شهرين من الحمل فتؤخذ مسحة من فم الأب أو الشخص المحتمل للتلقيح ، وسحب عينة من دم الأم الحامل بعد شهرين من الحمل .

ووردت عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث تدل على أن المراد من قوله تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِيهِ الْأَرْحَامُ﴾^(١) أعم من جنس المولود ، منها قال عبد الله بن مسعود (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك .

ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد . فوالذي لا إله إلا غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

وأخرج أحمد وابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً على حالها لا

تتغير ، فإذا مضت الأربعون صارت علقة ، ثم مضغة كذلك^(١) ، ثم عظماً كذلك^(٢).

فإذا أراد أن يسوي خلقه بعث إليه ملكاً فيقول : يا رب ، أذكر أم أنثى ، أشقي أم سعيد ، أقصير أم طويل ، أناقص أم زائد.

قوته أجله ، أصحيح أم سقيم ، فيكتب ذلك كله .

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي حاتم ، عن ابن مسعود قال : النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك من الأرحام بكفه فقال : يا رب ، مخلقة أم غير مخلقة.

فإن قيل غير مخلقة ، لم تكن نسمة وقذفها الرحم دماً؛ وإن قيل مخلقة قال : يا رب ، أذكر أم أنثى ، أشقي أم سعيد؟

ما الأجل وما الأثر وما الرزق؟ وبأي أرض تموت.

فيقال للنطفة : من ربك ، فتقول : الله .

فيقال : من رازقك ، فتقول : الله . فيقال له : اذهب إلى أم الكتاب ، فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة . قال : فتخلق فتعيش في أجلها وتأكّل في رزقها وتطأ في أثرها ، حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك المكان^(٣).

وفيه شاهد على أمور :

الأول : بيان السنة النبوية للقرآن .

الثاني : تأكيد عدم التعارض بين صريح القرآن والعلم .

(١) أي أربعين يوماً أخرى ، فيكون المجموع ثمانين يوماً ، ولعمر الجنين موضوعية في الدية عند الإسقاط.

(٢) أي أربعين يوماً أخرى ، ويكون المجموع مائة وعشرين يوماً فيتم أربعة أشهر.

(٣) الدر المنثور ١٢٠/٧.

الثالث : بقاء علم الغيب فيما يخص ما في الأرحام خاصاً بالله عز وجل إلى يوم القيامة .

الرابع : اختصاص أحوال الجنين ومراحل حياة الإنسان بالله عز وجل رحمة بالفرد والجماعة ، ثم أن قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(١) ، يجعل غير الله متخلفاً عن سبر أغوار حياة الإنسان.

وهل يشمل هذا التخلف الملائكة ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٢).

الخامس : ترغيب الناس بالإيمان والدعاء لأنفسهم وأولادهم.

السادس : بيان قانون من الإرادة التكوينية وهو لا يقدر على توفير أرزاق الناس قبل أن يخلقوا إلا الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكْنَا فِيهَا وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً

السابع : تساوي الناس في العبودية لله عز وجل ، والحاجة إلى رحمته في الخلق والتكوين والنشأة ، وفي قبض الروح ، وهو الذي تدل عليه آية البحث .

لقد نزلت آية البحث بالإخبار عن طرو الموت على كل إنسان ، فما أن يخلق الإنسان حتى يشملته احتمال حضور الموت في كل ساعة من حياته ، وهل يدخل فيه الجنين السقط الجواب نعم ، إذا

(١) سورة الرعد ٢٩.

(٢) سورة ق ١٨.

(٣) سورة فصلت ١٠.

ولجته الروح لذا فيه الدية كاملة حيثئذ وقد تقدم أعلاه حديث عبد الله بن مسعود يرفعه .

دية الجنين

والجنين لغة الشئ المستور ، وكل شء مغطى ومخفي يطلق عليه جنيناً ، وأما في الإصطلاح فهو المخلوق الذي يتكون من رحم المرأة بعقد النكاح والوطئ.

وهل يشمل الإصطلاح في هذا الزمان طفل الأنابيب ونحوه مما يرتقي فيه العلم والطب مستقبلاً الجواب نعم.
(مسألة ١) الإجهاض حرام، وتجب فيه الدية، فاذا أسقطت المرأة جنينها تجب عليها الدية لأبيه أو للورثة الآخرين، وفيها تفصيل على خمسة وجوه:

الأول: مدة الحمل أربعون يوماً ديته عشرون ديناراً ذهباً لكونه في حال النطفة، وكل دينار مثقال ذهب عيار (١٨) حبة.

الثاني: مدة الحمل بين واحد وأربعين إلى ثمانين يوماً ديته أربعون ديناراً ذهباً لأنه علقه.

الثالث: مدة الحمل بين واحد وثمانين وأقل من مائة وعشرين يوماً ديته ستون ديناراً ذهباً لأنه مضغة.

الرابع: تمام أربعة أشهر وكان عظماً لم يكتس اللحم فديته ثمانون ديناراً.

الخامس: إذا أكتسى اللحم فديته مائة دينار ذهب،

ولا فرق في هذه الوجوه بين الذكر والأنثى.

السادس: إذا تمت للحمل خمسة شهور فقد ولجته الروح وديته كاملة الف دينار ان كان ذكراً، وخمسمائة دينار ان كان الحمل أنثى، "وورد في المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام: فاذا أكسى اللحم مائة دينار ثم

هي ديته حتى يستهل فاذا إستهل فالدية كاملة"، والمراد من الإستهلال الولادة.

(مسألة ٢) يحرم على الطيبة وغيرها المباشرة في اسقاط الجنين من غير مسوغ ، وكذا يحرم التسيب، والضمان والدية تكون على الطيبة ان كانت هي المباشرة لعملية الإسقاط، وليس على الأم أو الأبوين إلا إذا كانا هما اللذان طلبا منها الإجهاض، لأن الضمان أما على المسبب أو المباشر بلحاظ الأقوى منهما أو الإشتراك، ولو اكتفت الطيبة بوصف الدواء للزوجة واستعملته الأم وسقط الجنين، فالظاهر ان الدية على الأم لأنها المباشرة مع عدم المسوغ الشرعي.

قانون التفسير الموضوعي لآيات السلم

من خصائص القرآن أن آياته يعضد بعضها بعضاً ، فاذا قال أحد التابعين أو تابعي التابعين أن هذه الآية منسوخة تأتي آية أخرى لتدل على عدم نسخها ، وهو من أسرار احتراز الصحابة من القول بالنسخ ، فلم يكثروا من ذكر آيات منسوخة ، وفيه مسائل :

الأولى : إنه من إعجاز تأديب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه.

الثانية : إعانة العلماء في الأجيال المتعاقبة للإمتناع عن رمي آيات كثيرة بالنسخ من غير دليل .

الثالثة : فيه دعوة للإمتناع عن إتباع ومحاكاة الذي يكثرون من تعداد الآيات المنسوخة من غير دليل من القرآن أو السنة.

الرابعة : تأكيد قانون سلامة آيات السلم والصلح والموادعة ، فلا أصل لما قيل بأن آية السيف نسخت نحو (١٢٨) آية، وليس في القرآن لفظ السيف، وآية السيف هي ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ

وَحَذُّهُمْ وَأَخْصُرُهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾.

وقد صدر لنا بخصوص (قانون آيات السلم محكمة غير منسوخة) الأجزاء التالية من هذا السفر :

الأول : الجزء السادس بعد المائتين .

الثاني : الجزء السابع بعد المائتين .

الثالث : الجزء الثامن بعد المائتين .

وستة أجزاء أخرى إن شاء الله بهذا الخصوص .

وهل كانت كثرة صعود النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١) ، الجواب نعم .

والمقصود من آيات السلم في المقام وجوه :

الأول : آيات الصبر على أذى مشركي قريش ، ومن والاهم ، منها قوله

تعالى ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَبَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

الثاني : آيات العفو والصفح ، قال تعالى ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

(١) سورة التوبة ٥ .

(٢) سورة الحشر ٧ .

(٣) سورة الاحقاف ٣٥ .

(٤) سورة الزخرف ٨٩ .

قيل نسختها آية القتال^(١) ، وهي قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٢).

وتدل بعض الأخبار على عمل المسلمين بمضامين الآية حتى في السلام. وأخرج ابن أبي شيبة ، عن شعيب بن الحجاب قال : كنت مع علي بن عبد الله البارقي ، فمر علينا يهودي أو نصراني ، فسلم عليه^(٣) ، فقال شعيب : قلت إنه يهودي أو نصراني ، فقرأ علي آخر سورة الزخرف ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ * فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون^(٤) (٥).

الثالث : آيات الصلح والمواذعة ، قال تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتِنِحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٦).

ومن الإعجاز في السنة النبوية سعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصلح مع الكفار وفيه شاهد بأن معجزات النبوة ترجح كفة الحق ، وتجذب الناس إلى ميادين الهدى.

ويمكن تأسيس علم التفسير الموضوعي لآيات السلم على نحو مستقل ، وقوانين أخرى منها :

الأول : قانون إحصاء آيات السلم والصلح والصفح .

(١) الكشف والبيان ١٢/١١٢.

(٢) سورة التوبة ٢٩.

(٣) أي أن علي بن عبد الله البارقي هو الذي ابتداء السلام على اليهودي.

(٤) سورة الزخرف ٨٨-٨٩.

(٥) الدر المنثور ٩/١١١.

(٦) سورة الانفال ٦١.

الثاني : قانون أسباب نزول آيات السلم والعفو والمواذعة ، وموضوعية السنة النبوية فيها.

الثالث : قانون موضوع آيات السلم.

الرابع : قانون عدم نسخ آيات السلم وبيان مصاديق قرآنية ، وشواهد نبوية تدل على هذا القانون.

الخامس : قانون الجمع بين آيات السلم والعفو والصبر .

السادس : قانون منافع آيات السلم في كل زمان .

السابع : قانون المكّي والمدني في آيات السلم .

الثامن : قانون آيات السلم في السنة النبوية القولية والفعلية .

شهود صلاة الصبح

من معاني مواظبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والمسلمات على صلاة الصبح عند طلوع الفجر الرجاء والتوسل إلى الله لإنتشار فجر الإسلام بين الناس ، وهل هو من مضامين قوله تعالى ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(١) الجواب نعم ، والمراد من ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ، قيل لأنها تصلى بسورتين طويلتين ، ولكن المعنى أعم من جهات :

الأولى : شهود ملائكة الليل وملائكة النهار لصلاة الصبح ، فيكتب للذي يصلّيها في وقتها في ديوان الليل من قبل ملائكة الليل ، ويكتب في ديوان أعمال النهار من قبل ملائكة النهار.

(١) سورة الإسراء ٧٨.

و(عن أبي الدرداء قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : { إن قرآن الفجر كان مشهوداً }^(١) قال : يشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار)^(٢).

الثانية : يحضر جمع من المؤمنين صلاة الصبح مع أنها في وقت يميل الإنسان فيه إلى البقاء في فراشه ، وعدم الخروج من البيت سواء في الصيف وشدة الحر ، أو في الشتاء حيث البرد القارص .

الثالثة : تجليات القدرة الإلهية في النظام الكوني وإطلالة الفجر من رحم الليل ، وهو لا يتعجل بالظهور الأفقي ، ولا تستطيع ظلمة الليل حبسه ، قال تعالى ﴿ وَيَتَكَوَّنُ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قِنَاءَ عَذَابِ النَّارِ ﴾^(٣).

الرابعة : قهر حب الصلاة والإمثال لأمر الله للرجبة في استمرار النوم واللبث في السرير .

الخامسة : عندما يحضر المؤمن صلاة الصبح جماعة يشكر الله في نفسه على فوزه بهذه النعمة ، فتكون شهادة من الذات للنفس والجوارح كيف تغلبت على النفس الشهوية ، ولم تجنح للميل إلى الراحة والفراش ، وفي التنزيل ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾^(٤).

السادسة : بيان قانون وهو أن الصلاة من المشهودات ، وان تفرق المصلون بعد أدائها .

(١) سورة الإسراء ٧٨.

(٢) الدر المنثور ٦/٣٠٦.

(٣) سورة آل عمران ١٩١.

(٤) سورة الذاريات ١٧-١٨.

فصحيح أنها ليست مثل الأرض والسماء والأنهار ، كآيات ثابتة وجلية ، إلا أن الله عز وجل جعل صلاة الصبح أمراً مشهوداً وأثراً باقياً ونفعاً متصلاً ، ليكون من مصاديق آية البحث وقوله تعالى ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(١) ، لتحضر صلاة الصبح يوم القيامة فتشهد لصاحبها ، وتكون برزخاً بينه وبين النار ، خاصة وأن فيها تلاوة للقرآن والقرآن شافع ومشفع.

ليبان قانون من اللطف الإلهي وهو أن الفعل العبادي كالصلاة والصيام والزكاة أمر مشهود وباق ، وهو لا يغيب عن الله عز وجل ، إنما تظهر بركاته بأسباب جلب المنفعة ودفع المفسدة.

ليكون من معاني ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٢) ترتب الأثر والخير والفلاح وفق عمومات قوله تعالى ﴿يُنْحُوا لِلَّهِ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣).

لغات القرآن

لقد نزل القرآن عربياً في لغته وبصيغ أبهرت الفصحاء ، وجذبت البلغاء ، وجعلتهم يشهدون ويقرون بأنه فوق كلام البشر ، لقد نالت اللغة العربية بنزول القرآن شرفاً لم تنله لغة أخرى.

وكل آية من القرآن إنقاذ لها من الإندثار والذوبان في لغات الدول العظمى المحيطة بأرض الجزيرة العربية ، ومنها :
الأولى : اللغة الرومانية .

(١) سورة آل عمران ١٨٥.

(٢) سورة الإسراء ٧٨.

(٣) سورة الرعد ٣٩.

الثانية : اللغة الآرامية .

الثالثة : اللغة الفارسية .

الرابعة : لغة أهل الحبشة .

وكان من أثر التباعد بين سكان القبائل العربية ، ومجاورة عدد منهم لبلاد العجم وجود ألفاظ مخصوصة لكل قبيلة .

وقد تستعمل ذات اللفظ عدة قبائل مع التباين في المعنى الذي وضع له أو انتقل إليه اللفظ فمثلاً لفظ أَدْفَى معناه قم بالتدفئة ، ولكنه بلغة كنانة يعني القتل ، قيل كما في حديث قتل مالك بن نويرة ونفر من بني ثعلبة بن يربوع بعد أن نادى خالد بن الوليد : أَدَفْتُوا أَسْرَاكُمْ^(١) .

إلى جانب المشترك اللفظي بأن تكون للفظ الواحد عدة معان ، كما في لفظ العين ، إذ يدل على الآلة الناظرة ، والرجل الوجيه ذي الشأن ، والبئر، والجاسوس ، والراصد .

وكان العرب قبل الإسلام يحجون إلى البيت بوقت مخصوص من كل سنة ، ويأتون مكة للعمرة والزيارة وهذا المجئ بلطف من عند الله ، وفي خطاب من الله إلى إبراهيم عليه السلام ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢) ، فصارت لغة قريش هي اللغة الأم ، كما أن مكة مركز تجاري عالمي ، وأسواق مكة منتديات يحضرها في الموسم أبرز الشعراء والأدباء ، فنزل القرآن بلغة قريش ، مع وجود عدد من اللهجات وتسمى اللغات ، وتخرج قوافل قريش إلى الشام واليمن ، وتغر بأراضي ومساكن القبائل ويختلطون معهم .

(١) أنظر البداية والنهاية ٦/٣٢٢ .

(٢) سورة الحج ٢٧ .

قال أبو بكر الواسطي في كتابه الإرشاد في القراءات العشر: في القرآن من اللغات خمسون لغة: لغة قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم ، والخزرج ، وأشعر ، ونمير ، وقيس ، وجرهم ، واليمن ، وأزد شنوءة ، وكندة ، وتميم وحمير ، ومدين ، ولخم ، وسعد العشيرة ، وحضرموت ، وسدوس ، والعمالقة ، وأثمار ، وغسان ، ومذحج ، وخزاعة ، وغطفان ، وسبأ ، وعمان ، وبنو حنيفة ، وثعلب ، وطى ، وعامر بن صعصعة ، وأوس ، ومزينة ، وثقيف ، وجذام ، وبلى ، وعذرة ، وهوازن ، والنمر ، واليمنة.

ومن غير العربية : الفرس ، والروم ، والنبط ، والحبشة ، والبربر ، والسريانية ، والعبرانية ، والقبط^(١).

ومن اللغات التي جاءت في القرآن كل من :

الأولى : لغة قريش ، كما في قوله تعالى ﴿مُهْطِعِينَ﴾^(٢) أي مُسرِعِينَ بلغة قريش .

الثانية : لغة هذيل ، كما في قوله تعالى ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾^(٣) أي صار.

الثالثة : لغة طي ، رجزاً في قوله تعالى ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٤) ، أي عذاباً.

الرابعة : لغة كنانة ، قال تعالى ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ﴾^(٥) ، أي الدروع بلغة كنانة.

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/١٥٥.

(٢) سورة إبراهيم ٣٤.

(٣) سورة النحل ٥٨.

(٤) سورة العنكبوت ٣٤.

(٥) سورة النحل ٨١.

والسراويل جمع سربل ، والمراد من السراويل الأولى التي تقيهم الحر الثياب من القطن والصوف والخز والكتان.

ولم تذكر الآية الوقاية من البرد لدلالاتها على الوقاية مطلقاً ، ولأن شدة الحر في الجزيرة هي الغالبة ، وليبان لزوم الستر في الحر مطلقاً ، كما في ذكر القرآن للمشرق والمغرب بقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) والمراد جميع الجهات ، فيشمل الشمال والجنوب.

أما السراويل الثانية فالمراد منها الدروع لأنها واقية من الحرب والقتال ، وصيغة الخطاب ﴿يَتَّكِمُ بِأَسْكُمُ﴾^(٢) موجه للناس جميعاً لبيان قبح الإقتال بينهم ، كما هو إنذار للمسلمين من القتال بينهم ، وفيه دعوة للسلم والسلام وإستدامة العمل بأياته .

ولم يرد لفظ ﴿سَرَابِيلٌ﴾ في القرآن إلا مرتين ، وفي هذه الآية بالخصوص ، كما ورد لفظ (سراويلهم) بخصوص أهل النار ، قال تعالى ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ﴾^(٣).

وهي وإن قيل من لغة كنانة ولكن قريشاً وثقيفاً كانوا يتكلمون بها ، فحينما قال نافع بن الأزرق لابن عباس (أخبرني عن قوله عز وجل { ما له في الآخرة من خلاق }^(٤)) ، قال : من نصيب . قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، أما سمعت أمية بن أبي الصلت وهو يقول :
يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم ... إلا سراويل من قطر وأغلال)^(٥).

(١) سورة البقرة ١١٥.

(٢) سورة النحل ٨١.

(٣) سورة إبراهيم ٥٠.

(٤) سورة البقرة ١٠٢.

(٥) الدر المنثور ١/١٩٢.

الخامسة : لغة الأوس والخزرج ، منها اللينة في قوله تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ ﴾^(١) ، أي نخلة ﴿ انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾^(٢) ، أي ذهبوا بلغة الخزرج و﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾^(٣) ، أي لعنهم.

السادسة : لغة خثعم ، ومنها شططاً في قوله تعالى ﴿ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا ﴾^(٤) ، أي أي كذباً.

السابعة : لغة تميم ، كما في قوله تعالى ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أمد: نسيان.

الثامنة : لغة اليمن ، قال تعالى ﴿ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴾^(٥) تميلوا ميلاً عظيماً: تخطئون خطأ بينا.

التاسعة : لغة جرهم ، قال تعالى ﴿ قَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾^(٦) والودق بلغة جرهم المطر ، وقيل المراد البرق .

العاشرة : لغة كندة ، قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا ﴾^(٧) فجاجاً: طرقاتاً.

الحادية عشرة : لغة حمير ، قال تعالى ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٨) ، تفشلا : تجنباً.

(١) سورة الحشر ٥.

(٢) سورة الجمعة ١١.

(٣) سورة التوبة ٣٠.

(٤) سورة الكهف ١٤.

(٥) سورة النساء ٢٧.

(٦) سورة النور ٤٣.

(٧) سورة الأنبياء ٣١.

الثانية عشرة : لغة مدين ، قال تعالى ﴿ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾^(٢) ، فافرق : فاقض .

الثالثة عشرة : لغة لحم قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْلُوبُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾^(٣) الإملاق : الجوع .

الرابعة عشرة : لغة حضرموت ، قوله تعالى ﴿ رَبِّيُوزْ ﴾^(٤) ، أي رجال ، دمرنا : أهلكنا ، لغوب : إعياء^(٥) .

الخامسة عشرة : لغة الحجاز ، وفيها نزل أكثر القرآن .

السادسة عشرة : لغة سدوس ، قوله تعالى ﴿ فَلَا تَبْسِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾^(٦) يعني فلا تحزن بلغة سدوس^(٧) .

السابعة عشرة : لغة أثمار ، قال تعالى ﴿ وَأَغْطِشْ لَيْلَهَا وَأَخْرِجْ ضُحَاهَا ﴾^(٨) أغطش : أظلم .

الثامنة عشرة : لغة غسان ، قال تعالى ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾^(٩) طفقاً : عمداً .

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) سورة المائدة ٢٥ .

(٣) سورة الأنعام ١٥١ .

(٤) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٥) الإتيان في علوم القرآن ١٥٥/١ .

(٦) سورة هود ٣٦ .

(٧) اللغات في القرآن ٣/١ .

(٨) سورة النازعات ٢٩ .

(٩) سورة الأعراف ٢٢ .

التاسعة عشرة : لغة بني حنيفة ، قال تعالى ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١) العهود:

العهود .

العشرون : لغة تغلب .

الحادية والعشرون : لغة أسد.

الثانية والعشرون : لغة قيس عيلان ، قال تعالى ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ

نِحْلَةً﴾^(٢) نحلة: فريضة.

الثالثة والعشرون : لغة عامر بن صعصعة.

الرابعة والعشرون : لغة مزينة، قال تعالى ﴿لَا تَقْلُوبُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٣) لا

تقلوا: لا تزيدوا .

الخامسة والعشرون : لغة ثقيف ، الأحقاف: الرمال .

السادسة والعشرون : لغة جذام ، قال تعالى ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾^(٤)

جاسوا خلال الديار: تخللوا الأزقة .

السابعة والعشرون : لغة عُمان : ومنها قوله تعالى ﴿قَوْمًا بُورًا﴾^(٥) ، أي

هلكى.

الثامنة والعشرون : اللغة الفارسية ، منها الأرائك ، قال تعالى ﴿هُمُ

وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُكُونٍ﴾^(٦) والأرائك جمع أريكة وهي

(١) سورة المائدة ١.

(٢) سورة النساء ٤.

(٣) سورة النساء ١٧١.

(٤) سورة الإسراء ٥.

(٥) سورة الفرقان ١٨.

(٦) سورة يس ٥٦.

وهي السرير المنجد الجميل ، والكلمة فارسية مركبة ، وقوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾^(١) أي حجارة من طين بالغة الفارسية .

التاسعة والعشرون : لغة الحبشة ، (ويا سماء أقلعي) ، يعني احبسي (غيض الماء ، يعني نقص . وافقت لغة الحبشة.)^(٢) .

الثلاثون : لغة الروم : وقال السيوطي (ومن اللغة الرومية: الفردوس، وهو البستان.

القُسْطَاس وهو الميزان. السَّجَنْجَل: المرآة. البَطَاقَة: رُقْعَةٌ فِيهَا رَقْمُ الْمَتَاعِ. القَرَسَطُون: القَفَّار. الاِصْطِرْلَابُ مَعْرُوف. القُسْطَنَاس: صِلَابَةُ الطَّيْب. القُسْطَرِي، والقُسْطَار: الجِهْبَذ. القُسْطَل: الغُبَار. القُبْرَسُ: أَجُودُ النُّحَاس. القَنْطَار: اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أَوْقِيَّة. البَطْرِيْقُ: القَائِد. القَرَامِيد: الأَجْر. التَّرْيَاق: دَوَاءُ السُّمُوم. القَنْطَرَةُ مَعْرُوفَة. القَيْطُون: البَيْتُ الشَّتْوِي. النُّقْرَسُ والقَوْلَنْج: مَرَضَان.

سأل علي شريحاً مسألة فأجابه بالصواب فقال له: قالون: أي أصبت ، بالرومية ، انتهى ما أورده الثعالبي.

وقال ابن دُرَيْد في الجمهرة: الكيمياء ليس من كلام العرب، قال: ودمشق معرب)^(٣) .

ليكون من كلمات القرآن بالرومية أعلاه : الفردوس لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾^(٤) .

(١) سورة هود ٨٢.

(٢) اللغات في القرآن ٣/١.

(٣) السيوطي / المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٨٦/١.

(٤) سورة الكهف ١٠٧.

والقسطاس في قوله تعالى ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(١)، أي الميزان.
الواحدة والثلاثون : اللغة القبطية ، القنطار بقوله تعالى ﴿إِنْ تَأْمَنُ

بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾^(٢) ، والقنطار (بالرومية اثنتا عشرة ألف أوقية.
 وقال الخليل : زعموا أنه بالسريانية ملء جلد ثور ذهباً أو فضة. وقال
 بعضهم: إنه بلغة بربر ألف مثقال. وقال ابن قتيبة: قيل إنه ثمانية آلاف مثقال
 بلسان أهل إفريقية)^(٣).

الثانية والثلاثون : اللغة العبرية (والقمل) قال الواسطي الدبا بلسان
 العبرية والسريانية ، وفي قوله تعالى ﴿كَفَرَعْنَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾^(٤)، قيل بالعبرانية محا
 عنهم.

الثالثة والثلاثون : لغة العمالقة ((بِعَجَلٍ حَيِّذٍ) ، ما يُشَوَى بِخِذِّ فِي
 الارض بلغة العمالقة، وما يشوى بالحجارة بلغة هذيل)^(٥).

وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٦)، لأن
 تلك الكلمات صارت جزء من العربية ، والأرجح أنها كانت عربية
 وتكلمت بها الأمم الأخرى كما أن لغات القبائل العربية هي عربية ، إنما
 المراد من لغاتها أي لهجاتها ، وهي ليس لهجات عامية كالتي في هذا
 الزمان .

(١) سورة الاسراء ٣٥.

(٢) سورة آل عمران ٧٥.

(٣) أنظر الإتيقان في علوم القرآن ١٦١/١ .

(٤) سورة محمد ٢.

(٥) اللغات في القرآن ٣/١.

(٦) سورة الشعراء ١٩٥.

وقد يتوافق لفظ بالعربية وغيرها من اللغات كما في الإستبرق فهو بالعربية من الديقاج إذ تنفق اللغات في عدد من الكلمات .

وهل هذا الإتفاق فرع قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١) الجواب نعم،

نعم، وهو من معاني مصاديق قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٢).

وقد أحصيت الإلفاظ غير العربية الواردة في القرآن ، وأختلف في عددها قيل (١٢٠) وقيل (٢٧٥) كلمة من مجموع كلماته (٧٧٤٣٧) كلمة ، وقيل أن عددها من دون تكرار أي باحتساب الكلمة الواردة مرات عديدة في القرآن كلمة واحدة أقل .

وعلى فرض أن هذه الكلمات من لغات أخرى ، فهو بشارة دخول الأمم في الإسلام ، وفيه دعوة للألفة والموادعة بين المسلمين والملل والشعوب الأخرى ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

الرابعة والثلاثون : اللغة الهندية : المشكاة^(٤) كما في قوله تعالى ﴿كَمِشْكَاةٍ

فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾^(٥) (والمشكاة: طويق صغير في حائط على مقدار كوة، إلا أنها

غير نافذة)^(٦).

(١) سورة البقرة ٣١.

(٢) سورة البقرة ٢١٣.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) ابن حزم / الأحكام في أصول القرآن ١٧/١.

(٥) سورة النور ٣٥.

(٦) العين ٤٤٧/١.

الخامسة والثلاثون : لغة النبط كما في قوله تعالى ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ يعني بالكفل النصيب. وهي بلغة وافقت النبطية. مثل قوله في سورة الحديد: (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) يعني نصيبين لغة وافقت النبطية. (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا) ﴿١﴾ وقوله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ) ﴿٢﴾ يعني بأواه الدعاء إلى الله. بلغة توافق النبطية) ﴿٣﴾. وقد يتبادر إلى الأذهان أن كل قبيلة لها لغة ، ولكن المقصود من اللغة آنذاك اللهجة والإنفراد بالتلفظ بعدد من الكلمات والأسماء بغير التي ينطقها غيرهم ، وكان الإنسان حينما يتحدث يعرفون من لهجته إلى أي قبيلة ينتمي .

وتختص اللهجة الخاصة بعدة كلمات من العربية أي أثناء الحديث بالعربية تصدر بضع كلمات من المتكلم تدل على لهجته. ومسألة التباين في اللهجة موجود في أغلب لغات وبلدان العالم إلى يومنا هذا ، فترى كل مدينة تستقل ببعض الكلمات والإصطلاحات ، وقد تكون للقرية الواحدة لهجة خاصة بها .

وهناك كلمات ولهجات لقبائل متعددة ورد بعضها في القرآن. وتسميتها لغة نوع مسامحة.

واستدل عليه بما ورد (عن ابن عباس قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، يقول : أنا ابتدأتها) ﴿٤﴾.

(١) اللغات في القرآن ٣/١.

(٢) سورة هود ٧٥.

(٣) اللغات في القرآن ٣/١.

(٤) الدر المنثور ٣٨/٤.

ولكن هذا الإستدلال وقلة مثل هذه المفردات لا يعني وجود لهجات هذه القبائل كلها في القرآن.

والإجماع على نزول القرآن بلغة ولهجة قريش ، وفي ورود بعض الكلمات بلهجة عدد من القبائل مسائل :

الأولى : لغة قريش هي الأم والأصل ومجمع لغات العرب ، وهو من أسرار قوله تعالى ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِرِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾^(١) ، فتتداخل وتتلاقح اللهجات في مكة ، لتكون مقدمة لنزول القرآن.

الثانية : إكرام الله عز وجل لقبائل العرب في القرآن خاصة وأن عدداً من المهاجرين من هذه القبائل ، فاذا سمع أفراد القبائل آيات القرآن لم ينشغلوا بمفردات الألفاظ ، فهي معروفة عندهم ، إنما تكون عنايتهم بوجوه الإعجاز فيها، وكذا بالنسبة للأنصار لوجود كلمات من لغة الأوس ، ولغة الخزرج في القرآن.

الثالثة : وجود لهجات القبائل في القرآن من مصاديق عربيته ، قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٢).

وتفيد كلمات آية البحث المعنى والدلالة والغرض منها فابتدأت الآية بسور الموجبة الكلية (كل) لبيان قانون وهو عدم استثناء أي شخص من الموت ومغادرة الدنيا ، وذكرت الآية الموت باذاقته وهو من فضل الله بالتخفيف عن المؤمنين عند تلاوة الآية الكريمة.

الآيات التي ذكرت لغة القرآن

(١) سورة الحج ٢٧.

(٢) سورة الزخرف ٣.

الظاهر أن العرب لم يذكروا في القرآن كامة ، إنما ورد في القرآن ذكر لسان ولغة القرآن وأنها عربية ، لبيان قانون وهو أن لغة وأحكام القرآن هي صبغة سماوية ، ومن الكلبي الطبيعي الذي يشترك به كل المسلمين ، لذا تجب قراءة القرآن في الصلاة بالعربية ، والآيات التي ذكرت مادة (عرب) هي :

الأولى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١).

الثانية : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنَّ أَتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٢).

الثالثة : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (٣).

الرابعة : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٤).

الخامسة : ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

السادسة : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْيَبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٦).

السابعة : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧).

(١) سورة يوسف ٢.

(٢) سورة الرعد ٣٧.

(٣) سورة طه ١١٣.

(٤) سورة الزمر ٢٨.

(٥) سورة فصلت ٣.

(٦) سورة الشورى ٧.

(٧) سورة الزخرف ٣.

الثامنة : ﴿ وَمَنْ قِيلَ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىَ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

التاسعة : ﴿ وَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢).

العاشرة : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٣).

كما ذكر القرآن الأعراب في آيات متعددة منها قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَيْبَلَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤).

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥).

نعم ورد ذكر الروم في القرآن بلحاظ أنهم أهل كتاب قال تعالى ﴿ غَلِبَتْ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (٦) ، وفيه إشارة إلى فارس أيضاً لأن الحرب وقعت بينهما وسميت السورة باسم الروم ، و(عن

(١) سورة الأحقاف ١٢.

(٢) سورة النحل ١٠٣.

(٣) سورة الشعراء ١٩٥.

(٤) سورة التوبة ١٢٠.

(٥) سورة الحجرات ١٤.

(٦) سورة الروم ٢-٣.

أبيّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه : مَنْ قرأ سورة الروم كان له من الأجر ، عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيّع في يومه وليلته^(١).

قال المفسرون : كانت في فارس امرأة لا تلد إلاّ الملوك والأبطال ببسم الله الرحمن الرحيم ، فدعاها كسرى فقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك فأشير عليّ أيهم أستعمل . فقالت : هذا فلان ، أروغ من ثعلب ، وأحذر من صقر ، وهذا فرخان أنفذ من سنان ، وهذا شهريراز هو أحلم من كذا ، فاستعمل أيهم شئت . قال : فإنّي استعملتُ الحلّيم ، فاستعمل شهريراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع زيتونهم ، وكان قيصر بعث رجلاً يدعى يحنس وبعث كسرى شهريراز فالتقيا بأذرعَات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارسُ الروم . فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه بمكة فشقّ عليهم ، وكان النبيّ صلى الله عليه يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم .

وفرّح كفّار مكة وشمتوا ولقوا أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم . فإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم .

فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿الم * غَلَبَتِ الرُّومُ﴾^(٢) ، إلى آخر الآيات .

(١) الكشف والبيان ١/١١ .

(٢) سورة الروم ١-٢ .

فخرج أبو بكر إلى الكفار فقال : فرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا .

فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال : كذبت يا أبا فضيل .

فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله .

فقال : اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه .

والمناحبة : المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت ، وإن ظهرت فارس غرمت ، ففعل ذلك وجعلوا الأجل ثلاث سنين .

فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره وذلك قبل تحريم القمار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هكذا ذكرت ، إنما البضع ما بين ثلاث إلى التسع فزايدة في الخطر ومادة في الأجل .

فخرج أبو بكر فلقي أياً فقال : لعلك ندمت قال : لا ، قال : فتعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين .

قال : قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه فقال : إنني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً ، فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر .

فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه قال : والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً فأعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد .

ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بارزه .

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناحيبتهم. هذا قول أكثر المفسرين.

وقال أبو سعيد الخدري ومقاتل : لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفّار مكة وأتاهم الخبر أن الروم قد غلبوا فارس ففرح المؤمنون بذلك ^(١).

وقد أكرم الله سبحانه المسلمين عامة بقوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ^(٢).

وعن مجاهد في قوله تعالى {كنتم خير أمة أخرجت للناس} ^(٣) يقول : على هذا الشرط : أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر ، وتؤمنوا بالله . يقول : لمن أنتم بين ظهرائه كقوله {ولقد اخترناهم على علم على العالمين} ^(٤) ^(٥).

قانون الإختصاص اللغوي للقرآن

تتصف اللغة العربية بتعدد معاني ومصاديق اللفظ المتحد فيرد فيها المشترك اللفظي وهو إتحاد اللفظ وتعدد المعاني المقصودة منه ، وتعرف بالقرائن والمرجحات الدلالية.

والمشترك المعنوي ، وهو لفظ جامع يدل على معنى كلي له مصاديق وأفراد متعددة كلفظ الإنسان ، فيدخل فيه زيد ، أحمد ، فاطمة ، ولفظ

(١) أنظر الكشف والبيان ٣/١١.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

(٣) سورة آل عمران ١١٠.

(٤) سورة الدخان ٣٢.

(٥) الدر المنثور ٤٠٩/٣.

كتاب ولفظ الحيوان الذي ينطبق على الحصان والشاة والأسد والكلب والحمار .

ولا يقبل المشترك اللفظي القسمة مثل العين ، الجاسوس ، البئر .
أما المشترك المعنوي فيقبل القسمة مثل الكلمة فهي مشترك معنوي تنقسم إلى الاسم والفعل والحرف ، ومصاديق المشترك المعنوي كثيرة وغير معدودة بخلاف المشترك اللفظي .

وقد يكون اللفظ مشتركاً لفظياً ، ومشاركاً معنوياً في آن واحد ، ويعرف بالقرائن مثل الصلاة ، والمشهور أنه مشترك لفظي ، وقال ابن هشام أنه مشترك معنوي .

وعرفه ابن فارس ت ٣٧٥ هـ (معنى الإشتراك أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر)^(١) ، والمشارك اللفظي كثير في اللغة .

وقد يميز فيه بين الأصل الذي وضع له اللفظ والمعنى المنقول إليه ، وبين الحقيقة والمجاز ، وبين الأمر والخبر فمثلاً قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢) ، ورد بصيغة الخبر والمراد منه الأمر والتكليف ، وهو لا يمنع من بقاء الخبر على حاله .

ليكون من إعجاز القرآن جمع الآية بين الخبر والأمر ، أو بين الخبر والنهي ، أو الإستفهام والنهي ، كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾^(٣) ، وفي قوله تعالى ﴿التَّابُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ

(١) الصاحبى / فقه اللغة ٦٩/١ .

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

(٣) سورة الزمر ٣٢ .

السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ ، ورد عن ابن مسعود قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السائحين ، فقال : الصائمون^(١).

وهو من الإستعارة لبيان أن الصيام حبس للنفس عن الشهوات ، ومناسبة للسياحة في عالم الملكوت ، وتدبر في الآخرة ، وهو أسمى من السياحة في الأرض ، ويدل على هذا المعنى ورود لفظ (سائحات) في القرآن مع أن الأصل أن تقرأ المرأة في بيتها ، قال تعالى ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْفُكُ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَاتَاتٍ تَأْتِيَنَّ عَابِدَاتِ سَائِحَاتٍ تَيَّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾^(٢).

ولابد أن الأصل هو وضع اللفظ لمعنى مخصوص ثم تعدد إنطباقه على معاني أخرى بينها وبين المعنى والمصداق الأصلي وجه تشابه . وقد يكون تعيين الأصل الذي وضع له اللفظ مشكلاً ، والمراد من المشكل أي أشكل ودخل في هيئة غيره.

ومن المشترك اللفظي لفظ (الأمة) ويراد منه وجوه :

الأول : الجماعة من الناس.

الثاني : الطائفة والفرقة.

الثالث : الشعب .

(١) سورة التوبة ١١٢.

(٢) الدر المنثور ٥/١٧٢.

(٣) سورة التحريم ٥.

الرابع : الأمة من الناس الأعم والأكبر التي يجمعها جامع مشترك كالدين أو الملة ، كما في قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(١).

الخامس : الأمة : الحين من الدهر^(٢).

السادس : القرن من الناس ، فكل جيل من الناس هو أمة وإن تباينت مشاربهم ومذاهبهم.

لقد جعل الله عز وجل اللغة أسمى وسيلة عند الإنسان لأُمور الدين والدنيا ، وأحب الله عز وجل أن يعيده الناس ، وخبر عبادة هي بالقول والفعل ، لذا تفضل الله ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(٣) ليكون هذا التعليم بداية عبادة الإنسان لله عز وجل لذا كانت أول كلمة نطق بها آدم هي الحمد لله كما ورد في أهل الجنة قوله تعالى ﴿ وَأَخْرَدُوا لَهُمُ أَنْزَلَ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤) .

ومن خصائص اللغة العربية أن الذين يتعاهدونها أضعاف الناطقين بها ، وهو من إعجاز القرآن الغيري ، فليس من لغة غيرها يتعاهدها مئات الملايين ممن لا ينطقون بها في معاملاتهم الرسمية وفي الأسواق وداخل البيوت ، وكلهم يحرص على تلاوة القرآن بالعربية زيشعر باللذة والرضا عند التلاوة .

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢) المزهر ١/١٤٣.

(٣) سورة البقرة ٣١.

(٤) سورة يونس ١٠.

قانون لغة الجمع للمنفرد في القرآن خاصة بالله عز وجل

﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾^(١).

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾^(٢).

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾^(٣).

﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِبُونَ﴾^(٤) هذا ما قاله سحرة فرعون ، ولم يسمي المساء

حتى اسلموا.

من أساليب وصيغ اللغة العربية إشارة الإنسان إلى نفسه بصيغة الجمع (أنا) أو بالضمير (نحن) ويراد منه التعظيم أو يقصد غيره .

وعبر الله عز وجل عن نفسه بصيغة الجمع وفق لسان العرب ، ولم يعبر عن نفسه بصيغة التثنية لأنه من المحصور ، وقد يعبر بها الملوك عن أنفسهم ، فيقول (نحن) أو أمرنا ، وليس في القرآن صيغة جمع للمنفرد إلا لله عز وجل.

ولا يدل قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾^(٥)، على تعدد الإلهة

بدليل أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿وَالْهَيْكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٦)، وقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٧).

(١) سورة الحجر ٩.

(٢) سورة يس ١٢.

(٣) سورة الحجر ٢٣.

(٤) سورة الشعراء ٤٤.

(٥) سورة ق ٤٣.

(٦) سورة البقرة ١٦٣.

(٧) سورة الأَخْلَاصُ ١.

وفي سنة (٦٥٨) هجرية بعث هولاء كوييد أربع رسل من التتار كتاباً إلى ملك مصر سيف الدين (قطز) ونصه (من ملك الملوك شرقاً وغرباً، القان الأعظم، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتنعمون بإنعامه، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك).

يعلم الملك المظفر قطز، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطانا على من حل به غضبه. فلکم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر^(١)، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمرکم، قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ. فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى.

وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم البلاد، فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب. فأی أرض تأويکم، وأي طريق تنجيکم، وأي بلاد تحميکم.

فما من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص. فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال.

فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ومطركم علينا لا يسمع فإنكم أكلتم الحرام، ولا تعفون عند الكلام، وختمت اليهود والأيمان، وفشا فيكم العقوق والعصيان. فأبشروا بالمذلة والهوان، ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

(١) الظاهر أن الذي كتب لهؤلاء هذا الكتاب على فرض صحته ممن عاش في دواوين العرب والمسلمين، وفي الكتاب آيات من الذكر الحكيم وأبيات من الشعر.

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنتُمْ تَنْسُقُونَ ﴿١﴾،
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢).

فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم. فإن أتمم لشرطنا ولأمرنا
أطعتم، فلکم ما لنا وعليکم ما علينا.

وإن خالفتكم هلكتكم، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم. فقد حذر من أنذر،
وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سلطنا
عليكم من له الأمور المقدره والأحكام المدبره، فكثيركم عندنا قليل،
وعزيزكم عندنا ذليل، وبغير الأهنة للموكمم عندنا سبيل. فلا تطلوا
الخطاب.

وأسرعوا برد الجواب، قبل أن تضرم الحرب نارها، وترمي نحوكم
شرارها، فلا تجدون منا جاهاً ولا عزاً، ولا كافياً ولا حرزاً. وتدهون منا
بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية.
فقد أنصفنا إذ راسلناكم، وأيقظناكم إذ حذرناكم، فما بقي لنا مقصد
سواكم.

والسلام علينا وعليكم، وعلى من أطاع الهدى، وخشي عواقب
الردى، وأطاع الملك الأعلى.

ألا قل لمصرها هلاون قد أتى ... بحد سيوف تنتضى وبواتر
يصير أعز القوم منا أذلة ... ويلحق أطفالاً لهم بالأكابير (٣).
وأصاب أهل مصر الخوف خاصة وأن جيش التتر كان ينتصر في كل
معركة إلى جانب كثرة جنوده وشدة بأسهم، ولكن الملك المظفر (قطن)

(١) سورة الأحقاف ٢٠.

(٢) سورة الشعراء ٢٢٧.

(٣) المقرئزي / السلوك لمعرفة دول الملوك ١/١٤٢.

وهو من المماليك كان ثابت الجنان متوكلاً على الله فسير الجيوش ، ودارت معركة عين جالوت في (٢٥ رمضان ٦٥١ هجرية - ٣ ايلول ١٢٦٠ م) وتقع عين جالوت على نهر الجالود ، وعلى حدود جنين وبيسان .

وكاد التتر أن يخرقوا جيش المسلمين من جهة ميسرة الجيش والإلتفاف عليهم ، ولكن قطزاً نزل بنفسه إلى ميدان المعركة وانضم إلى الأفراد الذين يقاتلون في الميسرة ونادى (واسلاماه واسلاماه) فكان يومئذ سيف الدين اسماً ومسمى ضارباً في أعماق التاريخ .

فلما رآه الجنود اشتدت عزائمهم وقاتلوا اشد قتال فانتصروا في المعركة، ومن يومها توقف الزحف المغولي ، وهو من الإعجاز الغيري للقرآن لأن الدفاع كان باسم الإسلام ، وفيه شاهد على أن المسلمين في هيئة الدفاع عن النفوس والأعراض والممتلكات .

ومن خصائص القرآن أنه لا يخاطب النبي أو الرسول أو الملك إلا بصيغة المفرد ، لأن لغة الجمع للتعظيم في القرآن خاصة بالله عز وجل .

وقد ورد نداء التشريف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تسعاً وثمانين مرة.

وتقديره بلحاظ آية البحث على وجوه :

الأول : يا أيها الذين آمنوا كل نفس ذائقة الموت ، وفيه بعث للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح الذات .

الثاني : يا أيها الذين آمنوا فمن زحزح عن النار بالإيمان والتقوى .

الثالث : يا أيها الذين آمنوا من أدخل في الجنة بالإيمان والصلاح فقد فاز .

الرابع : يا أيها الذين آمنوا وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

معجزات رضاعة النبي (ص)

قال تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١).

ليثبت وإلى يوم القيامة حكم أخوة الرضاعة ، وترتب الأثر عليه ، وانتشار الحرمة حسب شروط وأحكام الرضاعة .

وقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) (٢).

وكان العرب يرسلون أبناءهم إلى أهل البوادي للرضاعة للنشأة في البادية ، وتعلم الفصاحة والفروسية ولتتموا ابدانهم على حليب الإبل ، وإعتياد شظف العيش ، ومن منفعه تفرغ الزوجة لزوجها ، وعدم انشغالها بابنها الرضيع .

ومن الملوك من كان يرسل بعض أولاده إلى البادية ، كما في قصة النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، إذ كان له ابن مُسترضع عند سنان بن أبي حارثة ترضعه زوجته سلمى بنت ظالم ، وكان الحارث بن ظالم أخوها عنده خصومة شديدة مع النعمان ، فاحتال على زوجها وعليها فأخذ الصبي وضرب عنقه ، ولحق بمكة فجاور عبد الله بن جدعان .
وقيل نهشته الحية فظن الملك أنهم قتلوه غيلة .

(١) سورة النساء ٢٣ .

(٢) المحرر الوجيز ١٠٠/٢ .

وإرسال الأولاد إلى البادية للإرضاع خاص بالميسورين كما كانت العادة في بعض بيوتات مكة .

وكانت رضاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على ثلاث مراحل:

الأولى : رضاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمه آمنة بنت وهب في الأيام الأولى لولادته .

الثانية : رضاعة ثُوَيْبَةَ وهي جارية لأبي لهب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أرضعته بلبن ابنها مسروح ، وكانت تدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وبعد أن تزوج خديجة ، وكانت خديجة تكرمها وأعتقها أبو لهب بعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر فبلغت وفاتها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأل عن ابنها مسروح ، وبلبنه أرضعته ، فقيل له قد مات فسأل عن قرابتها فقيل له لم يبق منهم أحد) ^(١).

وقال ابن عبد البر: لم تدرك الإسلام ^(٢) .

الثالثة : رضاعة حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي أطول مدة في رضاعته ، كما كانت حاضنة له إذ رده (ظئره حليلة إلى أمه آمنة بنت وهب بعد خمس سنين ويومين من مولده وذلك سنة ست من عام الفيل فأخرجته آمنة إلى أخوال أبيه بني النجار تزورهم به بعد سبع سنين من عام الفيل ووفيت أمه آمنة بعد ذلك بشهر

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١٠/١ .

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١٠٩/١ .

بالأبواء ومعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقدمت به أم أيمن مكة بعد موت أمه بخمسة أيام^(١).

وسياتي أنها ردت قبل هذا الوقت .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي جَهْمُ بْنُ أَبِي جَهْمٍ مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبِ الْجُمَحِيِّ : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، أَوْ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْهُ قَالَ كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ ، أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ تُحَدِّثُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا ، وَأَبْنِ لَهَا صَغِيرٍ تَرْضَعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ، تَلْتَمِسُ الرِّضْعَاءَ^(٢) . وَأُخُوَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّضَاعَةِ هُمْ :

الأول : عبد الله بن الحارث ، وكان يقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (اترى انه يكون بعث بعد الموت فيقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي والذي نفسي بيده لآخذن بيدك يوم القيامة ولأعرفنك قال فلما آمن بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل يبكي ويقول أرجو ان يأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيدي يوم القيامة فانجو)^(٣).

الثاني : أنيسة بنت الحارث ، وسماها ابن حجر : آسية بنت الحارث السعدية^(٤) .

الثالث : الشيماء بنت الحارث ، والتي وقعت في الأسر بيد المسلمين يوم حنين.

وساق الأنصار مع بجاد رجل من بني سعد بن بكر أحدث حدثاً^(١) أهله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث فعنفوا عليها في الطريق إذ أتعبوها

(١) الإستيعاب في معرفة الاصحاب ١٠/١ .

(٢) الروض الأنف ٢٨٥/١ .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٨٣/٥ .

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٤٧٣/٧ .

في السياق ، وكان الأنصار أشد الناس على هوازن (فَقَالَتْ لِلْمُسْلِمِينَ تَعْلَمُوا وَاللَّهِ أَنِّي لَأَخْتُ صَاحِبِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَلَمْ يُصَدِّقُوا حَتَّى أَتَوْا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدِ السَّعْدِيِّ ، قَالَ فَلَمَّا أُنْتَهِيَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَخْتُكَ مِنَ الرِّضَاعَةِ قَالَ : وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ .

قَالَتْ عَضَّةٌ عَضَّتْنِيهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مُتَوَرِّكُكَ ؛ قَالَ فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْعَلَامَةَ فَبَسَطَ لَهَا ، وَقَالَ إِنْ أَحْبَبْتَ فَعِنْدِي مَحَبَّةٌ مَكْرَمَةٌ وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أُمَّتَكَ وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ فَعَلْتُ .

فَقَالَتْ بَلْ تَمْتَعْنِي وَتَرُدَّنِي إِلَى قَوْمِي ، فَمَتَّعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا فَزَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ أَنَّهُ أُعْطَاهَا غُلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ ، وَجَارِيَةٌ فَزَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مِنْ نَسْلِهِمَا بَقِيَّةً (٢) .

والظاهر أن هناك علامات وأسئلة أخرى كما حدثته عن تلك الأيام منها أيام الرعي كما مبين أدناه ، ثم أن صدق كلامها يثبت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي ، قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٣) .

وفي رواية أنها حينما وصلت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت (يا محمد إني أختك) (٤) ، أي أنها نادته باسمه ليس لعدم التصديق برسالته

(١) ويجاد هذا من بني سعد ، آتاه مسلم فأخذه بجاد وقطعه عضواً عضواً ثم حرّقه في النار فشاع أمره فهرب ، فأخذته خيل المسلمين يوم حنين .

(٢) الروض الأنف ٤/٢٣٧ .

(٣) سورة النجم ٣-٤ .

(٤) سبل الهدى في سيرة خير العباد ٥/٣٣٣ .

إنما لبيان صلة الأخوة بينهما ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستحضر الوقائع ويعلم بالوحي هل هي أخته أم لا ، ولكنه سألها : ما علامة ذلك (فارتة غضة بإبهامها ، وقالت : غضة عضضتنيها وأنا متوركتك بوادي السرر ونحن يومئذ نرعى البهم ، وأبوك أبي ، وأمك أمي ، وقد نازعتك الثدي ، وتذكر يا رسول الله حلابي لك عنز أبيك أطلان ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العلامة ، فوثب قائما ، فبسط رداءه ، ثم قال : اجلسي عليه ، ورحب بها ، ودمعت عيناه .
وسألها عن أمه وأبيه ، فاخبرته بموتهما .

فقال : إن أحببت فاقيمي عندنا محبة مكرمة ، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وصلتك ورجعت إلى قومك ، قالت : بل أرجع إلى قومي ، فاسلمت .

فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أعبد وجارية وأمر لها ببيعير أو بعيرين وقال لها : ارجعي إلى الجعرانة تكونين مع قومك ، فانا أمضي إلى الطائف ، فرجعت إلى الجعرانة ، ووافاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجعرانة فاعطاها نعما وشاء ، ولمن بقي من أهل بيتها ، وكلمته في بجاد أن يهبه لها ويعفو عنه ففعل صلى الله عليه وآله وسلم^(١) .
مما يدل على أن مدة بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ديار بني سعد أكثر من سني الرضاعة ، وأن العفو هو منهاجه ، فمع أن بجاد قتل مسلماً بغير حق ، ومثل به حياً وميتاً وحرقه بالنار ، فلم يتعجل في قتله قصاصاً ، وحينما شفعت أخته بالرضاعة بطلب من نساء قومها شفعتها وأطلقه لأنه في حال جهالة ومنطقة حرب لسعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٥/٣٣٣ .

وسلم في نشر لواء السلم والعمو والتراحم بين الناس ولعله دخل الإسلام ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) . وفيه شاهد على موضوعية الأخوة من الرضاعة في التعااضد والتعاون وتعاهد الصلة .

وفي رواية أخرى أنه وهبها أكثر من غلام ، وأنها أسلمت .
الرابع : أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أرضعته حليلة السعدية أيضاً .
 وكان أبو سفيان يكثر من هجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان حسان بن ثابت وهو من الأنصار من بني النجار من الخزرج يرد عليه بهجاء وتوبيخ .

ثم خرج أبو سفيان بن الحارث ومعه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي للقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين السقيا والعرج قريباً من مكة وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريقه إلى فتحها فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشدة إيدائه له مع أن النبي كان يحبه حباً جما .

فقال أم سلمة : لا يكن ابن عمك وأخي ابن عمك أشقى الناس بك^(٢) .

وتقصد بـ(أخي ابن عمك) أخاها لأبيها عبد الله بن أمية .
 (وقال الإمام علي بن أبي طالب لأبي سفيان بن الحارث . إيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل وجهه ، فقل له ما قال إخوة يوسف

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٥/٢ .

ليوسف عليه السلام ﴿تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾^(١)، فإنه لا لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه .

ففعل ذلك أبو سفيان ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾^(٢) وقبل منهما وأسلما.

وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما سلف منه:
 لعمرك إني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
 لكالمظلم الخيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين أهدى فأهتدي
 هداني هاد غير نفسي ودلني ... على الله من طردته كل مطرد
 أصد وأناى جاهداً عن محمد ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمد
 قال ابن إسحاق: فذكروا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله : من طردته كل مطرد ، ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدره وقال : أنت طردتني كل مطرد)^(٣).

وأخوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة من ثوية هم :
الأول : حمزة بن عبد المطلب عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد على ابنة حمزة ، فقال: إنها ابنة أخي من الرضاعة ، وإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.

حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن شعبة عن قتادة عن جابر بن

(١) سورة يوسف ٩١.

(٢) سورة يوسف ٩٢.

(٣) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٥/٢.

زيد عن ابن عباس قال قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ألا تتزوج ابنة حمزة ، قال إنها ابنة أخي من الرضاعة^(١).

ليان قانون وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في الإمتثال للأوامر الإلهية ، والأحكام الشرعية كي يقتدي به المسلمون ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢).

وأرضعت ثوية حمزة قبل النبي ثم أرضعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أرضعت أبا سلمة.

الثاني : أبو سلمة ، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال من بني مخزوم ، وهو ابن عمه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم .

قال ابن إسحاق : أسلم بعد عشرة أنفس فكان الحادي عشر من المسلمين هاجر مع زوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة.

قال مصعب بن الزبيبي : أول من هاجر إلى أرض الحبشة أبو سلمة بن عبد الأسد ، ثم شهد بدرًا وكان أخا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واخا حمزة من الرضاعة ، أرضعته ثوية مولاة أبي لهب ، أرضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم أبا سلمة.

واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة حين خرج في كتيبة العشيرة وكانت في شهر جمادى الأولى من السنة الثانية من الهجرة.

توفي أبو سلمة في جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة وهو ممن غلبت عليه كنيته وكان عند وفاته قد قال: اللهم اخلفني في أهلي بخير، فأخلفه

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١٠/١ .

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على زوجته أم سلمة فصارت أمّاً للمؤمنين وصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربيب بنيه: عمر وسلمة وزينب^(١).

وعن أم حبيبة أنها (قالت يا رسول الله إنا قد حدثنا أنك ناكح درة بنت أبي سلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أعلى أم سلمة، لو أني لم أنكح أم سلمة لم تحل لي إن أباهما أخي من الرضاعة)^(٢).

ليبان الحرمة المركبة إذ يحرم نكاح ابنة الزوجة المدخول بها لما ورد في آية التحريم ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾^(٣).

الثالث: مسروح، وهو ابن ثوية مرضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرضعته معه، ومات مسروح في أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحينما سأل عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأنه قد مات.

ولابد أن هناك أخوة آخرين من الرضاعة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ثوية بلحاظ رضاعة حمزة مع أحدهم، ورضاعة أبي سلمة مع آخر، ورضاعة حليلة لأبي سفيان بن الحارث وهو ممن يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقال إن الذين كانوا يشبهون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل من:

الأول: جعفر بن أبي طالب.

الثاني: الحسن بن علي بن أبي طالب

الثالث: قثم بن العباس بن عبد المطلب

الرابع: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٨٦/١.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١٠/١.

(٣) سورة النساء ٢٣.

الثالث : قثم بن العباس بن عبد المطلب .

الرابع : أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب من الشعراء المطبوعين .
وكان سبق له هجاء في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١) .

الخامس : السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف .

ومن معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين ولادته أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة له ، وأن أول ما نطق به هو قوله : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً^(٢) .

لقد ولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دار أبيه عبد الله بن عبد المطلب ، إذ قام عبد المطلب عندما ذهب بصره بتوزيع ماله على أولاده ودفعه لهم في حياته فكانت ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دار أبيه وهي إرث للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن عقيل بن أبي طالب أو أولاده قاموا ببيعها وحينما حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع قال له أصحابه تنزل بيتك يا رسول الله فقال (وهل ترك لنا عقيل من ظل)^(٣) .

وفي رواية قيل للنبي (أين تنزل غداً في دارك بمكة ، فقال وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور وكان عقيل ورث أبا طالب)^(٤) .

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٥/٢ .

(٢) أنظر الخصائص الكبرى ٩٢/١ .

(٣) الأزرقى / أخبار مكة ١٨٤/٣ .

(٤) زاد المعاد ١٠٦/٢ .

واشترت الخيزران أم هارون الرشيد دار المولد عندما حجت البيت سنة ١٧١ هجرية وجعلته مسجداً يصلى فيه وأشرعت له باباً على الزقاق ، الذي سمي باسم زقاق المولد ، ويقع في شعب أبي طالب ، وتقع مكة في تهامة. وتجلت في رضاعة حليلة بنت الحارث السعدية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم معجزات متعددة ، إذ أنها حدثت بأنها قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن الصبيان المولودين حديثاً في مكة للرضاعة واتفق أن كانت السنة شهباء^(١).

فقدمت على أتان^(٢) لها، وجلبت حليلة معها صبياً لها ، وشارفاً ، والشارف هي الناقة المسنة ، قالت حليلة (وَاللَّهِ مَا تَبَضُّ بِقَطْرَةٍ وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِينَا الَّذِي مَعَنَا ، مِنْ بُكَائِهِ مِنَ الْجُوعِ . مَا فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغْدِيهِ)^(٣).

ليبان صورة من أحوال العرب في الجزيرة قبل الإسلام ، ومع هذا فانهم لا يغادرون ديارهم ، وكانوا يرجون نزول الغيث والمطر ، وإن حبست عنهم السماء فانهم يتطلعون إلى العام التالي.

ومن خصائص ديار بني سعد أن غارات القبائل لا تصل إليهم بسهولة لأنهم بين جبال وفي الجزيرة وليس عندهم ما يستحق الإغارة والسلب ، وهو من أسباب إرسال قريش أبناءها إليهم للرضاعة ، وقد تكون هناك عداوات وثورات بين قريش وبعض القبائل مثل كنانة ، فتحبس قريش أبناءها عن البادية للإرضاع خشية التعرض للأسر والخطف.

(١) ويقال سنة شهباء أي ممحلة / جمهرة اللغة ١/١٥٩.

(٢) الأتان : الحمارة ، أنثى الحمار ، وفي المثل (كان حماراً فاستأتن، أي صار أتاناً، ويضرب لرجل يهون بعد العز/ الصحاح في اللغة ١/٣).

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ١٢/١٦٢.

وقد تمتنع نسوة البادية عن أخذ صبيان الذين في حال حرب وقتال مع غيرهم خشية لحوق الغدر بهم خاصة وأن العرب في الجاهلية يتمادون في رقعة الثأر والانتقام.

وتقع ديار بني سعد بن بكر بن هوازن أيام الجاهلية شرقي الطائف في بقران والمعدن ووادي الحذب وصلاء وكلاع ، ولا تزال بقية منهم في ذات الديار.

ومرضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حليلة السعدية وهي (حليلة بنت أبي ذؤيب ، واسم أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن زام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر وزوج حليلة اسمه الحارث بن عبد العزى بن رفاعه من بنى سعد بن بكر)^(١).

فقدمت حليلة وزوجها مكة المكرمة ، ومعها عدد من نسوة بني سعد وطفن على بيوت قريش يسألن صبيانا للرضاعة ، وقد عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النسوة من بني سعد ولم تأخذه واحدة منهن لأنه يتيم ، إنما كن يطمعن بالأجرة الكثيرة من أب الصبي. وأخذت كل واحدة منهن صبياً ، وبقيت حليلة ليس عندها رضيع ، ولم يبق إلا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقالت لزوجها الحارث بن عبد العزى (والله إنى لاكره أن أرجع من بين صواحيبي ليس معى رضيع ، لانطلقن إلى ذلك اليتيم فلاخذه. فقال: لا عليك أن تفعلي ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة)^(٢).

(١) ثقات ابن حبان ١/٣٨.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ١/٢٢٦.

فلما سمعت كلام زوجها ، ودلالته بالدلالة التضمنية على رضاه ذهبت الى بيت آمنة وهو في شعب أبي طالب ، وصار هذا البيت في هذا الزمان مكتبة مكة العامة^(١).

وكان هذا بعد أن أرضعته أمه آمنة بنت وهب ، وبعد أن أرضعته ثوية مولاة أبي لهب ، ودخل السرور والسكينة إلى قلب حليلة السعدية حالما حملت النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعندما وصلت إلى رحلها در ثدياها عليه من غير قصد وإرادة منها بعد أن كان ابنها الرضيع يبكي ليله من الجوع والحرم من الحليب بسبب قلة غذاء الأم.

فشرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي منزهة مدركة لتجليات البركة كما ظن زوجها وشرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى روي وانفصل عن الثدي ، فشرب ولدها حتى روي أيضاً ، فلم تتعجل وتخبر زوجها لتتدبر بالأمر فقام زوجها إلى الناقة المسنة التي معهم وإذا هي حافل^(٢) ، يرى انتفاخ ضرعها فبادر إلى الحلب منها ، فشرب ، ثم أعطى زوجته حليلة فشربت حتى روي ، وباتوا ليلتهم بخير بانتظار مغادرة الجماعة مكة عند تمام قضاء العمرة والتزود بما يحتاجون في شبه قافلة.

وذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقبل إلا على ثدي واحد ، ولا يأخذ من الثدي الآخر مع أنها تعرضه عليه ، كأنه يشعر أن معه شريكاً في لبنها ، ولييان قانون وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) كنت إذا ذهبت إلى العمرة أقضي الصباح إلى أذان الظهر بالقراءة وكتابة التفسير فيها أحياناً ، وفي المدينة المنورة اذهب إلى المكتبة العامة التي داخل المسجد النبوي آنذاك .

(٢) الناقة الحافل : أي التي امتلأ ضرعها لبناً (وضرَع حافل : ممتلئ لبناً وشعب حافل : كثر سبيله حتى امتلأ جوانبه بما يتصلع قال ثعلب : يتصلع : امتلأ ما بين أضلاعه) تاج العروس ٣٠/١ ومنه تسمية السيارة الكبيرة بالحافلة .

مفطور على العدل والإنصاف والفضل من صغره ، مع أن الثدي الآخر لم يدر الحليب إلا ببركة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
وفي الصباح قال زوجها : يا حليلة والله إنني لأراك قد أخذت نسمة مباركة ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه .
ولا يستغرب أهل البوادي البركة في مكة وجوار البيت ومن ذرية إبراهيم ، ولكن تجليات البركة برضاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت أكبر مما يظنون .

وتوالت أسباب الخير والبركة عليهم حتى خرجوا من مكة راجعين إلى بلادهم ، وتوقعت النسوة أن تتخلف حليلة عنهن بالمسير مثل حالها في القدوم إلى مكة لتباطئ الأتان التي تركبها ، ولكن ما أن بدأ المسير حتى سبقت أتانها الركب لا يتعلق بها حمار فأخذت صويحباتها ينادين (ويلك أهذي أتانك التي خرجت عليها معنا فتقول نعم والله انها لهي فيقلن والله إن لها لشأنا)^(١).

حتى وصلوا جميعاً بسلام إلى أرض بني سعد وكانت جذباء قاحلة ، ولكن عندما تخرج غنم حليلة السعدية لتسرح تروح شباعاً بخلاف شيء وماشية من حولهم التي ليس فيها قطرة لبن قالت حليلة .
(حتى أنهم ليقولون لرعائهم ويحكم انظروا حيث تسرح غنم حليلة فاسرحوا معها فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فيروحون أغنامهم جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم يزل الله يرينا البركة وتتعرفها حتى بلغ سنتين)^(٢).

(١) أنظر الخصائص الكبرى ١/٩٣ .

(٢) الخصائص الكبرى ١/٩٣ .

ويدل قولها أعلاه على أن بني سعد عندهم أنعام كثيرة ، ورعاة يسرحون بها أي أنهم لم يأتوا لأخذ الصبيان للرضاعة عن فاقة ، إنما هي عادة موروثه للصلة بين أهل مكة وبينهم وتجدها .

وفصلت حليلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفطام عند بلوغه سنتين ، وكان يشب أسرع من غيره وكان جفراً أي غليظاً ، فجاءت حليلة وزوجها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمه لانتهاؤ مدة الرضاعة .

قال ابن اسحاق : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ مِمَّا هَاجَ أُمُّهُ السَّعْدِيَّةَ عَلَى رَدِّهِ إِلَى أُمِّهِ مَعَ مَا ذَكَرْتُ لَأُمِّهِ مِمَّا أَخْبَرَتْهَا عَنْهُ أَنَّ نَفْرًا مِنَ الْحَبَشَةِ نَصَارَى رَأَوْهُ مَعَهَا حِينَ رَجَعَتْ بِهِ بَعْدَ فِطَامِهِ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ وَسَأَلُوهَا عَنْهُ وَقَلَّبُوهُ ثُمَّ قَالُوا لَهَا : لِنَأْخُذَنَّ هَذَا الْغُلَامَ ، فَلَنَذْهَبَنَّ بِهِ إِلَى مُلْكِنَا وَبَلَدِنَا ؛ فَإِنَّ هَذَا غُلَامٌ كَاتِنٌ لَهُ شَأْنٌ نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ فَزَعَمَ الَّذِي حَدَّثَنِي أَنَّهَا لَمْ تَكُذُ تَنَفَّلَتْ بِهِ مِنْهُمْ^(١) . والحديث منقطع .

ولكنهما كانا يرجوان إعادته معهما فترددت آمنة ، فلا زالت حليلة تلح عليها ، وبينت لها البركة التي تغشتهم من أول ساعة أخذته فيها وقالت حليلة : اني أخشى عليه وباء مكة ، وأعانها زوجها في الإلتماس من آمنة بنت وهب ، وتعهدا في الحفاظ عليه وسلامته .

(وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ أَنَا أَعْرَبُكُمْ أَنَا قُرَشِيٌّ ، وَاسْتَرْضَعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ^(٢) .

فأقام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهرين أو ثلاثة مع حليلة السعدية ، فبينما هو خلف بيوتهم هو وأخ له من الرضاعة إذ جاء أخوه

(١) الروض الأنف ١/٢٩٤ .

(٢) الروض الأنف ١/٢٩٤ .

يشدد ، فسألوه ما بك قال : ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض (فاضجعا فشقاً بطنه) (١).

تقول حليلة السعدية فخرجت أنا وأبوه أي أبوه من الرضاعة نشدت نحوه فوجداه قائماً منتقماً لونه ، فاعتنقه أبوه ، وقال : أي بني ما شأنك) فأكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم رواية الصبي أخيه من الرضاعة وقال : جاء رجلان عليهما ثياب بياض فاضجعاني فشقاً بطني ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان ، أي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان بكامل وعيه ويصير ما يرى .

فرجعوا إلى خبائهم وقال زوجها : يَا حَلِيمَةَ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغُلَامُ قَدْ أُصِيبَ ، قَالَتْ : فَاحْتَمَلْنَاهُ فَقَدَمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ مَا أَقْدَمَكَ بِهِ يَا ظَنُرُ وَقَدْ كُنْتَ حَرِيصَةً عَلَيْهِ وَعَلَى مَكْنِهِ عِنْدَكَ (٢).

لقد خشى الرجل مسّ الجن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وظهور علامات هذا المسّ عندهم وأزدياده بما يؤدي إلى الإضرار بنفسه وبهم فلم يخطر على بالهم أن الملائكة قد نزلت وأن جبرئيل هو الذي شق صدره وبطن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج قلبه إلى خارج جسده وغسل تجويفه وبطنه بماء زمزم وحشى قلبه وشرابينه بالإيمان والحكمة ليكون الداعية إلى السلام في الأرض ، ونبذ الإرهاب والشحناء والعصبية.

وهو من الإعجاز في إصلاح الله عز وجل للأنبياء لتولي الإمامة ، نعم ليس كل الأنبياء شق صدره وغسل قلبه ، ولكن لكل نبي معجزة تتعلق باصلاحه للنبوّة بفضل ولطف من عند الله ، ومنها ما يكون نوع طريق حسي للعصمة من الذنوب والإحتراز من المعاصي ، وفي نبي الله يوسف

(١) الخصائص الكبرى ١/٩٤.

(٢) الروض الأنف ١/٢٨٨.

عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (١).

لقد استغرقت آمنة بنت وهب إعادة ولدها محمد لها من قبل ظئره مع أنها كانت تلح هي وزوجها على إرجاعه إلى ديارهم في بني سعد معها ، وقد شاعت مصاديق البركة التي حلت بهم وتحسنت أحوالهم . وتوجهت آمنة بالسؤال لها ولزوجها فقالا (نخشى الاتلاف والأحداث) (٢).

خاصة وأنه حدثت بعض الوقائع اثناء الرضاعة.

ولكن آمنة بنت وهب لم تقتنع بجوابهما وتذكر أن أموراً خارقة تحدث للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما تريد أن تقف على الحقيقة ، وتطمئن على ولدها ، وفي التنزيل بخصوص إبراهيم عليه السلام ورد في التنزيل ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ قَالَتْ : أصدقاني ، ولم تتركهما إلا أن تعلم الحقيقة ، عندئذ أخبرها بمحادثة شق بطنه وصدره (قالت : أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شأن إلا أخبركما خبره. قالاً : بلى.

(١) سورة يوسف ٢٤.

(٢) الخصائص الكبرى ٩٤/١.

(٣) سورة البقرة ٢٦٠.

قالت : حملت به فما حملت حملا قط أخف منه فأريت في النوم حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقعا ما يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما^(١).

أي أتركاه عندي ، وحتى لو سألتهما العودة به فلن أذن لكما .
وروي حديث شق بطن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس وهو أقرب وأوثق من خبر ابن اسحاق إذ (وأخرج البيهقي وابن عساكر من طريق محمد بن زكريا الغلابي عن يعقوب بن جعفر بن سليمان عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال كانت حليلة تحدث . أنها لما فطمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكلم فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا .

فلما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيتجنبهم .
فقال لي يوما يا أماه ما لي لا أرى اخوتي بالنهار قلت فدتك نفسي يرعون غنما لنا فيروحون من ليل إلى ليل .

قال ابعثيني معهم فكان يخرج مسرورا ويرجع مسرورا .
فلما كان يوما من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار إذا بابني ضمرة^(٢) يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا أبت ويا أمه إلحقا أخي محمد فما تلحقانه إلا ميتا .

(١) أنظر الخصائص الكبرى ٩٤/١ .

(٢) وظاهره أن ابناً لحليلة اسمه (ضمرة) وهو أخ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة ، وهو غير أخيه عبد الله إذ أن الأصل كل أبناء حليلة من الحارث ذكورا وأنثاهم أخوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة .

قلنا وما قصته قال بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاخطفه من أوساطنا
وعلا به ذروة الجبل ، ونحن ننظر إليه حتى شق من صدره إلى عانته ، ولا
أدري ما فعل به .

فأقبلت أنا وأبوه نسعى ، سعيا فإذا نحن به قاعد على ذروة الجبل
شاخصا يبصره إلى السماء يتسم ويضحك .

فأكببت عليه وقبلت ما بين عينيه وقلت فدتك نفسي ما الذي دهاك .

قال خيرا يا اماء بينا انا الساعة قائم إذ أتاني رهط ثلاثة بيد احدهم
ابريق فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء ملأى ثلجا فأخذوني
فانطلقوا بي إلى ذروة الجبل فأضجعوني على الجبل إضجاعا لطيفا ثم شق
احدهم من صدري إلى عانتي وأنا أنظر إليه فلم اجد لذلك حسا ولا ألما ثم
ادخل يده في جوفي فأخرج احشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها
ثم أعادها .

وقام الثاني فقال للأول تنح فقد أنجزت ما أمرك الله به فدنا مني .

فأدخل يده في جوفي فانتزع قلبي وشقه فأخرج منه نكتة سوداء مملوءة
بالدم فرمى بها .

فقال هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله ثم حشاه بشيء كان معه
ورده مكانه .

ثم ختمه بخاتم من نور .

فأنا الساعة أجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي .

وقام الثالث فقال تنحيا فقد أنجزتما ما أمركما الله به فيه .

ثم دنا مني فأمر يده من مفرق صدري إلى منتهى عانتي وقال زنوه من
أمته بعشرة فوزنوني فرجحتهم ثم قال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجح
بهم .

ثم اخذ بيدي فانهضني إنهاضا لطيفا .

فأكبوا علي وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا يا حبيب الله لن تراع ولو
تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وتركوني قاعدا في مكاني هذا.
ثم جعلوا يطيطون حتى دخلوا حيال السماء .
قالت فاحتملته فأتيت به منازل بني سعد .
فقال الناس اذهبوا به إلى الكاهن حتى ينظر إليه ويداويه فقال ما بي
شيء مما تذكرون إني ارى نفسي سليمة وفؤادي صحيح .
فقال لي الناس اصابه لمم أو طائف من الجن فغلبوني على رأيي .
فانطلقت به إلى الكاهن فقصصت عليه القصة ، قال دعيني انا اسمع
منه فإن الغلام أبصر بأمره منكم .
تكلم يا غلام فقص قصته من أولها إلى آخرها .
فوثب الكاهن قائما على قدميه ونادى بأعلى صوته يا للعرب من شر
قد اقترب .

اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فإنكم إن تركتموه وأدرك مدرك الرجال
ليسفهن أحلامكم وليكذبن أديانكم وليدعونكم إلى رب لا تعرفونه ودين
تنكرونه .

قالت فلما سمعت مقالته انتزعته من يده وقلت لأنت أعته منه ،
وأجن ، ولو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به .
أطلب لنفسك من يقتلك فإننا لا نقتل محمدا ، فاحتملته ، فأتيت منزلي
فما أتيت به منزلا من منازل بني سعد إلا وقد شممنا منه ريح المسك .
وكان في كل يوم ينزل عليه رجلا ن أبيضان فيغيان في ثيابه ولا يظهران .
فقال الناس رديه يا حليلة على جده وأخرجي من أمانتك^(١) .

(١) ويدل نعت بني سعد للصبي المرتضع بالأمانة على حرصهم على حفظ الصبيان
الرضع ، وعنايتهم الفائقة بهم ، لذلك كانت قريش تأمن على أولادها الصغار عندهم .

قالت فعزمت على ذلك فسمعت مناديا ينادي هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم اليوم يرد عليك النور والدين والبهاء والكمال فقد أمنت ان تخذلي او تخزي أبد الآبدين .

قالت حليلة وحدثت عبد المطلب بحديثه كله .

فقال يا حليلة إن لابني هذا شأنًا وددت أني أدرك ذلك الزمان^(١) .

وتوفى عبد المطلب وعمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمان سنين ،
وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أتذكر موت عبد المطلب ، قال :
نعم ، أنا يومئذ ابن ثماني سنين .

وقال أم أيمن : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ يبكي
خلف سرير عبد المطلب^(٢) .

وهل كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حاكماً مطلقاً في
اصطلاح هذا العصر الجواب لا ، إنما كان يعمل بالوحي والتنزيل إلى
جانب أمر الله له بالشورى ، قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣) .

وقوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٤) ، فهل من هذه الرحمة شق صدر النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ، الجواب لا دليل عليه .

(١) الخصائص الكبرى ١/٩٦ .

(٢) البحار ١٥/١٦٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٤) سورة آل عمران ١٥٩ .

عدد الرضعات التي تنشر الحرمة

الرضاع في الإصطلاح هو امتصاص الصبي اللبن من ثدي المرأة من غير واسطة ، وفيه أقوال :

الأول : نشر الحرمة بقليل الرضاع أو كثيره ، فتتشر الحرمة بمصة واحدة يصل فيها لبن المرضعة إلى جوف الطفل ، وبه قال الحنفية والمالكية وأحمد في رواية عنه واحتج عليه بقوله تعالى ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ﴾^(١) ، فيكفي فيه صرف الطبيعة.

واستدل عليه بحديث (عبيد بن أبي مريم عن عقبة بن الحارث قال وقد سمعته من عقبة ولكني لحديث عبيد أحفظ قال تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء فقالت إني قد أرضعتكما فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقلت إني تزوجت فلانة بنت فلان فجاءتني امرأة سوداء فقالت إني قد أرضعتكما فأعرض عني فأتيته من قبل وجهه فقلت إنها كاذبة قال فكيف بها وقد زعمت أنها قد أرضعتكما دعها عنك)^(٢) ، أي دع عنك الزوجة.

ويمكن مناقشة الحديث دلالة ويجوز أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكم فيه بالوحي وكان يتحرى عن الشهود، ويكتب إلى قراهم يسأل عنهم، فان كان ثقة قبل شهادتهم ، وان جاءت الأخبار بخلافه صرفهم ، ولم يؤاخذهم.

الثاني : لا تنشر حرمة الرضاع إلا في خمس رضعات او أكثر ، وبه قال الشافعية والحنابلة ، وبه قالت عائشة وابن مسعود وابن الزبير ، واستدل

(١) سورة النساء ٢٣.

(٢) النسائي / السنن الكبرى ٣/٣٠٦ .

عليه بما ورد عن عائشة : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات
فُنسخنَ بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهن
فيما يقرأ من القرآن .

وأخرج عبد الرزاق عن عائشة قالت : لقد كانت في كتاب الله عشر
رضعات ثم رُدَّ ذلك إلى خمس ، ولكن من كتاب الله ما قبض مع النبي
صلى الله عليه وآله وسلم .

وأخرج ابن ماجه وابن الضريس عن عائشة قالت : كان
مما نزل من القرآن سقط لا يحرم إلا عشر رضعات أو خمس
معلومات .

وأخرج ابن ماجه عن عائشة قالت : لقد نزلت آية الرجم
ورضاعة الكبير عشراً ، ولقد كان في صحيفة تحت سريري . فلما
مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتشاغلنا بموته دخل
داجن فأكلها .

وأخرج عبد الرزاق عن ابن عمر : أنه بلغه عن ابن الزبير أنه يَأْثُرُ عن
عائشة في الرضاعة لا يحرم منها دون سبع رضعات . قال : الله خير من
عائشة ، إنما قال الله تعالى {وأخواتكم من الرضاعة} ^(١) ولم يقل رضعة ولا
رضعتين ^(٢) .

وظاهر كلام ابن عمر أعلاه أن الرضعة الواحدة تحرم ، وعن أم الفضل
أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن المصبة الواحدة تحرم فقال : لا .

(١) سورة النساء ٢٣ .

(٢) الدر المنثور ٦٩/٣ .

الثالث : لا تنشر الحرمة إلا عشر رضعات ، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال : لا يحرم من الرضاع إلا المخبورة^(١) أو خادم أو ظئر ثم يرضع عشر رضعات يروى الصبي وينام^(٢).

الرابع : خمس عشرة رضعة وهو مشهور الإمامية ، لأنها تنبت اللحم وتشد العظم.

ولو كان رجل وامرأة على مذهب يحرم الرضاعة بالأقل وهو سبب ينشر الحرمة بينهما لانطباقه عليهما فيختارا مذهباً آخر يحلُ لهما النكاح من جهة كثرة عدد الرضعات الجامعة لهما ، وفقدان هذه الكثرة في رضاعها من لبن واحد فهل يحق الانتقال الى المذهب الذي يميز لهما النكاح ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق نفي الحرج في الدين .

ومن معاني التقليد أن المكلف يقلد عمله في عهدة وذمة هذا الذي تصدى للفتوى ، وعلى فرض تمام زواجهما فهل يحق لهما الرجوع إلى المذهب الأول ، والبقاء على ذات عقد النكاح ، الأقوى لا ، لإستدامة الحكم ، إلا بعد الإفتراق .

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا رضاع الا ما شدّ العظم وانبت اللحم^(٣).

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : إنما الرضاعة من المجاعة^(٤).

(١) وفي رواية المخبورة .

(٢) الوسائل ٣٧٢/٢٠ .

(٣) البيهقي / السنن الكبرى ٤٦١/٧ .

(٤) الدر المنثور ٧٠/٣ .

وحمل على إرادة شبع الصبي من اللبن وتركه الثدي اختياراً ، وقد يكون معناه أعم لذا ذكرت في رسالتي العملية (الحجة) (١).

(مسألة ٢٧٥) تكره الرضاعة المعتبرة بشرائطها إلا عند وجود أسباب تتعلق بالحاجة والمجاعة، وما يشبه الضرورة، وهي معدومة في الغالب الأعم في هذا الزمان الذي يتوفر فيه الحليب البديل لما يترتب عليها من أحكام ، ونشر للحرمة ، وتفويت لحق في النكاح من امرأة أو زوج مرغوب فيه بسبب تحقق الأخوة الرضاعية.

حديث شق الصدر

هو معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في صباه بعناية الملائكة به لإصلاح بدنه لحمل وظائف النبوة والإمامة العامة .

قال تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٢)، لقد شرح الله عز وجل صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلقي الوحي وتبليغ آيات القرآن من غير زيادة أو نقصان والعمل بمضامينها .
لقد ملأ الله عز وجل صدر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حلماً وعلماً.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن إبراهيم بن طهمان قال : سألت سعداً عن قوله {ألم نشرح لك صدرك} (٣) فحدثني به عن قتادة عن أنس قال :

(١) مسجلة في دار الوثائق والكتب ببغداد برقم ٣٤٥ لسنة ٢٠٠١ .

(٢) سورة الشرح ١.

(٣) سورة الشرح ١.

شق بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه فاستخرج من قلبه ، فغسل في طست من ذهب ، ثم ملئ إيماناً وحكمة ، ثم أعيد مكانه .

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة قال : يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟

فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً وقال : لقد سألت أبا هريرة إنني لفي صحراء ابن عشرين سنة وأشهرأ إذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو؟

فاستقبلاني بوجه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدتها في خلق قط وثياب لم أجدتها على أحد قط ، فأقبلا إليّ يمسيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأخذهما مساً فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه . فأضجعني بلا قصر ولا هصر .

فقال أحدهما : افلق صدره فخوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع ، فقال له : أخرج الغل والحسد . فأخرج شيئاً كههيئة العلقة ، ثم نبذها ، فطرحها .

فقال له : أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ، ثم هز ابهام رجلي اليمنى . وقال : اغدوا سلم ، فرجعت بها أغدو بها رقة على الصغير ورحمة للكبير^(١) .

وقد أورد مسلم في صحيحه بسنده (عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وآله وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) .

فقالوا : إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره^(١).

ولم تذكر أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجود أثر للمخيط في صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يعني هذا نفي حديث أنس لما له من دلالة خاصة وأنهم لم يكذبوه مع أنه كان شائعاً.

لقد ورد حديث شق الصدر عن (أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل صلى الله عليه وآله وسلم ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا. قال هذا جبريل قال هل معك أحد.

قال نعم معي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال فأرسل إليه. قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى. فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح .

قلت يا جبريل من هذا ؟ قال هذا آدم صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح.

فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح^(٢).

(١) صحيح مسلم ١/١٤٥.

(٢) صحيح مسلم ١/١٤٨.

أي هذا يكون حديث شق الصدر قد تكرر مرة في صبا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مضارب بني سعد ، وأخرى مقدمة لحديث الإسراء حينئذ لا بد من بيان مسألة وهي أن شق الصدر مقدمة للعروج في السماء.

وفي قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(١) ورد (عن قتادة ، عن أنس بن مالك أنه قد شق بطنه - يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم - من عند صدره إلى أسفل بطنه فاستخرج منه قلبه فغسل في طست من ذهب ، ثم ملئ إيمانا وحكمة ، ثم أعيد مكانه)^(٢).

ومنهم من ناقشه علمياً وواقعياً ، وقال لو أجريت عملية جراحية لإنسان فهل تخرج منه هذه العلقة السوداء كما أخرجها جبرئيل من صدر النبي وأن القلب يتنزه ويصل إلى مرتبة العصمة بالغسل بالماء ، ولا تصل النوبة إلى مثل هذا النقاش ، فاذا ثبت سند الرواية فلا بد من تأويلها دلالة .
وفي قوله تعالى ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣) ورد عن الربيع في المرسل قال (إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كل آدمي طعن الشيطان في جنبه غير عيسى وأمه، كانا لا يُصيبان الذنوب كما يصيبها بنو آدم.

قال : وقال عيسى صلى الله عليه وآله وسلم فيما يثني على ربه: وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم، فلم يكن له علينا سبيل.
وعن الربيع بن سليمان قال، حدثنا شعيب بن الليث قال، حدثنا الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال: قال أبو

(١) سورة الشرح ١.

(٢) دلائل النبوة لليهقي ٣٩٤/١.

(٣) سورة آل عمران ٣٦.

هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه، إلا عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب^(١).

وقال المجلسي (قال الكاذروني: روي أن شق صدره صلى الله عليه وآله كان في سنة ثلاث من مولده وقيل: في سنة أربع على ما روي عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، عن أصحابه قال: مكث صلى الله عليه وآله عندهم سنتين حتى فطم، وكان ابن أربع سنين فقدموا به على أمه زائرين لها به، وأخبرتها حليلة خبره وما رأوا من بركته.

فقالت آمنة: ارجعي بابني فإني أخاف عليه وباء مكة، فوالله ليكون له شأن، فرجعت به، ولما بلغ أربع سنين أتاه الملكان فشقا بطنه، ثم نزلت به إلى آمنة وأخبرتها خبره، ثم رجعت به أيضا"، وكان عندها سنة ونحوها لا تدعه يذهب مكانا "بعيدا"، ثم رأت غمامة تظله إذا وقف وقفت، وإذا سارت، فأفزعها ذلك أيضا "من أمره، فقدمت به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين، فأضلته في الناس فالتمسته فلم تجده"^(٢).

ومن دلائل شق الصدر عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغل والحسد ومن إستحواذ النفس الغضبية، وقد تجلت هذه العصمة في سنته على مدى ثلاث وعشرين سنة فترة النبوة مع أنها كانت مليئة بالأحداث والوقائع، وكان قرار الإمامة والرياسة بيده، فلم يأمر أو ينهي إلا بالوحي الذي هو رحمة ونعمة على الناس جميعاً، قال تعالى ﴿وَمَا

(١) تفسير الطبري ٣٤٢/٦.

(٢) البحار ٤٠١/١٥.

كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلَلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَقَّى كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾ .

ومن خصائص معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم تثبيت رسالته ودعوة الناس للتصديق به ، وإرادة زحزحتهم من النار ولهيبتها ، وهل تذكر معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالموت ومعاني قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) الجواب نعم ، لأنها تدعو للتصديق برسالته والإنصات له .

قانون التنزه عن الغلو

ليس من نبي إلا وقد جاء بالدعوة إلى الإسلام ، وأخبر الناس بأنه من المسلمين المستجيبين لأمر الله لمنع الغلو في شخصه ، ولييان أن الناس يتساوون في الإسلام والإنقياد إلى أحكام الشريعة ، وهو الذي تجلى بإمامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين في الصلاة ، فهو مثلهم في أدائها خمس مرات في اليوم ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم (صلوا كما رأيتموني أصلي)^(٣) .

وصحيح أن الحديث أعلاه يدل على وجوب محاكاة المسلمين والمسلمات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته ، وعدم التغيير والتبديل فيها إلا أنه يتضمن أيضاً الإخبار عن حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أداء الصلاة في أوقاتها ، كما أنه تأسيس لقانون ، وهو منع الغلو في شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والأئمة عليهم السلام .

(١) سورة آل عمران ١٦١ .

(٢) سورة العنكبوت ٥٧ .

(٣) تفسير القرطبي ١٠٨/١ .

وتجد آية قرآنية واحدة تكفي لمنع الغلو منها قوله تعالى ﴿وَأَنذَرْنَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم وَمَن يَنقلب على عَقْبِهِ فَلَن يضرَّ الله شيئًا وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ﴾^(٣)، وتبين أحاديث النبي اجتهاده في تأكيد حرمة الغلو ولزوم التنزه عنه .

(عن ابن عباس قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداة العقبة : هات القط لي حصيات من حصي الخذف ، فلما وضعن في يده قال : بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)^(٤) .

ويدل النهي عن الغلو بشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الغلو عن غيره من الأئمة والأولياء من باب الأولوية القطعية ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عما هو أدنى من الغلو وهو الإطراء (عن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله)^(٥) .

(١) سورة الجن ١٩ .

(٢) سورة الكهف ١١٠ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٤) الدر المنثور ١/٤٦٩ .

(٥) الدر المنثور ٣/٣٠٣ .

والمختار أن النسبة بين الغلو والإطراء عموم وخصوص مطلق ، فالغلو أشد لأنه يرقى بالإنسان بغير حق .

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنها قطعت الغلو إلى يوم القيامة ، فليس من مذهب أو طريقة عند المسلمين تغالي بشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة والأولياء وتجعلهم بمنزلة ومقام الربوبية ، ولا يعني المدح والثناء والتغني بالفضائل غلواً كما ينعته بعضهم ، لقد نزل القرآن لقانون تأسيس التنزه عن الغلو ثم تفضل الله عز وجل وأمر المسلمين والمسلمات بقراءة القرآن كل يوم خمس مرات في اليوم ، وكل مرة واقية من الغلو .

وهل آية البحث من آيات منع الغلو ، الجواب نعم ، إذ أنها تخبر عن نزول الموت بساحة كل إنسان ، وهو شاهد على الضعف والفاقة والحاجة إلى رحمة الله ، والعجز عن استدامة الحياة بقدره ذاتية ، والله عز وجل وحده الحي الباقي الدائم ، وقد ابتدأت سورة آل عمران بقوله تعالى ﴿الم *اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١) والآية التي يختص بتفسيرها هذا الجزء من آيات سورة آل عمران .

قانون القتال كره ومشقة

يتضمن القرآن آيات الدفاع المحض ، وحرص المسلمين على التقيد بأحكام الشهر الحرام ، منها قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ

(١) سورة آل عمران ١-٢.

اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

وهي تلحق بآيات السلم وتفيد معنى عدم نسخ آيات السلم ، لأن الذي يسأل عن الشهر الحرام لا يريد أن يقاتل فيه .
ومن إعجاز هذه الآية وذخائر نظم آيات القرآن إنها جاءت بعد قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، وفيها شاهد على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين لا يرغبون بالقتال ، وفيه مشقة عليهم ، بما هم بشر ومؤمنون .

وهل هذا الكره من مصاديق احتجاج الله عز وجل على الملائكة ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، عندما قالوا ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ (٤) ، الجواب نعم ، إذ أن كراهة المسلمين للقتال نوع طريق للسلم ، ومقدمة للقبول بالصلح والسعي للموادعة ، موضوعاً وحكماً ، إنما ورد التخفيف بقوله تعالى ﴿ لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٥) ، وعن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية { إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله } (٦)

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة ٢١٦ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

(٥) سورة البقرة ٢٨٦ .

(٦) سورة البقرة ٢٨٤ .

دخل في قلوبهم منه شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟

فقال : قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا . فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله { آمن الرسول... }^(١) ، { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا }^(٢) ، قال : قد فعلت { ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا } قال : قد فعلت { ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به }^(٣) قال : قد فعلت { واعف عنا واغفر لنا وارحمنا... }^(٤) الآية قال : قد فعلت^(٥) .

و{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ }^(٦) فرض عليكم القتال ، واختلف العلماء في حكم هذه الآية ، فقال بعضهم : عنى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيرهم ، وقال ابن جريج قلت لعطاء : قوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ }^(٧) أو أوجب الغزو على الناس من أجلها أو كتب على أولئك حينئذ .

وأجرى بعضهم الآية على ظاهرها فقال : الغزو فرض واجب على المسلمين كلهم إلى قيام الساعة ، ولا دليل على هذا القول كما أن ظاهرها لا يدل على هذا المعنى .

(١) سورة البقرة ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة ٢٨٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٨٦ .

(٥) الدر المنثور ٢/٢٦٤ .

(٦) سورة البقرة ٢١٦ .

(٧) سورة البقرة ٢١٦ .

روى ابن أبي أنيسة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من أصل الإيمان : الكفّ عمّن قال : لا إله إلا الله ما لم يره بذنب ، ولا يخرجه من الاسلام بعمل .

والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطنه ضنّ ولا شك ، والإيمان بالأقدار^(١).

ولابد من الفصل ولحاظ النسب الأربعة بين كل من :

الأول : الغزو .

الثاني : الجهاد .

الثالث : القتال .

الرابع : الصبر ، ويشمل المقام قوله تعالى ﴿وَلَمَّا صَبَرْتُمْ لَهْوِ خَيْرٍ

لِلصَّابِرِينَ﴾^(٢) .

فليس في الآية ما يدل على الغزو ، إنما تفيد الآية القتال الدفاعي ، وحال الضرورة ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ البشارة والنسبة بين القتال والغزو العموم والخصوص المطلق ، فالقتال أعم ، وقد يكون دفاعاً وتدل نسخة الرحمة العامة لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على إنحصار قتاله والمؤمنين بالدفاع مع إمتلاكهم الحجة والبرهان ، وهو أقوى من السيف إلى جانب سعادتهم بالإنشغال بأداء الفرائض والعبادات ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

(١) الكشف والبيان ٤٢٤/١.

(٢) سورة النحل ١٢٦.

(٣) سورة المائدة ١٠٥.

وبالنسبة لآية البحث هل يشترط في الزحزحة من النار الغزو والقتال ، الجواب لا ، ومن فضل الله عز وجل على الناس أن أكثر أيام الحياة الدنيا ليس فيها قتال ، وحتى لو كان هناك قتال فانه يتعلق بجهة ومكان مخصوص ثم يعم السلام ، لأن الله عز وجل هو ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْبِ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) ، ففي القتال طرفان كل فرد منهما يقاتل أما في الغزو فهناك أطراف :

الأول : الغازي .

الثاني : الغزو .

الثالث : المغزو .

وهناك تباين بين الأول والثالث ، وحتى الطرف الثاني أعلاه فانه يقع من الأول على الثالث .

وقد وردت آيات القرآن بذكر القتال ، ويستقرأ منه أنه للدفاع . أما النسبة بين الجهاد والقتال فهي العموم والخصوص المطلق أيضاً ، والجهاد أعم فقد يكون باللسان وقد يكون جهاداً مع النفس ، وقهراً للشهوة لذا قال تعالى ﴿وَالْكَافِرِينَ الْفِيَظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) .

(وأخرج البيهقي عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقال له خصفة بن خصفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : هل تدرون ما الشديد؟ قلنا : الرجل يصرع الرجل!)

(١) سورة الحشر ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٣٤ .

قال : إن الشديد كل الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ، تدرّون ما الرقوب؟

قلنا : الرجل لا يولد له!

قال : إن الرقوب الرجل الذي له الولد لم يقدم منهم شيئاً ، ثم قال : تدرّون ما الصعلوك؟

قلنا : الرجل لا مال له!

قال : الصعلوك كل الصعلوك الذي له المال لم يقدم منه شيئاً^(١).
ومع كثرة أسماء الله الحسنى وأنها تسعة وتسعون اسماً ، فليس فيها اسم الشديد^(٢) لأنه هو اللطيف الودود بآيات تبين شدة بطش الله بالكافرين ، وهو سبحانه القوي ، منها قوله تعالى ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلُوعِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^(٥).

لقد ورد لفظ (القتال) في القرآن اثنتي عشرة مرة ابتدأت في نظم القرآن بآية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾^(٦).

(١) الدر المنثور ٢/٢١٩.

(٢) أنظر ذكر أسماء الحسنى / الدر المنثور ٤/٣٧٥.

(٣) سورة البقرة ١٦٥.

(٤) سورة غافر ٣.

(٥) سورة النجم ٤-٥.

(٦) سورة البقرة ٢١٦.

لقد ورد قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ خمس مرات في القرآن كلها في سورة

البقرة وهي :

الأولى : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

الرابعة : قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

الخامسة : قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ

(١) سورة البقرة ١٧٨.

(٢) سورة البقرة ١٨٠.

(٣) سورة البقرة ١٨٣.

(٤) سورة البقرة ٢١٦.

عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَتَقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلْتَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا
فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

وذكر في الآية الأخيرة أعلاه قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ لبيان
الإشتراك في وجوب القتال بين المسلمين وبنِي إسرائيل في محاربة الطواغيت
الجبابرة ومنهم الكفار الذين قاموا باخراجهم من ديارهم ، كما في إخراج
كفار قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من مكة ، وإرادتهم
إخراج الأنصار من المدينة أيضاً.

وهل من صلة بين آيات القتال وقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ الجواب
نعم ، فهي إنذار للذين كفروا لإصرارهم على القتال والهجوم على المدينة
وإرادة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وبشارة
للمؤمنين بالأجر والثواب ليكون من معاني قوله تعالى ﴿فَمَنْ زُحِرَ
عَنِ النَّارِ﴾^(٢) ، فمن زحزح عن النار بقتاله دفاعاً عن بيضة الإسلام ،
وأدخل الجنة ثواباً من عند الله عز وجل.

لقد كان المشركون يخوفون الصحابة من المهاجرين والأنصار ،
ويتوعدونهم بالأسر والقتل ، فنزلت آية البحث لبيان أن الفوز محصور
بطريق الهداية وسنن الإيمان ، قال تعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ
الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٢٤٦.

(٢) سورة آل عمران ١٨٥.

(٣) سورة العنكبوت ٦٤.

ومن إعجاز القرآن ورود اسم ﴿السَّلَامُ﴾^(١) وهو من الأسماء الحسنى لله عز وجل ومن معانيه وجوه :

الأول : تنزه وسلامة مقام الربوبية المطلقة من النقائص .

الثاني : الله الذي يسلم العباد من الجور ، لذي ترى أن الظلم لا بد وأن تنقضي أيامه .

الثالث : الله الذي ييسط السلم في الأرض ، ويقرب الناس بلطفه إلى السلم .

الرابع : يبعث اسم ﴿السَّلَامُ﴾ كاسم من الأسماء الحسنى المسلمين إلى الميل إلى السلام وسيادة الموادعة والمواثيق ، والحرص على تحقيق السلم ، والكف عن القتل ، لذا قال تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٢) لبيان أن من رشحات اسم السلام ميل الكفار أيضاً إلى السلم والموادعة .

يوم الغدير

إجماع المسلمين على نزول قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) في السنة العاشرة للهجرة النبوية الشريفة

وهذه الآية من سورة المائدة وهي آخر سورة القرآن نزولاً .

وروي عن (ابن عباس قال : لم ينسخ من المائدة إلا هاتان الآيتان وقوله

تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾^(١) ، نسختها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

(١) سورة الحشر ٢٣ .

(٢) سورة الأنفال ٦١ .

(٣) سورة المائدة ٦٧ .

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴿٢﴾، وقوله {فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم} نسختها {أن احكم بينهم بما أنزل الله} ﴿٣﴾.

والمراد من شعائر الله مناسك الحج ، وعلى فرض النسخ في خبر ابن عباس فان المراد خصوص المشركين في سنة نزول الآية أعلاه وما بعد محرم من السنة العاشرة للهجرة .

وعند رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة ، أمسك بذراع علي عليه السلام في غدير خم من الجحفة ، وهي مفترق الطرق للمدنيين والمصريين والعراقيين ، وصادف يوم الخميس . وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم بالصلاة جامعة . قبل صلاة الظهر ، وقيل بعد أن صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالناس صلاة الظهر .

وقال : أني أوشك أن أدعى فأجيب وأني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون .

قالوا نشهد أنك قد بلغت ، ونصحت ، وجهدت ، فجزاك الله خيراً ، قال أستم تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وناره حق ، وأن الموت حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور .

قالوا : نشهد بذلك .

قال : اللهم اشهد .

ثم قال : يا أيها الناس ألا تسمعون

(١) سورة المائدة ٢ .

(٢) سورة التوبة ٥ .

(٣) الكشف والبيان ٩٣/٥ .

قالوا : نعم .

قال : فاني فرط على الحوض وأنتم واردون عليّ الحوض .

وفي الإمتداد التاريخي لبيعة الغدير أطراف :

الأول : ما قبل بيعة الغدير وهو على أقسام منها :

أولاً : بداية الخلق .

ثانياً : عهد الأنبياء السابقين والوصاية فيه .

ثالثاً : الولاية قبل الهجرة النبوية ، وعن البراء قال (لما نزلت {وَأَنْذِرْ

عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} ^(١) جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد

المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً،

الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس،

فأمر علياً برجل شاة فأدمها ثم قال : ادنوا باسم الله فدنا القوم عشرة

عشرة فأكلوا حتى صدروا،

ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم : اشربوا باسم الله،

فشرب القوم حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال : هذا ما يسحركم به

الرجل،

فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ فلم يتكلم.

ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا بني عبد المطلب إنني أنا

النذير إليكم من الله سبحانه والبشير لما يجيء به أحد منكم،

جئتكم بالدنيا والآخرة فأسلموا وأطيعوني تهتدوا،

ومن يواخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي،

وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟

فسكت القوم،

وأعاد ذلك ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم،

ويقول علي : أنا فقال : أنت فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب :
أطع ابنك فقد أمر عليك^(١).

رابعاً : الولاية بعد هجرة النبي إلى المدينة .

خامساً : نزول آية التبليغ ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴾^(٢) .

الثاني : يوم غدیر خم ، وهو على شعب :

الأولى : موضع البيعة .

الثانية : مناداة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالولاية لعلي .

الثالثة : نص خطبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدیر

خم .

الرابعة : بيعة أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي يوم

غدیر خم وهن أول من بايع .

الخامسة : بيعة الصحابة للإمام علي بالولاية .

الثالث : الصحابة الذين ذكروا بيعة الغدير .

الرابع : ترجمة رجال سند حديث الغدير .

الخامس : امتناع حديث الغدير عن المذهبية والطائفية .

السادس : تعدد معاني لفظ (المولى) لأنه من المشترك اللفظي .

وأخرج حديث غدیر بطرق كثيرة عن عدد من الصحابة منهم :

(١) الكشف والبيان ٤٤٧/٩ .

(٢) سورة المائدة ٦٧ .

الأول : الإمام علي عليه السلام.

الثاني : عمر بن الخطاب .

الثالث : زيد بن أرقم ، وحديث زيد بن أرقم أخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ومراده من الشيخين مسلم والبخاري أي أن اسناده وفق الإسناد في كتابيهما.

الرابع : أبو هريرة الذي (قال : لما كان يوم غدیر خم وهو يوم ثمانی عشر من ذي الحجة ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من كنت مولاه فعلي مولاه . فأنزل الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١) ^(٢)).

الخامس : أبو سعيد الخدري الذي ذكر في قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٣) ، إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسيره إلى حجة الوداع. ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس.

قلت : وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العيدي، عن أبي سعيد الخدري؛ أنها أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدیر خم حين قال لعلي : من كنت مولاه فعلي مولاه^(٤).

السادس : عبد الله بن مسعود .

السابع : بريدة الأسلمي .

(١) سورة المائدة ٣.

(٢) الدر المنثور ٣/٣٢٣.

(٣) سورة المائدة ٣.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/٢٨.

الثامن : البراء بن عازب الذي قال : لما نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع كنا بغدير خم فنأدى إن الصلاة جامعة وكسح رسول الله عليه الصلاة والسلام تحت شجرتين وأخذ بيد علي ، فقال : أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم .

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : أأنت أولى بكل مؤمن من نفسه .

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

قال : فلقية عمر فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة^(١) .

التاسع : عمار بن ياسر إذ أخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عنه أنه (وقف بعلي سائل وهو راکع في صلاة تطوع ، فنزع خاتمه فأعطاه السائل ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلمه ذلك ، فنزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(٢) .

فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه ، ثم قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٣) .

وفي صحيح مسلم ورد حديث غدير خم ، إذ قال يزيد بن حيان : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله صلى الله

(١) الكشف والبيان ١٣١/٥ .

(٢) سورة المائدة ٥٥ .

(٣) الدر المنثور ٤٠٤/٣ .

عليه وآله وسلم ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا .

حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوني .

ثم قال قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب .
وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم .

قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي .

فقال له حصين ومن أهل بيته ، يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته .
قال : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده .
قال وهم ، قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة ، قال نعم^(١) .

وفي الخصائص للنسائي ورد بالإسناد عن زيد بن ارقم قال : لما رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل غدیر خم^(٢) أمر

(١) صحيح مسلم ٤/٨٧٣ .

(٢) سمي غدیر خم لأنه شديد الوخم ، قال الأصمعي : لم يولد في غدیر خم أحد فعاش إلى أن يحتلم إلا أن يتحول عنه ، ولكن إذا كان من يولد عند هذا الغدير يغادره ، فكيف تكون حياة وسكن فيه ، إلا أن تأتي جماعة أخرى للسكن فيه .

بدوحات^(١) فقممن^(٢) ثم قال : كأنني دعيت فأجبت واني تارك فيكم الثقلين احدهما أكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

ثم قال ان الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن .

ثم انه اخذ بيد علي عليه السلام فقال : من كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

فقلت لزيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

فقال : وانه ما كان في الدوحات احد إلا رآه بعينه وسمعه باذنيه^(٣) .

عن الإمام جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم ، نادى بالناس فاجتمعوا ، فأخذ بيد علي فقال : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ .

فشاع ذلك وطار في البلاد ، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان القهري فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ناقة له حتى أتى الأبطح ، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها .

ثم أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في ملأ من أصحابه .

فقال : يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك .

وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك .

وأمرتنا بالزكاة فقبلنا ، وأمرتنا بالحج فقبلنا .

وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا .

(١) الدوحات : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة ، من أي شجر كان .

(٢) قممن : أي كسحن .

(٣) النسائي / خصائص علي ٩٣/١ .

ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا ،
وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله تعالى .
فقال : والذي لا إله إلا هو هذا من الله فولّى الحرث بن النعمان يريد
راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقوله حقاً فأمطر علينا حجارة من
السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم .

فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره
فقتله ، وأنزل الله سبحانه ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ (١)(٢) .
وقال الطبري (ذكر تأييد الله عزوجل نبيه بعلي عليهما السلام) عن ابي
الخميس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اسرى بي إلى
السماء فنظرت إلى ساق العرش الايمن فرأيت كتابا فهمته محمد رسول الله
أيدته بعلي ونصرته به) (٣) .

ومحب الدين الطبري (٦١٥-٦٩٤) هجرية ، ولد وتوفي في مكة ، وكان
يعد في زمانه (الفقيه الشافعي).
أجاز له جماعة، وسمع الكثير، وحدث وتفقه، وبرع في المذهب،
ورحل وكتب وحصل ، وأفتى ودرس) (٤) .

وأخرج احمد في المناقب (ذكر ان الله عزوجل جعل ذرية نبيه صلى الله
عليه وآله وسلم) في صلب علي عليه السلام قوله صلى الله عليه وآله وسلم
(أنت أخي وأبو ولدي).

وعن ابن عباس قال : كنت أنا والعباس جالسين عند رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم إذ دخل علي بن أبي طالب فسلم فرد عليه رسول الله

(١) سورة المعارج ١-٢ .

(٢) الكشف والبيان ٣٦٦/١٣ .

(٣) ذخائر العقبى ١/٦٩ .

(٤) المنهل الصافي ١/٩٧ .

صلى الله عليه وآله وسلم السلام ، وقام إليه وعانقه وقبل بين عينيه وأجلسه على يمينه.

فقال العباس يا رسول الله : أتحب هذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يا عم والله لله أشد حبا له مني ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا) اخرجه ابو الخير الحاکمي في الاربعين.

(ذكر انه من كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مولاه فعلي مولاه) عن البراء بن عازب قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح^(١) لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة فصلى الظهر وأخذ بيد علي وقال أستم تعلمون انى أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى فأخذ بيد علي. وقال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

قال فلقية عمر بعد ذلك فقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه في المناقب من حديث عمر وزاد بعد قوله وعاد من عاداه وانصر من نصره وأحب من أحبه. قال شعبة أو قال وأبغض من بغضه.

وعن زيد بن أرقم قال استنشد على بن أبى طالب الناس فقال أنشد الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقام ستة عشر رجلا فشهدوا.

(١) أي تم تنظيف وتعديل المكان.

وعن زياد بن أبي زياد قال سمعت علي بن أبي طالب ينشد الناس فقال أنشد الله رجلا مسلما سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدیر خم ما قال فقام اثنا عشر بدریا فشهدوا.

وعن عمر وقد جاءه أعرابيان يختصمان فقال لعلي اقض بينهما يا أبا الحسن فقضى علي بينهما.

فقال أحدهما هذا يقضي بيننا فوثب إليه عمر وأخذ بتلبیبه .

وقال ويحك ما تدري من هذا هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن. أخرجه ابن السمان في كتاب الموافقة.

وعن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (ان عليا مني وانا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي) ^(١) أخرجه أحمد والترمذي وقال حسن غريب وابو حاتم.

وعن بريدة انه كان يبغض عليا فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم (تبغض عليا قال نعم قال لا تبغضه وان كنت تحبه فازدد له حبا قال فما كان أحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إلي من علي.

وفي رواية انه قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا تقعن يا بريدة في علي فإن عليا مني وأنا منه وهذا وليكم بعدي) ^(٢).

وعن أبي رافع قال لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أحد ، قال جبريل عليه السلام يارسول الله ان هذه لهي المواساة ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه مني وانا منه فقال جبريل عليه السلام ، وانا منكما يا رسول الله. أخرجه احمد في المناقب.

(١) مسند أحمد ٤٠/٤٠١.

(٢) السنن الكبرى / النسائي ٥/١٣٣.

ولما كان ليلة يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من يستسقى لنا من الماء فأحجم الناس فقام علي فاحتضن قربة فأتى بثراً بعيدة القعر مظلمة فأنحدر فيها فأوحى الله عز وجل إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل تأهبوا لنصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحزبه فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من سمعه فلما حاذوا بالبئر سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً، أخرجه أحمد في المناقب .

وعن أبي الخميس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أسرى بي إلى السماء فنظرت إلى ساق العرش الايمن فرأيت كتاباً فهمته محمد رسول الله أيده بعلي ونصرته به)^(١).

لقد أنعم الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بحجة الوداع ، وقد استتب الأمن في ربوع الجزيرة ، وسار الناس في الجادة العامة بين المدن بأمان ، ويقفون متراسين في الصلاة جماعة وفراداً ، شاكرين لله عز وجل نعمه وفضله ولتكون أيام الإيمان أعياداً وسعادة وغبطة ، وفيها نبذ للإرهاب ، ومنع من قتل الناس بغير حق .

لقد تفضل الله عز وجل وجعل أياماً مخصوصة أعياداً ، وفيه دعوة عامة لكل مسلم ومسلمة ، وفي كل زمان ومكان بالتسامح والتصالح والوفاق ، ونبذ العنف .

قانون قول الحمد لله منسأة في الأجل

الحمد لله الذي جعل الدنيا دار البشارة والإنذار ، يطرأ كل فرد منهما على الإنسان ، وكل فرد من الحمد لله تقريب للبشارة ، وإرجاء لموضوع

الإندار ، لذا تفضل الله عز وجل على المسلمين والمسلمات وجعل كل فرد منهم يتلو سبع عشرة مرة في اليوم قول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) .
ولم تقف الآية عند ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إنما ذكرت الربوبية المطلقة لله عز وجل ، وفيه مسائل :

الأولى : إرادة الوقاية من شرور الخلائق .

الثانية : اللجوء إلى الله عز وجل من شر فسقة الجن والإنس .

الثالثة : التضرع إلى الله بالإقرار بربوبيته وملكه للخلائق ، وعالم

الأكوان للكفاية منها ، لذا قال سبحانه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٢) .

الرابعة : قول العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) شهادة تسمعها

الكائنات لإرادة سلامته منها ورجاء خيرها ، فتسمع السموات قول ﴿الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) ، وتنزل الغيث على أهل الأرض وتشفع له بخصوص

ذوق الموت ومضاعفة الأجر ، ويسمعها الكويكب الصغير ، فيمتنع عن

السقوط في الأرض وإحداث تلف كبير .

الخامسة : تسمع الملائكة قول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيمثلون غبطة

بذكر وعبادة الإنسان ويستحضرون احتجاج الله عز وجل عليهم ﴿إِنِّي

(١) سورة الفاتحة ٢ .

(٢) سورة الزمر ٣٦ .

(٣) سورة الفاتحة ٢ .

(٤) سورة الفاتحة ٢ .

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ عندما احتجوا على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ﴿٢﴾ ، مع أنه يفسد فيها ويسفك الدماء .

ومن أسرار نزول سورة الفاتحة وفريضة الصلاة في مكة قبل الهجرة أنها مقدمة لنزول الملائكة مدداً لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، إذ واظبوا وألحوا على تلاوة سورة الفاتحة كل يوم ، والإجهار بالحمد لله ، والإقرار بأنه رب العالمين ، وأنه القادر على الحيلولة بين الكفار والنصر ، فأنزل الله سبحانه الملائكة مدداً لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والملائكة من العالمين الذين تذكروهم آية الحمد .

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ﴿٣﴾ على وجوه ذات صبغة القانون :

الأول : قانون ولقد نصركم رب العالمين بيدر وأنتم أذلة .

الثاني : قانون مقاليد الأمور وعنصر ومادة النصر أو الهزيمة بيد الله رب العالمين .

الثالث : قانون ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ﴾ رحمة بالعالمين .

ومنهم كفار قريش أنفسهم ، فلم تمر الأيام والليالي حتى دخلوا الإسلام .

قانون سلامة الأرض بفضل الله

قال تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿١﴾ .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٣ .

الحمد لله الذي يحب أن يحمد ، ويقرب الناس إلى حمده وشكره
والثناء عليه بتوالي النعم ، وحضور البراهين التي تدل على عظيم قدرته
﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

والآية أعلاه حكاية عن يوسف وشكره لله على تعدد النعم منها
خروجه من السجن ومجيئه الى مصر وتولية الوزارة.

الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض ، ولو صار الناس
يخشون وقوعها لاحتاجوا إلى أعمدة على سعة الأرض وبين كل عمود
وعمود نحو بضعة امتار فيصدون عاجزين عن الحركة ، كما أنهم لا
يقدرون على النفقة على تلك الأعمدة ، قال تعالى ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ
عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢)، والقيد الأخير إنذار
للناس ودعوة للشكر لله على هذه النعمة من أجل إستدامة النظام الكوني
العام الشامل للعالم العلوي والسفلي ، والمنع من إنحلال السماء ووصول
الفساد إليها.

وتدل خاتمة الآية أعلاه وبيان رأفة ورحمة الله عز وجل بالناس على أن
ملكيته المطلقة للسماوات والأرض حفظ لها ، لا يقدر على هذا الحفظ إلا
هو سبحانه.

ولو أوشك جرم سماوي كبير أن يقع على الأرض بسبب تصاعد
الأبخرة أو بفساد ذاتي ، ولو كان حجمه أكبر من الأرض ويأتي على الحياة
فيها فهل يستطيع أهل الأرض نشر منظومة صاروخية لدفعه.

(١) سورة الحج ٥٦.

(٢) سورة يوسف ١٠٠.

(٣) سورة الحج ٦٥.

الجواب لا ، وإن إتحدت الدول والأمم ونسوا الخلافات التي بينهم ،
ولصارت الأسلحة التي يخزنون عبأ عليهم خاصة النووية ، ولعجلوا بتلفها ،
وقد مرت قبل شهر فاجعة مرفأ بيروت وكيف أثر إنفجار أطنان من نترات
الامونيوم بدمار للبلدة.

أسمع في هذا الزمان عن افلام خيال علمي وفضائي والتكنولوجيا
الحديثة والمستقبلية فليكن منها تصور سقوط كوكب أو شطر منه فمثلاً
كوكب المشتري واسمه بالإنكليزية (JUPITER) أكبر كواكب المجموعة
الشمسية ويساوي حجمه (١٣٠٠) ضعفاً حجم كوكب الأرض.

خاصة وأن كوكب المشتري يتصف بأنه عاصف وفوضوي فرياحه
عاصفة تصل سرعتها إلى أكثر من ٥٠٠ كم في الساعة عند خط الإستواء.

ولا تصل النوبة إلى احتمال وقوع كواكب كبيرة ، إنما يدبّ الخوف من
إصطدام بعض الكويكبات الصغيرة بالأرض والتي تسير بسرعة فائقة .

فاذا سقط جرم سماوي قطره ١٠٠ م على الأرض وسقط في المحيط فانه
يؤدي إلى موجة تسونامي ، وإلى الآن ليس من تقنية تمنع من اصطدام
محتمل للكويكبات بالأرض ، وينشغل علماء الفضاء باكتشاف مخاطر قرب
بعض الكويكبات من الأرض ، وهذه الظاهرة قديمة قدم الإنسان ، ولكن
لم يكن الإنسان يلتفت إليها توكلاً على الله في حفظ الأرض وما عليها .

ومن فضل الله عز وجل أن شظايا الكويكبات تنفجر في الغلاف الجوي
قبل أن تصل إلى الأرض .

ويخشى علماء الفضاء وقوع اصطدام كبير لبعض الكويكبات بالأرض
من غير أن يحددوا موضعه .

كما ينشغل بعض علماء الفلك بمراقبة الجرم السماوي (أومواموا)
الذي هو غريب في حركته ومساره ، ويحتمل بعضهم بأنه جسم اصطناعي
ومركبة فضائية من حضارة فضائية خارج المجموعة الشمسية ، ولكن

التسليم بأنه في السماء من ملايين السنين يدفع هذا الإحتمال ، إذ أن أسرار الخلق أعم من أن يحيط بها البشر حتى مع إرتقاء العلوم وتطوير تلسكوب فضائي للإنذار المبكر ، قال تعالى ﴿إِن نَّشَأْ نُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِم كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (١).

وهناك مسألتان :

الأولى : لماذا لم تذكر الآية إمسك السماء من عند الله من غير استثناء الإذن منه تعالى .

الثانية : لماذا ذكره ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ .

أما الجواب على الأولى فليبان أن السموات منقادة لأمر الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٢) ولتذكير الناس بفضلته تعالى برفع السموات من غير عمد ، واستدامة هذا لرفع بمشيئة من عند الله عز وجل في كل آن ، فهو سبحانه لم يخلق الخلق والعوالم ويتركها وشأنها تجري وتتصب بنظام دقيق ، إنما مشيئته حاضرة في كل لحظة ليتوجه الأمر منه تعالى في جريان الكواكب والأفلاك وهو لا يتعارض مع الأمر المستديم منه سبحانه لها لتجري وتسير بانتظام.

والمراد من لفظ باذن الله بيان أن البشر يعجزون عن إنزال الكواكب على الأرض ، وهو من أسرار التباين بين الإذن والمشيئة الإلهية في القرآن. فتعليق العمل على المشيئة الإلهية عندما يقوم الإنسان بالعمل ورجاء فضل الله بالمدد واللطف والإعانة ، كما في قوله تعالى ﴿إِنِ الْبُرْشَابَةَ عَلَيْنَا

(١) سورة سبأ ٩.

(٢) سورة فصلت ١١.

وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١﴾، وقوله تعالى ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِأَذْنِ اللَّهِ وَاللَّهِ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٢﴾، وقوله تعالى ﴿فَهَرَمُوهُمْ بِأَذْنِ اللَّهِ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣﴾، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ ﴿٤﴾، وقوله تعالى ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٥﴾.

كما وردت آيات أخرى تفيد أن السماء تقوم بأمر الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿٦﴾، وقال تعالى ﴿لِتَجْرِيَ الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَتَسْبُغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧﴾.

ليبان عدم التعارض بين الأمر والإذن الإلهي وفيه نكتة وهي قد يدخل الإذن الإلهي على الأمر المستديم فيقطعه فاذا كان كويكب مستقراً في مكانه بأمر الله ، قد يأذن الله عز وجل بمغادرته مكانه ، ويمثل تهديداً للأرض .

(١) سورة البقرة ٧٠.

(٢) سورة البقرة ٢٤٩.

(٣) سورة البقرة ٢٥١.

(٤) سورة يوسف ٩٩.

(٥) سورة الصافات ١٠٢.

(٦) سورة الروم ٢٥.

(٧) سورة الجاثية ١٢.

وتدعو المخاطر الفضائية الأعم إلى العناية بالقضاء الخارجي ، وإلى التعاون في الأبحاث والعلوم وتبادل المعلومات والإكتشافات في المقام.

قانون منافع ذكر الموت

من خصائص ذكر الموت أنه باعث على التوبة والندامة وحبس الجوارح عن الظلم والتعدي .

لقد أراد الله عز وجل للمسلم بآية البحث استحضار مرارة الموت ليكون هذا الإستحضار زاجراً عن الإرهاب والقتل العشوائي .

وقد يقدم الإنسان على الظلم والتعدي ، وعندما يبلغ مرتبة استحضار الموت يندم كثيراً على الذي فعله ، لذا تفضل الله عز وجل وجعل أحكام

الكفارة على القتل ، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِخْطَاءً

وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ

كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ

شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ لبيان قانون وهو

أن استحضار الإنسان للموت مناسبة للتدارك ، واللجوء إلى الإستغفار ودفع الكفارة ، وقضاء العبادات التي في ذمته .

و(عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَيَكْرَهُ قَلَّةَ الْمَالِ وَقَلَّةَ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ) (٢).

ولابد من استحداث علوم في باب التذكير بالموت في القرآن من جهات:

(١) سورة النساء ٩٢.

(٢) مسند أحمد ١١٩/٤٨.

الأولى : إحصاء آيات القرآن التي تذكر بالموت .

الثانية : قانون الصلة بين آيات التذكير بالموت.

الثالثة : قانون دلائل الإنذار في آيات الموت .

الرابعة : قانون معاني البشارة في آيات الموت .

الخامسة : قانون منافع ذكر الموت في الحياة الدنيا .

السادسة : قانون المنافع الآخروية لذكر الموت .

لقد أخبرت آية البحث عن قانون من الإرادة التكوينية يدل على ضعف الإنسان ، وملازمة الحاجة له مع احتمال مغادرته الدنيا في كل ساعة ، إلى أن تأتي الساعة التي تنقطع معها صلته مع الدنيا .

السابعة : قانون ذكر الموت قصر للأمل وترك للهث وراء كل فان ، قال

تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَمُوا أَمْوَالَكُمُ وَلَا أَوْلَادَكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(١) (عن أبي الدرداء قال: من أكثر ذكر الموت قل فرحه، وقل حسده)^(٢).

الثامنة : ذكر أسماء الموت ودلالاتها ، والنسبة بين أسماء الموت في اللغة

وبين أسمائه في القرآن عموم وخصوص مطلق ، فأسمائه في اللغة أكثر ، ومن أسمائه في القرآن :

(١) سورة المنافقون ٩-١١.

(٢) حلية الأولياء ١/١١٧.

الأول : الوفاة ، قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عُلُقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَلَتَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) وقال تعالى ﴿ وَلَوْ نَرَىٰ إِذِ يُوَفِّي الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ ^(٢).

الثاني : المنون ، لقد كان كفار قريش يتربصون بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الله عليه وآله وسلم ويتوعدونه ويهددونه بجسسه وقتله ، ويتنظرون موته ، وإنقطاع التبليغ ، إذ ورد في التنزيل ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾ ^(٣) إذ قالوا ترصوا به الموت (حتى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة، وإنما هو كأحدهم) ^(٤).

(عن ابن عباس في قوله { ريب المنون } قال : الموت) ^(٥).

الثالث : الأجل : وبلوغ الأوان الذي يكون فيه قبض الموت ، وبلفظ الأجل يستدل الملائكة ، كما ورد عن ابن عباس (قال : سألت كعباً عن رفع إدريس ﴿ مكاناً علياً ﴾) ^(٦).

فقال : كان عبداً تقياً رفع له من العمل الصالح ما رفع لأهل الأرض في زمانه ، فعجب الملك الذي كان يصعد عليه عمله ، فاستأذن ربه قال : رب ، ائذن لي آتي عبدك هذا فأزوره ، فأذن له ، فنزل قال : يا إدريس ،

(١) سورة غافر ٦٧.

(٢) سورة الأنفال ٥٠.

(٣) سورة الأنفال ٥٠.

(٤) الكشف والبيان ٣٨/٦.

(٥) الدر المنثور ٣١٢/٩.

(٦) سورة مريم ٥٧.

أبشر ، فإنه رفع لك من العمل الصالح ما لا رفع لأهل الأرض ، قال : وما علمك .

قال إني ملك .

قال : وإن كنت ملكاً .

قال : فإني على الباب الذي يصعد عليه عملك .

قال : أفلا تشفع إلى ملك الموت ، فيؤخر من أجلي لأزداد شكراً وعبادة .

قال الملك { لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها }^(١) قال : قد علمت ، ولكنه أطيب لنفسي ، فحملة الملك على جناحه ، فصعد به إلى السماء فقال : يا ملك الموت ، هذا عبد تقي ، نبي رفع له من العمل الصالح ما لا يرفع لأهل الأرض ، وإني أعجبني ذلك ، فاستأذنت ربي عليه ، فلما بشرته بذلك ، سألتني لأشفع له إليك لتؤخر له من أجله؛ ليزداد شكراً وعبادة^(٢) .

الرابع : الهلاك : لبيان أن الموت خمود للبدن ، وإنقطاع عن عالم الدنيا ، فمن يخشى أحداً يطمئن عند موته لأنه هلك وانقطع أثره ، وكذا من يريد أن ينتقم من شخص ويبلغه موته ، وفيه دعوة للإستعداد للموت ، والتواضع في الدنيا التي تنقطع بالهلاك .

وقد وردت مادة (هلك) في القرآن ثماني وستين مرة ، منها ثلاثة بلفظ

﴿هلك﴾ بمعنى الموت :

الأولى : قال تعالى ﴿إِنَّ أَمْرُؤَ هَٰلِكَ لَيْسَ لَهُ وَاكِدٌ وَكَأَنَّهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ

يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكِدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا

(١) سورة المنافقون ١١ .

(٢) الدر المنثور ٤٦٩/٦ .

إِخْوَةٌ رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ النَّاتِمِينَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

الثانية : قال تعالى ﴿لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا﴾ (٢).

الثالثة : ورد بخصوص يوسف عليه السلام ، قال تعالى ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ

قَلْبُكَ لَمَّا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ (٣).

ولعل فيه إشارة إلى إنقطاع وزارة النبي يوسف عليه السلام وبداية استضعاف بني إسرائيل في مصر.

وقد يرد لفظ الهلاك في القرآن بمعنى العذاب ، قال تعالى ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا

مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ (٤) وبمعنى الفناء ، قال تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا

فَانٍ * وَيَتَّقِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٥).

ويأتي بمعنى الفساد ، قال تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ

فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٦).

وهل لتعدد أسماء الموت من منافع ، الجواب نعم ، لبيان حضوره في آيات القرآن وفي عالم الألفاظ ودلالاتها على المعاني على نحو الحقيقة أو المجاز .

(١) سورة النساء ١٧٦.

(٢) سورة الأنفال ٤٢.

(٣) سورة غافر ٣٤.

(٤) سورة الشعراء ٢٠٨.

(٥) سورة الرحمن ٢٦-٢٧.

(٦) سورة البقرة ٢٠٥.

فيذكر القرآن والسنة بالموت ، كما أن الموت ذاته يذكر بنفسه ، ويدعو للتدبر في ماهيته ، وقد ورد ذكر ﴿مَلِكُ الْمَوْتِ﴾ مرة واحدة في القرآن بقوله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(١).
وملك الموت هو عزرائيل ومعناه بالعبرية الذي يساعد الله.

الحسين (ع) سيد شباب أهل الجنة

لقد أشرقت الأرض في الثالث من شعبان من السنة الرابعة للهجرة بولادة الإمام الحسين عليه السلام ليثبت نهج الإصلاح والعدل ، إذ سر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي اختار له اسم الحسين ، ويذكره بعض المؤرخين باسم حسن وحسين من غير لام التعريف ، وأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أذنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى ، و(عن ابن عباس وعق عنه في اليوم السابع كبشين ، وكذا عن الحسن أي ذبح عنه عقيقتين كما في سنن النسائي)^(٢) والكبش ذكر الضأن .
لتكون سنة عند المسلمين إلى يوم القيامة.

وروى الترمذي عن أنس بن مالك سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي أهل بيتك أحب إليك ، قال الحسن والحسين ، وكان يقول لفاطمة أدعي لي ابني فيشمهما ويضمهما إليه.
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في الحسن والحسين : اللهم اني احبهما فاحبهما وأحب من يحبهما^(٣).

وعن أبي هريرة : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا عاتقه ، وهو يلثم هذ مرة ، وهذا مرة

(١) سورة السجدة ١١.

(٢) سنن النسائي ٧٦/٣.

(٣) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١١٦/١ .

حتى انتهى إلينا ، فقال : من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أحب الحسن والحسين أحبته ، ومن أحبته أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الجنة ، ومن أبغضهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله النار.

و(عن زيد بن أرقم قال أني لعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ مرّ علي وفاطمة والحسن والحسين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا حرب لمن حاربهم سلم لمن سالمهم)^(١).

ورورى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من أراد أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة سوى عيسى ويحيى ، فلينظر إلى الحسين بن علي^(٢).

لقد أخبر الله عز وجل عن علة خلق الناس بقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) ، وتبين بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأذى الذي لاقاه من الكفار مع تزاخم المعجزات بين يديه أن تحقيق العبادة في الأرض يلزم الصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لقد كتب الله عز وجل الموت على كل إنسان ، ولنا في مصيبة فقد رسول الله أسوة وموعظة ، قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٤).

وعن الإمام الحسين بن علي قال : أتيت على عمر بن الخطاب وهو على المنبر فصعدت إليه فقلت انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك فقال

(١) ابن عساكر / تاريخ دمشق ٢١٩/١٣.

(٢) البيهقي / لباب الأنساب ١٢/١.

(٣) سورة الذاريات ٥٦.

(٤) سورة الزمر ٣٠.

عمر لم يكن لأبي منبر وأخذني وأجلسني معه فجعلت أقلب حصى بيدي فلما نزل انطلق بي إلى منزله .

فقال لي من علمك ، فقلت : والله ما علمنيه أحد .

قال : يا بني لو جعلت تغشانا .

قال فأتيته يوماً وهو خال بمعاوية وابن عمر بالبواب فرجع ابن عمر

ورجعت معه .

فلقيني بعد فقال لم أرك .

فقلت يا أمير المؤمنين إني جئت وأنت خال بمعاوية وابن عمر بالبواب

فرجع ابن عمر ورجعت معه فقال أنت أحق بالإذن من ابن عمر وإنما أنبت

ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم^(١) .

ماذا على يزيد بن معاوية لو ترك الحسين ولم يكرهه على البيعة .

ولد يزيد بن معاوية في (٢٥) من ذي الحجة من السنة (٣٥) للهجرة أيام

عثمان بن عفان ، فلم يسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الأحاديث النبوية التي تدل على عصمة الحسين وعظيم منزلته في الإسلام

ولزوم حبه وعدم معاداته ، ولكنه لا بد وأن سمعها من الصحابة .

وفي اليوم (١٥) من شهر رجب من السنة الستين من الهجرة تولى يزيد

الحكم بعد أبيه معاوية الذي هو بالأصل من الطلقاء ، وعمر يزيد آنذاك

(٣٤) سنة .

مع وجود الصحابة وأهل البيت ، وعدم الأهلية الشخصية له ، ومنها

إصراره على أخذ البيعة من الحسين .

قال ابن الأثير : ولم يكن ليزيد همة إلا بيعة النفر الذين أبوا على

معاوية بيعته ، فكتب إلى الوليد^(٢) يخبره بموت معاوية ، وكتاباً آخر صغيراً

(١) تاريخ دمشق ١٤/١٧٦ .

(٢) وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ولاء عمه معاوية على المدينة .

فيه: أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام.

فلما أتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه وبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه. وكان مروان عاملاً على المدينة من قبل الوليد، فلما قدمها الوليد كان مروان يختلف إليه متكارهاً، فلما رأى الوليد ذلك منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه ولم يزل مصارماً له حتى جاء نعي معاوية، فلما عظم على الوليد هلاكه وما أمر به من بيعة هؤلاء النفر، استدعى مروان فلما قرأ الكتاب بموت معاوية استرجع وترحم عليه، واستشاره الوليد كيف يصنع.

قال: أرى أن تدعوهم الساعة وتأمروهم بالبيعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموته وثب كل رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، أما ابن عمر فلا يرى القتال ولا يجب أن يلي على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفواً.

فأرسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو غلامٌ حدثٌ، إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس فقال: أجييا الأمير. فقالا: انصرف، الآن نأتيه. وقال ابن الزبير للحسين: ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟

فقال الحسين: أظن أن طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظن غيره، فما تريد أن تصنع؟

قال الحسين: أجمع فتياي الساعة ثم أمشي إليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه. قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت. قال: لا آتبه إلا وأنا قادر على الامتناع^(١).

ويعلم مروان أن كلامه ليس صحيحاً ، ولكنه يريد الفتنة. واقعة كربلاء لواء ثورة في حقوق الإنسان ودعوة للسلم المجتمعي ، ورفض الحكم الظالم المخالف للقوانين والأعراف الإسلامية. ولم يطلب الحسين عليه السلام الثورة ، إنما خرج إلى مكة في ٢٨ من رجب من السنة الستين للهجرة وبقي فيها إلى الثامن من شهر ذي الحجة أربعة أشهر وبضعة أيام وحينما علم أهل الكوفة بأن الإمام الحسين عليه السلام امتنع عن بيعة يزيد وأنه أكره على ترك المدينة ، وفي خطر على حياته في مكة صارت كتب رؤسائهم ورجالاتهم تصل إليه يدعونه للقدوم إليهم ، وقال بعضهم أنها (١٥٠) كتاباً ، وبعض نصوصها موجود وثابت . فبعث ابن عمه مسلم بن عقيل سفيراً لأهل الكوفة الذي رأى إقبال الناس عليه جماعات ليتعهدوا للحسين عليه السلام بالتأييد.

وأمر الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل (أن ينزل على هانئ بن عروة المرادي، وينظر إلى اجتماع الناس عليه، ويكتب إليه بخبرهم، فقدم مسلم الكوفة مستخفياً، وأتته الشيعة، فأخذ بيعته، وكتب إلى الحسين: إنني قدمت الكوفة، فبايعني منهم - إلى أن كتبت إليك - ثمانية عشر ألفاً بالدعوة السرية، فعجل القدوم، فإنه ليس دونها مانع. فلما أتاه كتاب مسلم أخذ السير حتى انتهى إلى زباله^(٢)، فجاءت رسل أهل الكوفة إليه بديوان فيه أسماء مئة ألف^(٣)).

(١) الكامل في التاريخ ١٥١/٢.

(٢) زباله : وكانت عامرة واسعة الماء .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٣٠/٨ .

لم تكن هناك تكافؤ في معركة كربلاء إذ كان عدد جيش يزيد ثلاثين ألف ، ومنهم من قال ان عددهم أكثر من ضعف هذا العدد ، في الوقت الذي كان فيه عدد أصحاب الحسين نحو مائة وكانوا نحو خمسمائة ولكن تفرق وانسحب عدد منهم بعد بلوغهم مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ، ومنهم من غادر ليلة عاشوراء وقد أذن لهم الحسين عليه السلام .
لقد منعت ثورة الحسين من التماذي والتفريط بأحكام الإسلام .
واختلف في عدد أصحاب الحسين عليه السلام يوم كربلاء ولكن المشهور هو (٧٢) وبه رواية أبي مخنف عن الضحاك بن عبد الله ، (٣٢) منهم خيالة و(٤٠) رجالة .
وكان بنو هاشم من ذرية أبي طالب ومواليهم (٢٦) منهم مسلم بن عقيل .

وحتى عندما جمع جمع الحر بن يزيد الرياحي بالحسين عليه السلام وركبه ، عرض عليه الحسين عليه السلام أموراً :

الأول : أن يرجع من حيث أتى .

الثاني : الذهاب إلى يزيد .

الثالث : المغادرة إلى ثغر من ثغور المسلمين يدافع فيه عن الإسلام ، وتنقطع مسألة تجهيزه جيشاً ضد يزيد .

وكان الإمام الحسين عليه السلام لا يريد سفك الدماء ، وعن أنس بن الحارث قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن ابني هذا يعني الحسين يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره)^(١) .

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١/١٢١ .

فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء ، فقتل مع الحسين ، وقال بعضهم الحديث مرسل ، ومشهور الرجاليين قالوا بأن له صحبة وذكره في الصحابة منهم ابن السكن وابن منده وأبو نعيم وغيرهم .
 لقد كان خروج الحسين عليه السلام إلى مكة ثم إلى العراق رسالة للسلم ، ودعوة لتثبيت أحكام الشريعة ، وجعل موضوعية للصحابة وأهل البيت آنذاك في تنصيب الخليفة بملاك التقوى .

قانون آية البحث والدعاء

يبعث قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ المسلمين على الدعاء لطول العمر وإقترانه بالرزق الكريم ، وصرف ميتة السوء ، وهل تلاوة آيات الدعاء والرجاء وسؤال المغفرة في الصلاة تنفع العبد في طول عمره ، الجواب نعم .
 (عن الحسن بن الحسن قال: زوج عبد الله بن جعفر بنته، فخلا بها. قال الحسن: فلقيتها، فقلت: ما قال لك.

قالت : قال لي : يا بنية ، إذا نزل بك الموت ، أو أمر تفضعين به ، فقولي: لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين) (١).

وهل يمكن القول بقانون وهو : كل آية قرآنية تبعث على الدعاء ، الجواب نعم ، وهو من ذخائر القرآن ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حدّ ومطلع) (٢).

(عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: " إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حدّ مطلع ويروى لكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع) (٣).

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٩٢/٨ .

(٢) الكشف والبيان ٩٣/٢ .

وظاهر الآية هو لفظها ، أما باطنها فهو تأويلها ، أما معنى الحد فهو على وجوه :

الأول : لكل حرف موضوع يتعلق به .

الثاني : لكل حرف منتهى في الحكم .

الثالث : معنى ودلالة الحرف .

الرابع : مقدار الأجر والثواب .

الخامس : بعث الحرف القرآني على العمل بأحكامه .

السادس : للحرف معنى وأثر يمنع الإنسان عن تجاوز الحد ، وعن

الطغيان والغرور ، لذا أختتمت آية البحث بقوله تعالى ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

أما المطلع فالمراد منه ما يكشف من معانيه ، وما يكتب فيه من الثواب والضيء الذي ينيره للتالي والسامع للحرف .

ومن موارد الدعاء في آية البحث وجوه :

الأول : إخبار الآية عن حلول الموت دعوة للدعاء لإرجائه ، ليس

لذات الداعي بل لغيره أيضاً من أهله وأصحابه والمؤمنين .

الثاني : ذكرت آية البحث لفظ ﴿ ذَائِقَةٌ ﴾ وهو من الكلبي المشكك ، ومن

معانيه التباين كما في المذاق الحلو والمر ، ومرتبة الحلاوة أو المرورة .

الثالث : الدعاء لمضاعفة الأجر في الدنيا والآخرة ، واستيفائه تماماً

كاملاً .

معجزات موسى (ع)

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾^(١).

الأولى : معجزة العصا قال تعالى ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾^(٢).

وفي قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾^(٣)، قال ابن عباس : العصا أول آيات موسى وكانت من آس الجنة ، طولها عشرة أذرع بطول موسى ، قصد باب فرعون فألقى عليه الفرع ، فشاب فخضب بالسواد استحياء من قومه ، فكان فرعون أول من خضب بسواد^(٤) ومعجزة عصا موسى مصاحبة له ، وقد ضرب بها البحر الأحمر لينفرج له الماء ويعبر منه .

الثانية : معجزة بياض اليد عندما يخرجها من جيبه ، قال تعالى ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾^(٥).

الثالثة : الطوفان.

الرابعة : الجراد .

الخامسة : القمل .

السادسة : الضفادع .

السابعة : الدم .

(١) سورة الإسراء ١٠١.

(٢) سورة الاعراف ١٠٧.

(٣) سورة الاعراف ١١٧.

(٤) النكت والعيون ٧/٢.

(٥) سورة القصص ٣٢.

الثامنة : معجزة سنين القحط ونقص الزراعات إبتلاء لقول فرعون وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو لقريش بالهداية ، وحينما أسرفوا في قتل الصحابة دعا عليهم ليس بسنين موسى عليه السلام ، إنما بسنين يوسف إذ (قَتَّ فِي صَلَاةِ الْعَتَمَةِ^(١) شَهْرًا يَقُولُ فِي قُنُوتِهِ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَيَّ مُضِرَّ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ)^(٢).

التاسعة : انشقاق البحر الأحمر بضرب موسى له بالعصا ليعبر موسى وبنو اسرائيل.

لقد امتنع فرعون والملا من قومه عن التصديق بنبوة موسى عليه السلام مع مجيئه بالمعجزات وتجلي آية العصا ولم يكن موسى عليه السلام طالباً للحكم والسلطان ، فلو آمن فرعون برسالة موسى لبقى في ملكه وعرشه. فأرسل الله عز وجل عليهم المطر ثمانية أيام بلياليها مما أدى إلى الطوفان

(١) المراد صلاة العشاء والعتمة ظلمة الليل ، وقيل الثلث الأول من الليل.

والعتمة : عتمة الإبل عتمة الإبل، وهو رجوعها من المرعى بعدما تُمسي. وكان الأصمعي يقول: به سميت صلاة العتمة. ثم كثر ذلك حتى قالوا: أعتم الرجل بالشيء، إذا أبطأ به/ جمهرة اللغة ١/١٩٢.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإن اسمها في كتاب الله العشاء، وإنما يُعتم بحلاب الإبل. قوله إنما يُعتم بحلاب الإبل معناه: لاتسموها صلاة العتمة؛ فإن الأعراب الذين يجلبون إبلهم إذا أعتموا أي دخلوا في وقت العتمة، سمّوها صلاة العتمة، وسمّاها الله في كتابه : صلاة العشاء، فسمّوها كما سماها الله، لا كما سمّاها الأعراب / تهذيب اللغة ١/٢٥٠.

(٢) زاد المعاد ١/٢٦٩.

، ويدل عليه قوله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾^(١).

لقد أدرك قوم فرعون أن هذا الطوفان عقوبة ودعوة للهداية ، وهل كان موسى قد أنذرهم بأنه يحل بكم المطر المستمر والطفونان ، الأقرب نعم ، فقد ورد عن ابن عباس أنه (قال : أرسل الله على قوم فرعون الطوفان وهو المطر فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر ، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه فكشف عنهم ، فأثبت الله لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبتة قبل ذلك من الزرع والكلأ)^(٢).

إذ تتصف أرض مصر والسودان وهو ملك فرعون آنذاك بالخصوبة ، فلم يفوا لموسى ولم يأذنوا لبني إسرائيل بالخروج إنما صاروا أكثر حاجة إليهم لتسخيرهم للعمل في الزراعات والحراث والحصاد ، والصناعات المصاحبة للزراعة والترشحة عنها ، وخدمة المنازل ، فلم يكن آل فرعون يعملون بالفلاحة إنما هي وظيفة بني إسرائيل.

لقد غمر الفرح آل فرعون ، ورأوا معجزة أخرى لموسى عليه السلام وهي وقعت هطول الأمطار ومنع استمرار وزيادة الطوفان بدعائه ، وعندما رأوا وفرة الناتج الزراعي قالوا : هذا ما كنا نتمنى ، وامتنعوا عن إمضاء وعدهم لموسى ، عندئذ أرسل الله عز وجل عليهم الجراد .

والجراد جمع جرادة والاسم العلمي (LOCUSTA) ، وهي حشرة مهاجرة ذات ضراوة وتدمير ، والجراد من أشهر الآفات التي تغزو الناتج الزراعي منذ القدم ، وتحارب الإنسان في قوته وغذائه ، وللجراد آلاف الأنواع ومن مواطن الجراد الصحراوي السودان والجزيرة العربية ،

(١) سورة الاعراف ١٣٣.

(٢) الدر المنثور ١٩٠/٢.

وللجراد الصحراوي القدرة على الطيران والهجرة ، وقطع مسافات طويلة مع صغر جسم الجراد.

ويمكن لأسراب الجراد أن تطير لمسافة ١٥٠ كم في اليوم مع اتجاه الرياح ، وتضع الجراد الواحدة ٣٠٠ بيضة في مدة عمرها.

وتناول الجراد الواحدة كل يوم بمقدار وزنها وهو غرامان تقريباً ، وإذا حلّ سرب صغير في محلّ فانه يستهلك ما يعادل أكل نحو ثلاثة آلاف شخص.

فالجراد تهديد للأمن الغذائي ، وتجتهد الدول والأشخاص في مكافحته، ونزل بآل فرعون كابتلاء ، ولينغص عليهم فرحهم الذي جاء بسبب دعاء الرسول موسى وتأمين هارون بعد تعهدهم له بالأذن لبني إسرائيل بالخروج من مصر ، ويمكن القول أن آفة الجراد إنذار ورحمة لفرعون وقومه ولبني إسرائيل ، إذ أنه والظوفان برزخ دون هلاك فرعون وجنوده في البحر غرقاً.

أي أن الله عز وجل يتليهم بالمصائب العامة عندما يجحدون بشرائط النجاة من الهلكة العامة ، واقتران جحودهم بارادة البطش كما في لحوق فرعون وجنوده لبني اسرائيل مع أنه في الأصل قد وعد موسى عليه السلام على الإذن بهذا الخروج ، والأصل أنهم لا يحتاجون من فرعون الإذن فهم أحرار مستضعفون وليسوا عبيداً ، إذ كان أول من قدم منهم إلى أرض مصر هو النبي يوسف عليه السلام لتتغشى البركة أجيال بني إسرائيل ، إذ جاء بعده أبوه النبي يعقوب وأبناؤه ، وفي التنزيل ﴿وَرَفَعْنَا عَلَيْهِ عَلِيَّ الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ

أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بُنْيِي وَبَنِي إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾.

وعندما جاءت أسراب الجراد أدرك آل فرعون أنه يأتي على هذا الزرع الوفير الذي لم يروا مثله كثرة ، وكانهم على موعد معه فهرهوا الى موسى عليه السلام وقالوا له أذع لنا ربك يكشف عنا الجراد ، فنصدق بنبوتك ونستجيب لطلبك في إرسال بني إسرائيل معك .

فدعا موسى عليه السلام الله عز وجل فكشف عنهم أفواج الجراد ، وليس من السهل إنصرافها عن زروع وثمار كثيرة ، ولكنه دعاء النبي كريم الله والإستجابة من عند الله عز وجل ، ليفوز المسلمون بالإستجابة لقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٢).

ويرى آل فرعون وبنو إسرائيل هذه المعجزات فيزداد بنو إسرائيل إيماناً ويؤمن بعض آل فرعون لذا ورد في التنزيل ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبًا فَصَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٣).

وما إيمان آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون وقيامه بتعذيبها وقتلها ، وذكر مؤمن آل فرعون زوجة فرعون في القرآن من باب المثال وليس الحصر .

(١) سورة يوسف ١٠٠.

(٢) سورة غافر ٦٠.

(٣) سورة غافر ٢٨.

ولما صرف الله عز وجل جائحة الجراد عن آل فرعون وما تبقى من زروعهم قالوا لموسى كما ورد عن ابن عباس (قد بقي لنا ما هو كافينا فلن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بني إسرائيل) ^(١) .

وهل كانت هذه الآيات التسع قبل حادثة السحرة وإسلامهم أم بعدها ، الجواب هو الثاني ، فبعد تلك الحادثة ورؤية فرعون وقومه لمعجزة العصا وخشيتهم منها وعلى فرعون من موسى عليه السلام بأن يرسل معه بني إسرائيل وأخذ يماطله إلى أن جحد بوعده ، فأرسل الله تعالى هذه الآيات ، وإسلام السحرة معجزة أخرى لموسى عليه السلام .

فأرسل الله عز وجل عليهم القمل وهو الدبا فأخذ يأكل ما تركه الجراد ، وينفذ إلى المخزون منه .

والمراد من القمل هو حشرات صغيرة ليس لها أجنحة تزحف بارتال عظيمة ، ويحتمل :

الأول : أولاد الجراد مما لم تنبت أجنحته بعد .

الثاني : البراغيث .

الثالث : صغار القراد ويسمى الحثمان .

الرابع : القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة ، عن ابن عباس ^(٢) .

قيل أنه قمل الرأس ، إذ نفذ إلى ثيابهم وأمتلات منه (وروي أن موسى مشى بعصاه إلى كتيب أهيل فضربه فانتشر كله قملاً في مصر ، ثم إنهم قالوا ادع في كشف هذا فدعا ورجعوا إلى طغيانهم وكفرهم) ^(٣) .

(وعن محمد بن كعب القرظي قال : سألتني عمر بن عبد العزيز عن

الآيات التسع ،

(١) الدر المنثور ٤/٢٩١ .

(٢) المحرر الوجيز ٣/٨٤ .

(٣) المحرر الوجيز ٣/٨٤ .

فقلت : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات،
وعصا موسى ويده والطمس والبحر.

فقال عمر : وأنا أعرف إن الطمس إحداهن .

قال محمد بن كعب : إن رجل منهم كان مع أهله في فراشه وقد صار
حجرين .

وإن المرأة منهم لقائمة تختبز وقد صارت حجراً .

وإن المرأة منهم لفي الحمام وإنها تصير حجراً .

فقال عمر : كيف يكون الفقه إلا هكذا ثم دعا بخريطة فيها أشياء مما
كانت أصيبت لعبد العزيز بن مروان بمصر حين كان عليها من بقايا آل
فرعون فأخرج منها البيضة مشقوقة (قطعاً) وإنها لحجر وأخرج الجوزة
مشقوقة وإنها لحجر وإخرج أشباه ذلك من الفواكة وإنها لحجارة .

وأخرج دراهم ودنانير وفلوساً وإنها لحجارة. فعلى هذا القول يكون
الآيات بمعنى الدلالات والمعجزات.

وقال بعضهم : هي بمعنى آيات الكتاب. (١).

وهناك فرق بين تحول بعض الفاكهة والنقود إلى حجر وبين الطمس
(روى شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن غسان
المرادي : إن يهودياً قال لصاحبه : تعال حتى نسأل هذا النبي .

فقال الآخر : لا تقل نبي لأنه لو سمع صارت له أربعة أعين فأتياه
فسألاه عن هذه الآية { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } (٢) .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٧٦/٨.

(٢) سورة الإسراء ١٠١.

بالبريء إلى سلطان ليقبله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا يوم الزحف، وعليكم خاصة في اليهود أن لا يتعدوا في السبت.^(١)

والمقصود من صفوان بن غسان أعلاه هو الصحابي صفوان بن عسال .
ومال الرازي في تفسيره إلى الوجه الأخير أعلاه بخصوص الآيات التسعة ، وقال (وفي تفسير قوله تعالى ﴿تسع آيات بينات﴾ أقوال أجودها ما روي عن صفوان بن عسال)^(٢).

ومع الإختلاف في معنى القمل فإن الجمع بين الأقوال بخصوصه يدل على أنه هجم على محصول الحنطة بعد دوسها وحصادها وإحرازها في البيوت وظنوا أن المحصول السنوي صار بمأمن فلم يلتفتوا إلى وعدهم لموسى .

وعن ابن عباس (فأرسل الله عليهم القمل : وهو السوس الذي يخرج من الحنطة ، فكان الرجل يخرج بالحنطة عشرة أجرة إلى الرحا فلا يرد منها بثلاثة أقفزة ، فقالوا مثل ذلك ، فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل)^(٣).

لقد كان فرعون وقومه يتلون بالبلاء والضرر ويصارعون من أجل دفعه، ثم يلجأون إلى موسى ليدعو الله لهم ، فيرفعه الله ، وهل كانوا يظنون انقطاع هذه الآيات وما فيها من الضرر ، الجواب لا ، ولكنهم حريصون على عدم التفريط باليد العاملة الإسرائيلية ، إذ أن مصانعهم تتعطل وأراضيهم تصبح بوراً ، فليس من عدد كاف من الفلاحين عندهم ، وكان بنو إسرائيل يقومون رجالاً ونساءً بالخدمة المنزلية ، وجلب الماء من النهر.

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٧٦/٨.

(٢) تفسير الرازي ١٠/١٤٣.

(٣) الدر المنثور ٤/٢٩٠.

الرجال للرجال ، والنساء في البيوت ومخادع النساء ، ويقومون بتنظيف الطرق العامة ، وإعتاد آل فرعون على الحياة الرغيدة والترف وقلة العمل . وكان موسى عليه السلام يوماً (عند فرعون إذ سمع تقيق ضفدع من نهر فقال : يا فرعون ما تلقى أنت وقومك من هذا الضفدع؟ فقال : وما عسى أن يكون عند هذا الضفدع)^(١).

أي أن فرعون لا يعلم بالزجر وأن حركة الأشياء وأصوات وأفعال الحيوان قد تدل على أمارات ، وتكون إشارات لأمر قادمة ، ولم يحمل صوت الضفدع هذا ، وقد يقال أن مصرأ أخذت الكتابة والرسم من العراق ، وصار بإمكان الفراعنة تدوين الوقائع والأحداث منذ عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وليس في هذا التأريخ ما يدل على غرق فرعون الملك ، وعبور بني إسرائيل ، ولكن القرآن لم يذكر تأريخ هذه الواقعة الضاربة في التأريخ خاصة وأن (٣٠) عائلة من الفراعنة تعاقبت على حكم مصر.

كما تقسم العصور منها العصر العتيق ويبدأ حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م ، ويشمل الأسرة الأولى والثانية ، ومن أبرز ملوكها الملك (مينا) وعاصمتها منف وتسمى (من نفر) في محافظة الجيزة في الوقت الحاضر وتقع جنوب القاهرة بنحو (١٩) كم وهي الآن قرية صغيرة باسم قرية (ميت رهينة) .

ثم عصر الدولة القديمة ويبدأ حوالي سنة (٢٧٨٠) ق.م ، ويشمل الأسر الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ، ومن أبرز ملوكها (زوسر) وهو صاحب أول هرم في مصر ، ومنهم (خوفو).

ثم عصر الإضمحلال الأول من حوالي سنة (٢٢٨١) ق.م ويشمل الأسر السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ، وتوالت الأسر بتعاقب العصور، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَّأُولَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

وبينما ينتظر بنو إسرائيل الخروج من أرض مصر سخّروهم آل فرعون لدوس وحصاد الحنطة والشعير ، وعرضها في الأسواق ، وإدخار الفائض في المعاش بطرق خزن أمينة إعتاد بنو إسرائيل على بذل الجهد فيها .

ولما أطمأن آل فرعون إلى نجاح موسم الحصاد والخصب قالوا لموسى : لن نرسل معك بني إسرائيل ، ويلاحظ أن بني إسرائيل لم يسعوا بجد في قتل موسى عليه السلام بخلاف كفار قريش الذين رأوا معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومع هذا عزموا على قتله في فراشه بما يفيد القطع ، فليس من تردد عندهم ، ولم يطلب منهم إخراج المؤمنين معه ، لأن قريشاً هم أهله وعشيرته ، لذا قال تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢).

بين الرسول والطافوت

وكانت مصر تكثر فيها تفرعات نهر النيل ، إذ تقومت حضارتهم بنهر النيل والحياة بضافه ، وهو سر الحياة والعمارة وقيل إتخذ النيل مساره الحالي قبل ٣٠ مليون سنة ، وهو أطول أنهار الكرة الأرضية ، وطوله ٦٦٥٠ كم ويصب في البحر الأبيض المتوسط ، ويقع في قارة افريقيا ، ورافده النيل الأبيض ، والنيل الأزرق الذي ينبع من أثيوبيا ، ويكون نسبة ٨٥٪ من مجموع ماء نهر النيل في الصيف على نحو الخصوص بسبب كثرة هطول الأمطار ، وتقل هذه النسبة كثيراً في فصول السنة الأخرى .

(١) سورة آل عمران ١٤٠.

(٢) سورة آل عمران ١٠٤.

ويدل ما ورد في التنزيل حكاية عن فرعون ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾^(١) على الخلجان الخارجة من النيل والتي تجري تحت قصر فرعون ، إذ كان قصره على جنات وبساتين .

وقيل المراد من تحتي أي حولي ، وفي قبضتي وملكي^(٢) .

ولم يرد لفظ ﴿مِنْ تَحْتِي﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه مما يدل على النعم العظيمة التي كان يتمتع بها فرعون ، نعم هناك شواهد كثيرة في هذا الزمان بأن تبنى القصور على ضفاف أنهار وبحيرات بحيث تجد القصر يحيط به الماء من جهتين أو ثلاثة أو يكون على الماء بأعمدة ، ليكون من الشواهد على الإعجاز في وصف القرآن لقول فرعون أعلاه ، إذ تدل على انفراد فرعون بالعمارة وسط الأنهار ، وكما كانوا يسخرون عشرات آلاف الرجال لبناء الأهرامات ، فهم يسخرونهم لشق الأنهر وفق الخرائط والخطط التي يريدون .

وهل كان بنو إسرائيل ممن كان يسخر في شق الأنهر ، الجواب نعم لأنه فرع الفلاحة .

لقد كان آل فرعون مطمئنين بأن الآفة التي تأتيهم ويدعون موسى الله عز وجل لكشفها تكشف ولن تعود إليهم ، وهو حجة عليهم ، ولكنهم حينما يصل الأمر إلى إمضاء وعدهم له بأخراج بني إسرائيل يمتنعون لأن الشلل يصيب العصب الإقتصادي والاجتماعي عندهم ، إذ تتعذر عليهم الإستدامة بذات النعم وكثرة الخدم ، فيبتليهم الله بأية أخرى أشد منها أو مثلها .

(١) سورة الزخرف ٥١ .

(٢) أنظر الكشف ٩٩/١٢ .

لقد كان إبتلاء آل فرعون القمل إذلالاً لهم وتعكيراً لصفو الفرح والمرح الذي يعيشون ، وعندما صرفهم الله عز وجل عنهم فتنفسوا الصعداء ، وعادوا إلى حسن الهيئة والمظهر فأبتلاهم الله عز وجل بالضفادع .

فكانت تقفز على الشخص منهم ، وقد تقع في فمه عندما يتكلم أو تضربه في وجهه و(عن ابن عباس قال : لم يكن شيء أشد على آل فرعون من الضفادع ، كانت تأتي القدر وهي تغلي فتلقي أنفسها فيها ، فأورثها الله برد الماء والثرى إلى يوم القيامة) (١) .

فأبتلاهم الله عز وجل بصيرورة الأنهار دماً ، فهرعوا إلى فرعون وشكوا إليه (فقال : ويحكم قد سحركم) (٢) .

فاكدوا له أنه ليس من السحر والتخيل والأمر الطارئ والمحصور، إنما هو أمر واقعي يتغشى الأنهار كلها ، كما دب إلى ماء الآبار مما لم يكن متصلاً بنهر النيل وفروعه ، وأخبروه أنهم يجدون رائحة الدم في الماء ، ودعوا فرعون للتأكد من الحال بنفسه ، وكان السحر منتشراً في مصر لذا جاء موسى عليه السلام بآية العصا ليتجلى لهم ولبنو إسرائيل قانون التباين بين المعجزة والسحر ، ونزل القرآن ليخلد هذا القانون إلى يوم القيامة .

عندئذ تدخل فرعون بنفسه وسأل موسى عليه السلام أن يدعو الله ليكشف عنهم الدم ، وفي هذا السؤال إقرار من فرعون أمام الملأ من قومه

(١) الدر المنثور ٤/٢٩٣ .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١/١٥٨ .

بالحاجة والضعف ، وأنه ليس رباً أو إلهاً ، وأن قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (١) تداعى وانكشف بطلانه على نحو متعدد مع ظهور كل آفة وبلاء .
وفيه مسائل :

الأولى : الإنذار لفرعون وقومه ، ومن الإعجاز في نبوة موسى عليه السلام ، أنه لم يطلب إرسال بني إسرائيل معه إلا بعد أن ظهرت البراهين والمعجزات الخارقة على يده ، وبمحض من فرعون نفسه ، في التنزيل ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنْتُمْ جِئْتُمْ بِآيَاتٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (٢).

الثانية : دعوة قوم فرعون إلى الإسلام ، وأيهما أكثرهم أم بنو إسرائيل ، الجواب قوم فرعون أكثر من بني إسرائيل .

الثالثة : تصديق وإتباع بني إسرائيل لموسى عليه السلام خاصة وأنهم يرون كيف يجاهد لإخراجهم من مصر بسلاح النبوة ، ترى ماذا لو لم يخرج بنو إسرائيل من مصر من جهتين :

الأولى : مع كثرة المعجزات والبراهين التي تحض على خروجهم .

الثانية : من غير رؤية آيات وبراهين .

الجواب يبقى بنو إسرائيل في السخرة والأعمال الوضيعة والإستضعاف .

(١) سورة النازعات ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف ١٠٤-١٠٧ .

وكان الوزراء والوجهاء من آل فرعون يحرصونه على الإمعان في إيذاء بني إسرائيل وقهرهم ، وفي التنزيل ﴿وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُؤُونَ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْأَهْلِكَ قَالَ سَتَقْتُلُنَا يَا مُوسَى وَتَدْرُؤُونَ قَوْمَهُمْ وَإِنَّا لَفَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (١) .

لقد أراد الله عز وجل أن ينتقل بنو إسرائيل إلى الأرض المقدسة ويثبتوا الإسلام بدولة النبوة ، وتتجلى معالم الإيمان من غير خشية من سلطان كافر عليهم وأن يحاربوا الجبارين ، وتكون في دولتهم وتعاقب الملوك والأنبياء منهم عمارة الأرض بالذكر وعبادة الله ، ومقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ بُعث في مكة ، وكانت طائفة من اليهود في المدينة تنتظر بعثته وهجرته إلى المدينة ، كما كان اليهود يختلطون مع قريش وكل منهما يزاول مهنة التجارة ، فكان رجال قريش يسألون اليهود عن صدق نبوته .

وفي حديث ضعيف (عن محمد بن إسحاق، قال: ثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس ، قال : بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، ووصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجوا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

قال : فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ. فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فرأوا فيه رأيكم.

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل، ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب.

وسلوه عن رجل طوّاف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبيّ فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالا يا معشر قريش: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله، عن أمور، فأخبروهم بها.

فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أخبركم غداً بما سألتكم عنه، ولم يستثن فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكث الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة.

ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله عزّ وجلّ، بسورة أصحاب الكهف، فيها معابته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية

والرجل الطوّاف، وقول الله عزّ وجلّ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افتتح السورة فقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^(٢)، يعني محمدا إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوته ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(٣): أي معتدلا لا اختلاف فيه^(٤).

عندئذ أذن الله لموسى عليه السلام أن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر، وبلحاظ موضوع آية البحث وقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٥) فإن كل آية من آيات موسى عليه السلام تحذير وإنذار لآل فرعون وتذكير لهم بضعفهم وعجزهم عن دفع هذه الدواب الصغيرة كالجراد والقمل والضفادع، إذ تأتي على زروعهم وتنغص عليهم صفوا أيامهم، وتجعلهم في حال انفعال واضطراب.

لقد أخبرت آية البحث عن قانون حلول الموت في رحبة كل إنسان فيخطف روحه، ويجعل من حوله يعجلون بدفن جثته، ليطل على عالم الحساب.

ولو استجاب فرعون لموسى وأذن بخروج بني إسرائيل من مصر، هل يكون ممن ﴿زُحْجِحَ عَنِ النَّارِ﴾ الجواب لا، فلا بد من الإيمان والإقرار

(١) سورة الاسراء ٨٥.

(٢) سورة الكهف ١.

(٣) سورة الكهف ١.

(٤) تفسير الطبري ١٧/٥٩٣.

(٥) سورة آل عمران ١٨٥.

بالتوحيد والتصديق بالرسالة ، إنما تستديم عليهم النعم وينجون من الهلاك والغرق في اليم .

فان قلت تتعطل الأعمال عند آل فرعون خاصة مع زراعة أرض مصر ، وكثرة الصناعات وبناء آل فرعون للقصور الفارهة ، وإقتناء الخيول والأنعام والتي تحتاج إلى خدمة ورعي ، وكان بنو إسرائيل يتولون أكثر هذه الأعمال ، والجواب من جهات :

الأولى : إن خروج بني إسرائيل بأمر من الله عز وجل فلا بد من إرضائه .

الثانية : من قوانين الحياة الدنيا أن الإمتثال لأمر الله يفتح أبواباً من فضله سبحانه ، وهو من رحمة الله بالناس جميعاً .

الثالثة : ظهور النقص في الأيدي العاملة عند آل فرعون خير من هلاكهم في البحر عند إصرارهم على اللحوق ببني إسرائيل .

الرابعة : بإمكان فرعون تسريح أفواج من الجيش وتوجيههم للعمل في المزارع والصناعات خاصة مع عدم وجود عدد ظاهر ، وذكر أن فرعون سار خلف موسى بمليون رجل جمعهم خلال ساعة من النهار . إن إتكال آل فرعون على بني إسرائيل في الأعمال اليدوية والمهن جعل عندهم ترهلاً في الوظائف والجيش .

ومن معاني خروج بني إسرائيل من سلطان آل فرعون قوله تعالى

﴿وَلَنْ يُجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَيًّا﴾^(١).

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٤- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى / العراق
- ٥- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .
- ٦- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة ديالى .
- ٨- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.
- ٩- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية

السعودية

- ١٠- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.
- ١١- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.
- ١٢- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١٣- سعادة أ.د رئيس جامعة واسط.
- ١٤- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.
- ١٥- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ المملكة الأردنية الهاشمية.
- ١٦- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجمهورية

الجزائرية.

- ١٧- سعادة أ.د رئيس جامعة سומר .

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ / ٥٥
٨ / ٤ / ٥

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي
والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.
نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلممكم العلم النافع وان يجعله
في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
مختصاوي
(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس □

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRETARIAT GENERAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير
القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم
بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام
لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على
جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء
وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.



أحمد العبدوس
مستشار الأمين العام





جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في
٢٠١٧/١٢/١٧.

تلقينا ببالغ الإعتراز إهدائكم نسخة من كتابكم
الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع
والخمسین بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام
الموفقية.

مع التقدير

القاضي

فائق زيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

٢٠١٧/١٢/٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

كوٲ مارى عىراق

داد كاي بالآى ئىتتىجادى

العدد : ٥ / مكتب / ٢٠٢٠

التارىخ: ٢٢ / ١ / ٢٠٢٠



جمهورية العراق

المحكمة الاتحادية العليا

مكتب رئيس المحكمة

سماحة الشيخ صالح الطائى المحترم

استاذ الفقه والاصول والتفسير والاخلاق

م/ شكر وتقدير

تحية طيبة

اشارة الى كتابكم المرقم (١٩/٢٩٣٢) المؤرخ ٢٦/١٢/٢٠١٩ .

تسلمنا ببالغ الإعتراز اهدائكم نسخة من كتابكم الموسوم ((معالم الإيمان في تفسير القرآن الجزء الحادى والتسعون بعد المائة)) .

نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية مع وافر التقدير .

القاضى

مدحت المحمود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٢ / ١ / ٢٠٢٠

Arab League
Union of The Arab
Historians
General Secretary



جامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الامانة العامة

العدد: ت/١٥٣
التاريخ: ٢٠ رمضان ١٤٣٩ هجرية
الموافق: ٢٠١٨/٦/٥ ميلادية

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميعٌ مجيب الدعاء.
عزيزي سماحة الشيخ المحترم :

تسلمت مع بالغ الشكر وعظيم التقدير والإمتنان هديتكم القيمة والمتمثلة في الأجزاء (١٦٠-١٦١-١٦٤) من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ان ولوجكم في هذا الميدان العلمي من التأليف في تفسير القرآن العظيم يعيد الى الأذهان ذكريات أولئك المفسرين العظماء الكرماء الذين خلدتهم التاريخ بإنجازاتهم العلمية الوفيرة والنادرة ، وان هذا المؤلف الكبير هو من المؤلفات النادرة حقاً في هذا الزمن الشحيح في علماء التفسير بحيث اعاد الأمل الى نفوس العلماء وطلاب العلم ، بان ميدان التأليف في هذا الفن العلمي انما هو رافدٌ عظيم من روافد الفكر الاسلامي الخالد والذي نفتخر ونعتز به ، وأسأل الله تعالى ان يسبغ عليكم بوافر الصحة ونعمة العافية من اجل اكمال هذا المشروع العلمي الخالد كي نباهي به الأجيال وكي نؤكد لكافة المسلمين ان هذا الاسلام يظل منبع للعلم والعلماء من اجل ديمومة هذا العلم الخالد .

اكرر شكري وتقديري على كرمكم الأصيل باهدائكم هذه الاجزاء لنا ، وأسأله تعالى ان يستمر عطائكم وتأليفكم بانجاز هذا المشروع التاريخي الخالد .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداتي
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب
العميد/رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي
والتراث العلمي للدراسات العليا



رئاسة جامعة ديالى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
 مكتبة رئيس الجامعة

No :
 Date :

العدد : ٢٥
 التاريخ : ٢٠٢٠ / ١١ / ٢٠

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
 صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
 استاذ الفقه والاصول والتفسير والاخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

نشكر مبادرتكم الطيبة باهدانكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم
 (التضاد بين القرآن والإرهاب) معالم الإيمان في تفسير القرآن /
 الجزء الحادي والتسعون بعد المائة ، نتضرع إلى الله العلي القدير ان
 يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم .

ومن الله التوفيق .



أ. د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٠ / ١١ / ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩ ربيع الأول / ١٤٤٠هـ

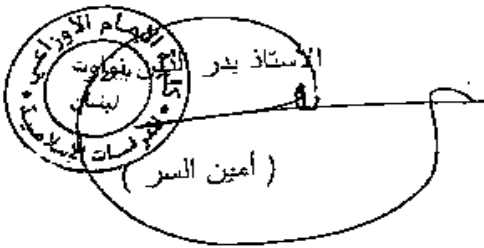
الموافق ٢٤ / ١١ / ٢٠١٨م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.
آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم
لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



تحريراً في: ٢٥ من ربيع أول ١٤٢٥هـ

١٥ من مايو ٢٠٠٤م

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



جامعة الملك فيصل
وزارة التعليم
مملكة العربية السعودية
(٠٣٧)

الموضوع:

الموقر

فضيلة الشيخ/ صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب - ٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١ وتاريخ
٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان
في تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.
يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم
المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى مكتبة
الجامعة للإطلاع عليها، سائلاً المولى جلت قدرته للجميع التوفيق
والسداد.
وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:

Date:

كتب المدير
Vice Chancellor Office

المررة: ... ج ك/م ١٧/ح/٣

التاريخ: .. 2016/8/16م

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب النور

مدير الجامعة



الرقم ١١٤٦٠ / ٧ / ٢٠٦٥
 التاريخ ١٣ / ٢ / ١٤٣٧ هـ
 الملاحظات
 الموضوع



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
 وزارة التعليم العالي
 الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
 مكتب المدير
 (٠٣٢)

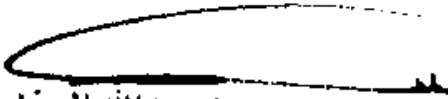
معالي الشيخ / صالح الطائي سلمه الله
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية


 أ. د / عبدالرحمن بن عبدالله السعيد

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٩٢ / ١
التاريخ: ٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م
١٤٣٧ / ١ / هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهدائكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Presidency of Wasit University

العدد: ٢٤٧٩
التاريخ: ٢٠٢٠ / ١١ / ١١
التاريخ: ١١ / ١١ / ٢٠٢٠

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة واسط
مكتب رئيس الجامعة

«النزاهة أبة العفة» الإمام علي ع
(معا لمتسللة القوات المسلحة لدهر الإرهاب)

إلى / المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-
قال تعالى ((نَزَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) أنه لفرح كبير
وفخر أكبر ان احظى بأجزاء من تفسيركم للقرآن الكريم ، وهو
تفسير واسع اضيف الى المكتبة الإسلامية ، وسيكون له اثره الطيب
في فهم نصوص القرآن الكريم ولكم به أجر وثواب الآخرة ، ولا
يسعنا في هذا المقام الا ان تقدم لكم شكرنا وتقديرنا على هذا
الإهداء الفريد ، متمنين لكم التوفيق والمزيد من العطاء المبارك.
مع فائق الإحترام...

الأستاذ الدكتور
مآزن حسن جاسم الحسن
رئيس جامعة واسط

الأستاذ الدكتور
مآزن حسن جاسم الحسن
رئيس جامعة واسط
٢٠٢٠/١١/١١

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Thi-Qar
Bureau of University President

وفوق كل ذي علم عليم
جامعة ذي قار
عهد البراهمة الطويل (ع)
Thi-Qar University
2002

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذي قار
مكتب رئيس الجامعة

العدد: ٧ / ٥٤ / ٢٠٩٢

التاريخ: ٨ / ٦ / ٢٠١٦

إلى / مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

باعتراز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله
العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله
العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢، ١٣٣،
١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد،
سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا
والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .

والله اعلم
بما نزلنا من
القرآن
٢٠١٦/٦/٨

أ.د. رياض شنته جبر
رئيس جامعة ذي قار
٢٠١٦/٦/٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارة

مكتب الرئيس

Ref. _____

Date _____

الرقم ١١١١٠٨١٤٠٠٧٦٩

التاريخ ٢٠١٢/٥/٢٦

الموافق ٢٠١٢/٥/٢٦

سبادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر وإعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد

(٥٣٢) تاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في

الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم

هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن

يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم

والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعانه

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رئاسة الجامعة

قسنطينة في: 25/03/2015



جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة
رغم .. / ر.ع / 2014

إلى السيد المحترم / مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة وبعد :

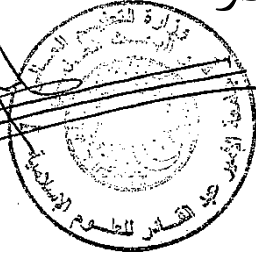
تلقينا نحن أ.د / عبدالله بو خلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في
تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة

عبد القادر
أ.د. عبد القادر الطوم



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University Of Sumer
Bureau Of University President



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سومر
مكتب رئيس الجامعة

Ref :

Date : / /2017

العدد : ٥٦٧/٤/٦

التاريخ : ٢٠١٧/٩/٢٠

اعتماد الجودة دليل تقدم جامعتنا

مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقينا إهداءكم لنا نسخة من الجزء الخامس والخمسين بعد

المائة من "معالم الإيمان في تفسير القرآن" لا يسعنا إلا أن

نتقدم لشخصكم الكريم بالشكر الجزيل متمنين لكم دوام الصحة

والعافية، وأن يجعلكم سناً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم

كل التقدير والإزدهار.

مع وافر التقدير والاحترام

أ.د. قاسم نايف علوان المحياوي
رئيس الجامعة وكالة

٢٠١٧/٩/٢٠



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	١٠٥	الآية رحمة
١٧	الآية ١٨٥ سورة آل عمران / الإعراب واللغة	١٠٧	الصلة بين أول وآخر الآية
١٩	في سياق الآيات	١١١	من غايات الآية
١٩	الوجه الأول الصلة بالآية السابقة ١٨٤	١١٣	الموت لغة وإصطلاحاً
٤٥	الوجه الثاني الصلة بالآية ١٨١	١١٥	التفسير قوله تعالى ﴿كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾
٦٥	قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خمس مرات في اليوم	١٢٢	علم المناسبة
٧١	قانون الزحزحة من النار	١٢٥	قانون أكثر السؤال عن الساعة
٧٧	إعجاز الآية الذاتي	١٢٨	قانون الكبش الأملح
٧٩	إعجاز الآية الغيري	١٣٥	قانون الوارث لآل فرعون
٨٣	مفهوم الآية	١٤٠	بحث عرفاني
٨٦	أيهما أفضل السمع أم البصر	١٤٢	قانون آيات الموت
٩٣	الآية لطف	١٥٠	قانون أسئلة المسلمين لقصد الآخرة
٩٥	إفاضات الآية	١٦٨	قوله تعالى ﴿وَأِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
١٠٠	الآية بشارة	١٧٣	قوله تعالى ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾
١٠٣	الآية إنذار		

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
قانون التنزه عن الغلو	٢٤٥	قوله تعالى ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾	١٧٤
قانون القتال كره ومشقة	٢٤٨	مدة الحمل بين القرآن والطب الحديث	١٧٥
يوم الغدير	٢٥٦	دية الجنين	١٨٧
قانون قول الحمد لله منسأة في الأجل	٢٦٧	قانون التفسير الموضوعي لآيات السلم	١٨٨
قانون سلامة الأرض بفضل الله	٢٦٩	شهود صلاة الصبح	١٩١
قانون منافع ذكر الموت	٢٧٣	لغات القرآن	١٩٣
الحسين (ع) سيد شباب أهل الجنة	٢٧٨	الآيات التي ذكرت لغة القرآن	٢٠٤
قانون آية البحث والدعاء	٢٨٤	قانون الإختصاص اللغوي للقرآن	٢٠٩
معجزات موسى ع	٢٨٦	قانون لغة الجمع للمنفرد في القرآن خاصة بالله عز وجل	٢١٣
بين الرسول والطاغوت	٢٩٦	معجزات رضاعة النبي (ص)	٢١٧
ردود كريمة	٣٠٣	عدد الرضعات التي تنشر الحرمة	٢٣٧
الفهرس	٣٢١	حديث شق الصدر	٢٤١

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٤٨٢ لسنة ٢٠٢٠